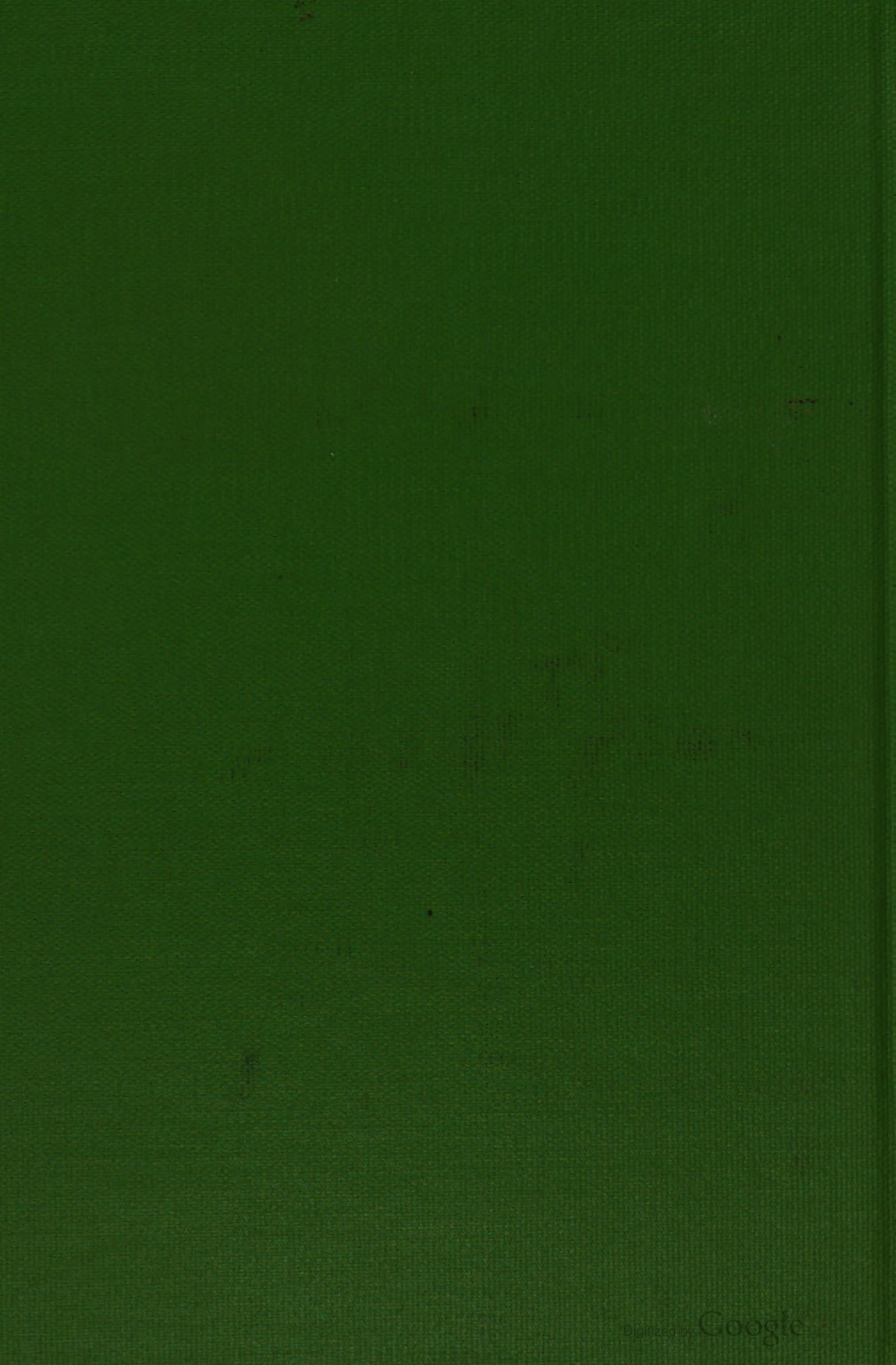



Princeton University Library
32101 077792727

Ibn Hisham Jamal al. Din



Sharh qasidat Banat Suʿād

شرح قصيدة بانت سعاد للشيخ الامام العلامه
والبحر الحبر الفهامه أبى محمد جمال الدين
عبد الله بن هشام الانصارى تغمده
الله برحمته وأسكنه
فسيح جنته
آمين

وبهامشه حاشية الامام الشيخ ابراهيم الباجورى



بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ﴿أما بعد﴾ حمداً لله المنعم بالهام الحمد لعبيده حمدا موافيا النعمه ومكافئا المزيده والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وقدوة للعاملين محمد النبي الامي والرسول العربي حبيب الرحمن وخليله ورسوله المؤتمن على تبليغ رسالاته وأداء تنزيله الداعي بالحكمة والموعظة الحسنة الى سبيله وعلى آله وأصحابه مصابيح الظلم وينابيع الحكم وشآبيب الكرم فاني مورد في هذا الكتاب قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه التي مدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشدها بحضرته الشريفة وبحضرة أصحابه المهاجرين والانصار رضي الله عنهم أجمعين ومردف كل بيت منها بشرح ما يشكل من لغته واعرابه ومعناه ومعط للقول في ذلك كله حقه ان شاء الله تعالى (والذي) دعاني الى هذا التأليف غرضان سنيان أحدهما التعرض لبركات من قيلت فيه صلى الله عليه وسلم والثاني اسعاف طالبي علم العربية بفوائد جليلة أوردها وقواعد عديدة أسردها وبالله تعالى المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (ولنقدم) بين يدي ذلك الكلام في فصلين (أحدهما) ذكر شيء من أخبار كعب رضي الله عنه وسبب قوله هذه القصيدة فنقول هو كعب بن زهير بن ابي سلمى بضم السين واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح بكسر الراء بعدها آخر الحروف احد بني مزينة كان من فحول الشعراء هو وأبوه وكان عمر رضي الله عنه لا يقدم على ابيه أحدا ويقول أشعر الناس الذي يقول ومن ومن يشير الى قوله في معلقته المشهورة

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * ولو رام أسباب السماء بسلم
ومن يك ذا مال فيبخل بماله * على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه * ولا يغنها يوما من الدهر يندم ويروى يسأم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
الحمد لله الذي أنطق كعبا بذكر سعاد * تفاؤلا بها فاز بالاسعاد * وسهل عليه طريق الرشاد * فجعله من أسعد العباد * وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من هول يوم التناد * واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد العبيد والاسياد * صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أولي التوفيق والسداد * الذين تأبدوا في محبته صلى الله عليه وسلم ومن جوابها الاكباد (اما بعد) فيقول راجي عفو ربه الكريم * عبده الباجوري ابراهيم * لا زال محفوفا بالالطاف والنعم * ومحفوظا من الآفات والنقم اعلم ان المدح رأس مال الشاعر الذي يعول عليه * ومقصده الذي يرجع في التوسل للامور اليه * ولما لم يلق به صلى الله عليه وسلم تعاطيه عوضه الله سبحانه وتعالى بأن جعل الشعراء مطبقين على مدحه بما لا يدنو بشيء مما هو فيه مسرعين اليه * مكبين عليه * حتى شحنت به الدفاتر * ونفدت دون نفاده المحابر * ثم ان من أبدع ما مدح به رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة كعب * التي كانت على ناظمها ابرك كعب * المشهورة ببانت سعاد * التي نال بها قائلها القرب من رب العباد * وقد أنشدت بين يديه صلى الله عليه وسلم فنالت أعلى المفاخر * وقضت بالتقدم على ما للاول والآخر * وسبب هذه القصيدة ان كعب

ومن

ابن زهير بن أبي سلمى بضم السين ربيعة بن رياح بكسر الراء وفتح الياء المثناة آخر الحروف ابن اددبن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان كان من فحول شعراء العرب المجدين * والمهرة المفلقين * وكذلك أخوه بجير لكن كان كعب أشعر من بجير وكان زهير أبوهما أشعر منهما وكان لكعب ابنان شاعران جليلان أحدهما عقبة والآخر العوام * وما كان لهما نظير فى الخواص والعوام * وكان كعب ممن هجا النبى صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام فلما فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة خرج ناس هاربين ومن جملتهم كعب وأخوه بجير فخرجا من مكة حتى أتيا الى ابرق العزاف بفتح العين المهملة والزاى المشددة آخره فاء وهو رملة بالحجاز لبنى سعد كذا قال السيوطى وقال الشيخ الجمل وهو ماء لبنى أسد بين المدينة والربذة على عشرين ميلا من المدينة الشريفة وانما سمى بذلك لانه كان يسمع به عزيف الجن أى صوتهم فلما وصلا لذلك المكان قال بجير لكعب اثبت فى الغنم هنا حتى آتى هذا الرجل فاسمع كلامه واعرف ماعنده هل هو مما يستملح ويلوح صدقه فاتبعه ام لا فاتركه ٣ فأقام كعب هناك ومضى بجير فأتى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة الشريفة فسمع كلامه وآمن به وأقام عند النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك لاخيه كعب فشق عليه اسلام بجير فكتب اليه بهذه الابيات

الا بلغا عنى بجيرا رسالة
فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

سقاك بها المأمون كأسا روية
فانهلك المأمون منها وعلكا

ففارقت أسباب الهدى وتبعته
على أى شئ ويب غيرك دلكا

على مذهب لم تلف اما ولا أبا
عليه ولم تعرف عليه اخا لكا

فان أنت لم تفعل فلست بآسف
ولا قائل اما عثرت لعا لكا

فقوله الا ابلغا أصله بلغن بنون التوكيد قلبت ألفا ويصح ان

ومن يغترر بحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن لا يصانع فى أمور كثيرة * يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

المنسم بفتح الميم وكسر السين طرف خف البعير (ومما يستحسن من شعر كعب رضى الله عنه)

لو كنت أعجب من شئ لاعجبنى * سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها * والنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل * لا تنتهى العين حتى ينتهى الاثر

(وقوله أيضا)

ان كنت لا ترهب ذمى لما * تعرف من صفحى عن الجاهل
فاخش سكوتى اذ أنا منصت * فيك لمسموع خنى القائل
فالسامع الذم شريك له * ومطعم المأكول كالآكل
مقالة السوء الى أهلها * أسرع من منحدر مائل
ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل

وولد كعب عقبة بن كعب وكان أيضا شاعرا مجيدا وولد عقبة بن كعب العوام بن عقبة بن كعب وكان شاعرا مجيدا وهو الذى يقول

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا * ملاحة عينى أم عمرو وجيدها
وهل بليت أثوابها بعد جدة * ألا حبذا اخلاقها وجديدها

(وكان) من خبر قول كعب رضى الله عنه هذه القصيدة فيما روى محمد بن اسحق وعبد الملك

تكون ألفه للتثنية لان العرب يخاطبون الواحد بخطاب الاثنين وقوله فهل لك فيما قلت أى فهل لك ارادة فيما قلته من كلمة الشهادة وقوله ويحك كلمة ترحم تقال فيمن وقع فى مهلكة لا يستحقها فترحم عليه بها بخلاف ويلك فانها كلمة تقال لمن وقع فى مهلكة يستحقها وقوله هل لكا تأكيد للاولى وقوله سقاك بها أى بكلمة الشهادة التى دلت عليها قرينة الحال والباء بمعنى من التبعيضية والمأمون فاعل وكأسا مفعول به والمراد بالمأمون النبى فقد كانت قريش تسميه المأمون والامين فهو كما قيل

ومليحة شهدت لها ضراتها * والفضل ماشهدت به الاعداء

والكأس القدح اذا كان فيه الشراب وروية أى مروية فعيلة بمعنى مفعلة وقوله فانهلك المأمون منها أى فأسقاك المأمون من تلك الكأس نهلا والنهل بالتحريك الشرب الاول وقوله وعلكا أى واسقاك منها علا والعلل بالتحريك الشرب الثانى وقوله ففارقت أسباب الهدى أى بسبب زعمه حينئذ وقوله وتبعته أى المأمون وقوله على أى شئ متعلق بدلكا بعده أو بمحذوف أى دلك على أى شئ أى دلك على شئ لا ينفع وقوله ويب غيرك أى هلكت هلاك غيرك فالويب بالواو الهلاك وهو بالنصب على اضمار الفعل وقد علمت ان الجار والمجرور متعلق بقوله دلكا وقوله

على مذهب متعلق بمحذوف دل عليه متعلق قوله على أى شئ و يصح العكس وقوله لم تلف أى لم تجد وقوله فان أنت لم تفعل فلست بآسف أى فان أنت لم تفعل ما قلته لك من الرجوع للمذهب الذى كان عليه أبوك وأمك وعليه أخوك فلست أنا بآسف عليك وقوله ولا قائل اما عثرت لعالكا أى ولست أنا بقائل ان عثرت أنت لعالك أى لا أدعو لك بالسلامة من العثرة لغضبى عليك فان لعالك كلمة دعاء للعاثر بالسلامة من عثرته قال فى المختار وهو دعاء له بأن ينتعش اهـ فلما وقف بجير عليها أخبر بها النبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله سقاك بها المأمون قال مأمون والله ثم قال من لقى كعبا فليقتله فاهدر صلى الله عليه وسلم دمه فكتب اليه أخوه بجير بهذه الابيات

من مبلغ كعبا فهل لك فى التى * تلوم عليها باطلا فهى أحزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده * فتنجو اذا كان النجاة فتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت * من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا دين دينه * ودين أبى سلمى على محرم ٤

فقوله من مبلغ أى أى شخص هو مبلغ فمن للاستفهام وقوله فهل لك الخ أى فهل لك ارادة فى كلمة الشهادة التى تلوم عليها لوما باطلا وقوله فهى أحزم أى أضبط يقال حزم أمره اذا اضبطه وقوله الى الله أى فارجع من الضلالة الى الايمان بالله لا الايمان باللات والعزى وهما صنمان كانا يعبدان من دون الله وقوله وحده حال من الله أى حال كونه وحده وقوله اذا كان النجاة أى اذا وجد سبيل النجاة فى الدنيا من القتل وفى الآخرة من عذاب الله فتسلم فى الدارين وقوله لدى يوم أى وقت يوم بترك التنوين وقوله وليس بمفلت بفتح اللام على انه اسم مفعول وقوله طاهر القلب أى من الكفر وهذا اشارة لكونه مسلما وقوله فدين زهير مبتدا خبره قوله على محرم وقوله وهو لا دين دينه أى هو لا دين دينه هذا الكلام تعليل لقوله على محرم وقوله ودين أبى سلمى عطف على المبتدا وكتب بعدها يخبره ان النبى قد أهدر دمه وانه قتل رجالا ممن كانوا يهجونه ويؤذونه فان كان لك فى نفسك حاجة فطر اليه أى ائت له مسرعا فانه لا يرد أحدا جاءه تائبا ولا يطالب بما تقدم قبل الاسلام فلما بلغه الكتاب أتى الى قبيلته مزينة ليجيره من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبت ذلك فضاقت عليه الارض بما رحبت وأشفق على نفسه فقال هذه القصيدة يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج حتى وصل المدينة فنزل على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة وقيل ان ذلك الرجل هو على بن أبى طالب كرم الله وجهه فاتى به الى المسجد ثم أشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله فقم اليه واستأمنه فقام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس بين يديه فوضع يده فى يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه وأما هو فعرفه صلى الله عليه وسلم بالصفة التى وصفه له بها الناس فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال يا رسول الله أنا

ابن هشام وابو بكر محمد بن القاسم بن بشار الانبارى وأبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد الانبارى دخل حديث بعضهم فى حديث بعض أن كعبا وبجيرا ابنى زهير خرجا الى ابرق العزاف فقال بجير لكعب اثبت فى الغنم حتى آتى هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فأسمع كلامه واعرف ما عنده فاقام كعب ومضى بجير فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه فآمن به وذلك ان زهيرا فيما زعموا كان يجالس أهل الكتاب ويسمع منهم أنه قد آن مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير فى منامه انه قد مد بسبب من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته فتأوله بالنبى الذى يبعث فى آخر الزمان وانه لا يدركه وأخبر بذلك بنيه وأوصاهم ان ادركوا النبى صلى الله عليه وسلم ان يسلموا ولما اتصل خبر اسلام بجير باخيه كعب اغضبه ذلك فقال

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة * فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
سقاك بها المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا
ففارقت أسباب الهدى واتبعته * على أى شئ ويب غيرك دلكا
على مذهب لم تلف أما ولا أبا * عليه ولم تعرف عليه أخا لكا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف * ولا قائل اما عثرت لعالكا

وأرسل بها الى بجير فلما وقف عليها أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع عليه الصلاة والسلام قوله سقاك بها المأمون قال مأمون والله وذلك انهم كانوا يسمون رسول الله صلى الله عليه وسلم المأمون ولما سمع قوله على مذهب ويروى على خلق لم تلف اما البيت قال أجل لم يلف عليه أمه ولا أباه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله وذلك عند انصرافه عليه الصلاة والسلام عن الطائف فكتب اليه أخوه بجير هذه الابيات

كعب بن زهير فقال الذي يقول ماقال ثم أقبل على أبي بكر يستنشده الشعر فانشده أبو بكر * سقاك بها المأمون كأسا روية * البيت فقال كعب لم أقل هذا وانما قلت * سقاك أبو بكر بكأس روية * وانهلك المأمون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمون والله فوثب عليه رجل من الانصار فقال يارسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه عنك فقد جاءنا تائبا نازعا أي خارجا من الكفر لانه أسلم ثم أنشد القصيدة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسمع وكان قد أنشأ قبل قدومه المدينة وهو عند الغنم من هذه القصيدة أبياتا ولما وصل الى حضرته صلى الله عليه وسلم وقبله وعفا عنه انشاء تلك القصيدة على وجه آخر مبلغها الى سبع وخمسين بيتا وفي رواية أبي بكر الانباري انه لما وصل الى قوله ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول ألقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردته التي كانت عليه ولذا قال أهل العلم هذه القصيدة هي التي حقها أن تسمى بالبردة لان المصطفى صلى الله عليه وسلم أعطى كعبا بردته الشريفة ٥ وأما قصيدة البوصيري فحقها أن تسمى بالبرأة لانه كان أصابه داء الفالج فابطل نصفه وأعيا الاطباء فلما نظمها رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم فمسح بيده عليه فبرئ لوقته وقد بذل معاوية لكعب في هذه البردة عشرة آلاف من الدراهم فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفا من الدراهم فاخذها منهم قال وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم وعند ابن قانع عن ابن المسيب انها التي يلبسها الخلفاء في الاعياد لكن قال الشامي ولا وجود لها الآن لان الظاهر انها فقدت في وقعة التتار وقد ذكر الترمذي في طبقات النحاة ان بندار الاصفهاني كان يحفظ تسعمائة قصيدة كل قصيدة منها بانت سعاد وذكر السيوطي منها عشرة منها قول زهير والد كعب

الابيات

من مبلغ كعبا فهل لك في التي * تلوم عليها باطلا وهي أحزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده * فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت * من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شئ دينه * ودين أبي سلمى علي محرم

وكتب بعد هذه الابيات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اهدر دمك وانه قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه وان من بقي من شعراء قريش كابن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهيب قد هربوا في كل وجه وما أحسبك ناجيا فان كان لك في نفسك حاجة فصر اليه فانه يقبل من أتاه تائبا ولا يطالبه بما تقدم الاسلام فلما بلغ كعبا الكتاب أتى الى مزينة لتجيره من رسول الله صلى الله عليه وسلم فابت عليه ذلك فحينئذ ضاقت عليه الارض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان من عدوه فقالوا هو مقتول فقال هذه القصيدة يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر خوفه وارجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل من جهينة كان بينه وبينه معرفة فاتى به الى المسجد ثم أشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقم اليه فاستأمنه وعرف كعب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفة التي وصفه له الناس وكان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه مثل موضع المائدة من القوم يتحلقون حوله حلقة ثم حلقة فيقبل على هؤلاء فيحدثهم ثم يقبل على هؤلاء فيحدثهم فقام له حتى جلس بين يديه فوضع يده في يده ثم قال يارسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به قال نعم قال أنا يارسول الله كعب ابن زهير فقال الذي يقول ما يقول ثم أقبل على أبي بكر فاستنشده الشعر فانشده أبو بكر

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا * وليت وصلا لنا من حبلها رجعا لكن المنصرف اليه اللفظ عند الاطلاق قصيدة كعب وقد طلب مني بعض الاخوان أصلح الله لي ولهم الحال والشان كتابة حاشية عليها تسر الناظرين ويشهد بفضلها فضلاء المحصلين فاجبته لذلك وان لم أكن أهلا لما هنالك فجاءت حاشية شريفة بعبارات مستحسنة منيفة وسميتها بالاسعاد على بانت سعاد والله المسؤل في اكمالها وجعلها خالصة لوجهه ونافعة من اعتنى بها ولنقدم قبل الشروع في المقصود مقدمة في بيان ترتيب هذه القصيدة وأبياتها التي نسجت عليها فنقول (مقدمة) اعلم انه كان عادة أكثر شعراء العرب انهم اذا أرادوا قصيدة مدح افتتحوها بالغزل وهو المعبر عنه بالتشبيب وهو أربعة أنواع (النوع الاول) ذكر صفات المحب كالشغف والنحول والذبول والحزن والأرق ونحو ذلك (النوع الثاني) ذكر صفات المحبوب التي هي أسباب المحبة سواء كانت حسية أو معنوية فالاولى كحمرة الخدود ورشاقة القد وما في معناهما والثانية كالجلالة والخفر وهو الحياء والوقار يقال خفر الانسان خفرا من باب تعب والاسم الخفارة بالفتح كما

* سقاك بها المأمون كأسا روية * فقال كعب لم أقل هكذا وانما قلت

سقاك أبو بكر بكأس روية * فانهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمون والله ووثب اليه رجل من الانصار فقال يارسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال دعه عنك فانه قد جاء تائبا نازعا فغضب كعب على هذا الحي من الانصار لما صنع به صاحبهم قال ابن اسحق فلذلك يقول اذا غرد السود التنابيل يعرض بهم وفي رواية أبي بكر بن الانباري انه لما وصل الى قوله

ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

رمى عليه الصلاة والسلام اليه بردة كانت عليه وان معاوية بذل له فيها عشرة آلاف فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم قال وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم قال عبد الملك بن هشام ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له بعد ذلك ألا ذكرت الانصار بخير فان الانصار لذلك أهل فقال

من سره كرم الحياة فلا يزل * في مقنب من صالح الانصار

ورثوا المكارم كابرا عن كابر * ان الخيار هم بنو الاخيار

المكرهين السمهري بأذرع * كسوالف الهندي غير قصار

والناظرين بأعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار

والبائعين نفوسهم لنبيهم * للموت يوم تعانق وكرار

يتطهرون يرونه نسكا لهم * بدماء من علقوا من الكفار

واذا حللت ليمنعوك اليهم * أصبحت عند معاقل الاعفار

لو يعلم الاقوام علمي كله * فيهم لصدقني الذين أماري

شرح الشعر الواقع في هذا الخبر قول كعب رضي الله عنه ألا بلغا يحتمل ان يكون بالنون لفظا على انها نون التوكيد الخفيفة وبالالف خطا لاجل الوقف ويحتمل انه بالالف لفظا وخطا اما على انه مؤكد ووصل بنية الوقف أو على انه خطاب للاثنين أو للواحد فكثيرا ما يخاطب الواحد بما يخاطب به الاثنان وقوله فهل لك يحتمل كون الفاء زائدة عند من جوز زيادتها فتكون الجملة بعدها مفسرة للرسالة فلا موضع لها على قول الجمهور ان المفسرة لا موضع لها أو موضعها نصب على قول الشلوبين ان الجملة المفسرة بحسب المفسر ويحتمل كونها عاطفة على أبلغا والمعطوف محذوف أي فقولا له هل لك لانه لا يحسن قم وهل قام زيد وان اشتركا في الطلب وكثيرا ما يحذف القول ويبقى المقول حتى قال الفارسي حذف القول من حديث البحر قل ولا حرج والاصل هل لك رأي أو ارادة أي هل قلت ذلك عن قصد واعتقاد أو قلته لامر ما والمرفوع المحذوف مبتدأ خبره في الظرف لا فاعل بالظرف لاعتماده كما في نحو أفي الله شك لان الفاعل لا يحذف ويأتي هذا البحث في قوله تعالى هل لك الى ان تزكى أي هل ميل أو انقياد وتعلق الجار وهو في والى في البيت والآية بذلك المحذوف وقوله ويحك ويح كلمة تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها فيترحم عليه ويرثى له كقوله عليه الصلاة والسلام ويح

عمار

في المصباح (النوع الثالث) ما يتعلق بالمحب والمحبوب جميعا من هجر وصد ووصل وسلو واعتذار ووفاء واخلاف ونحو ذلك (النوع الرابع) ذكر ما يتعلق بالوشاة والعذال والرقباء ونحوهم والناظم قد أتى في قصيدته قبل التخلص الى المدح بالانواع الاربعة فذكر النوع الاول في البيت الاول حيث ذكر حال نفسه وما اعتراه بسبب الفراق بقوله بانت سعاد الخ ثم أخذ في ذكر النوع الثاني في البيت الثاني حيث ذكر ما يتعلق بمحبوبته فشبهها بالظبي الموصوف بحسن الصفات بقوله وما سعاد غداة البين الخ ثم ذكر ثغرها وريقها وشبهه بالراح في البيت الثالث بقوله تجلو عوارض ذي ظلم الخ ثم ذكر مزج الراح بالماء واستطرد فوصف ذلك الماء ثم الابطح الذي أخذ منه الماء في البيت الرابع بقوله شجت بذي شبم الخ ثم أكمل وصف ذلك الابطح في البيت الخامس بقوله تنفي الرياح القذى عنه الخ ثم أخذ في ذكر النوع الثالث فذكر اخلاف محبوبته للوعد وعدم قبولها النصح في البيت السادس بقوله

أكرم بها خلة لو انها صدقت موعودها الخ ثم أكمل ذلك في البيت السابع بقوله لكنها خلة الخ ثم وصفها بالتلون في الود في البيت الثامن بقوله

فما تدوم على حال تكون بها الخ ثم وصفها بعدم الوفاء بالعهد في البيت التاسع بقوله ولا تمسك بالعهد الذي زعمت الخ ثم أكد ذلك فاخبر بان ما تعده اماني لا حقيقة لها

عمار تقتله الفئة الباغية وويل كلمة تقال لمن يستحق الهلكة كقوله تعالى ويلك آمن ان وعد الله حق وعن علي رضي الله عنه الويح باب رحمة والويل باب عذاب وهل لك الثانية توكيد وتكميل وتحصيل للقافية وقوله سقاك بها يحتمل ضميره المجرور خمسة أوجه أحدها ان يعود الى المقالة المفهومة من قلت كما عاد الضمير المؤنث من قد سألها الى المسئلة المفهومة من قوله تعالى لا تسألوا عن أشياء ومن سئلت في قول الشاعر

واذا سئلت الخير فاعلم انها * حسنى تخص بها من الرحمن

ولو كان الضمير في الآية عائدا الى أشياء لعدي اليه بعن لا بنفسه ولكنه مفعول مطلق لا مفعول به الثاني ان يعود على المقالة المفهومة من قلت على ان تقدر ما مصدرية الثالث ان يعود على نفس ما على أن تكون موصولا اسميا حذف عائده أي في التي قلتها والرابع ان يعود الى الكلمة التي قالها التي دل عليها قرينة الحال أعني كلمة الشهادة وعلى هذه الاوجه فتحتمل الباء وجهين أحدهما الزيادة أي سقاكها فيكون قوله كأسا اما حالا موطئة كما تقول لقيت زيدا رجلا صالحا واما بدلا من الضمير على الموضع كما تقول ما رأيت من أحد منصفا الثاني ان يكون بمعنى من التبعيضية وهو قول الكوفيين والاصمعي والفارسي وبه قال الشافعي رحمه الله في قوله تعالى فامسحوا برؤسكم ويرجحه قوله فأنهلك المأمون منها وعلى هذا فكأسا مفعول به والوجه الخامس ان يعود على الكأس فيحتمل اعرابه وجهين أحدهما ان يكون بدلا من الضمير على الموضع كما تقول مررت به زيدا وعود الضمير على الظاهر المبدل منه جائز باجماع هكذا نقل ابن مالك عن ابن كيسان ومن شواهده قولهم اللهم صل عليه الرؤف الرحيم والثاني ان يكون تمييزا وعود الضمير على تمييزه متفق عليه في باب رب ونعم كقوله تعالى بئس للظالمين بدلا وقول الشاعر * وربه عطبا انقذت من عطبه * ولم يخصه الزمخشري بذلك بل قال به في قوله فسواهن سبع سموات وقوله المأمون المراد به النبي صلى الله عليه وسلم كانت قريش تسميه المأمون والامين فهو كما قيل

ومليحة شهدت لها ضراتها * والفضل ما شهدت به الاعداء

والكأس القدح اذا كان فيه الشراب وهي مؤنثة فلهذا أنث صفته ومثله قوله تعالى بكأس من معين بيضاء وقوله روية فعيلة بمعنى مفعلة أي مروية والنهل بالتحريك الشرب الاول والعلل الشرب الثاني وويب مثل ويل في المعنى وقد مضى وفي الحكم وهو انها ان أضيفت نصبت وقد ترفع وان نونت رفعت وقد تنصب وقوله على خلق متعلق بمحذوف دل عليه متعلق قوله على أي شئ وهو قوله دلك وقوله لم تلف اما أمهما كبشة بنت عمار من بني سهيم وقوله لعا هي كلمة تقال للعاثر دعاء له بالاقالة من عثرته فاذا دعي عليه قيل لا لعا قال

* فلا لعا لبني ذبيان اذ عثروا * وقول بجير رضي الله عنه من مبلغ فيه خرم بالراء المهملة وأصله فمن مبلغ وقوله النجاء يقال نجوت من كذا نجاة بالقصر والتأنيث ونجاء بالمد والتذكير وفي البيت الثاني تقديم وتأخير وتقديره الى الله وحده لا الى اللات والعزى وقوله في البيت الثالث طاهر القلب صفة مشبهة مجارية للمضارع وهي مطاوبة في المعنى لينجو فاعلا وليس اسما ولم يتنازعاها بل المسئلة من الحذف ومثله ما قام وقعد الا زيد لانه لو كان من التنازع

في البيت العاشر بقوله فلا يغرنك ما منت وما وعدت الخ ثم ضرب لها مواعيد عرقوب مثلا في البيت الحادي عشر بقوله

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا الخ ثم ذكر انه يرجو ويأمل ان تدنو مودتها في البيت الثاني عشر بقوله

أرجو وآمل أن تدنو مودتها الخ ثم ذكر انها صارت بارض بعيدة في البيت الثالث عشر بقوله

أمست سعاد بارض الخ ثم ذكر انه لا يبلغه اليها الا ناقة صفتها كذا وكذا وأطال في وصفها على عادة العرب في ذلك من أول البيت الرابع عشر الى آخر البيت الثالث والثلاثين فاستوفى عشرين بيتا في وصفها ثم أخذ في ذكر النوع الرابع فذكر حال الوشاة في البيت الرابع والثلاثين بقوله تسعى الوشاة حوالها الخ واستطرد في ذلك الى آخر البيت السابع والثلاثين وهو قوله

كل ابن انثى وان طالت سلامته الخ ثم تخلص الى المقصود من القصيدة وهو مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم في البيت الثامن والثلاثين بقوله

انبئت ان رسول الله أوعدني الخ واستطرد في ذلك الى آخر البيت الموفي خمسين وهو قوله

ان الرسول لسيف يستضاء به الخ فاستوفى ثلاثة عشر بيتا في مدحه صلى الله عليه وسلم ثم انتقل الى ما هو بمنزلة التتمة والخاتمة وهو مدح المهاجرين بقوله في البيت الحادي والخمسين في فتية من قريش الخ واستطرد في ذلك الى آخر البيت السابع والخمسين وهو قوله لا يقع الطعن الا في نحورهم البيت وهو آخر

القصيدة لانها اشتملت على سبعة وخمسين بيتا ولم يتعرض فيها لمدح الانصار لانه وجد في نفسه من الذي قال منهم يارسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له بعد ذلك لوذكرت الانصار بخير فان الانصار لذلك أهل فمدحهم بقصيدة أخرى مطلعها

من سره كرم الحياة فلا يزل * في مقنب من صالح الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر * ان الخيار هم بنو الاخيار

الى آخرها والحاصل ان هذه القصيدة ترجع الى ثلاثة أقسام الغزل ويعبر عنه بالتشبيب ثم مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهو المقصود منها ثم مدح المهاجرين فاستطرد في الغزل الى آخر البيت السابع والثلاثين وتخلص الى مدح النبي صلى الله عليه وسلم من البيت الثامن والثلاثين الى البيت الموفى خمسين وانتقل الى مدح المهاجرين من البيت الحادي والخمسين الى آخرها واعلم أن هذه القصيدة من بحر البسيط وأجزاؤه مستفعلن فاعل مستفعل فعلن مرتين كما قال القائل

ان البسيط لديه يبسط الامل * مستفعلن فاعل مستفعلن فعل

وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود فأقول وبالله التوفيق لا قوم طريق قول الامام الجليل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير رضي الله تعالى عنه ونفعنا ببركاته آمين

لاضمر في أحدهما ضمير المتنازع فيه فيفسد المعنى لاقتضائه حينئذ نفي الفعل عنه وانما هو منفي عن غيره ومثبت له وقوله في البيت الاخير فدين زهير مبتدأ ومضاف اليه وقوله ودين أبي سلمى معطوف عليه وقوله على محرم خبر ومابينهما اعتراض وهو اعتراض حسن بديع ويحتمل افراده الخبر مع تعدد المخبر عنه وجهين أحدهما أن يكون الاصل فاتباع دين زهير ودين أبي سلمى ثم حذف المضاف ونظيره الحديث ان هذين حرام على ذكور أمتي أي استعمال هذين أي الذهب والحرير والثاني ان دين زهير ودين أبي سلمى واحد وانما أعيد المضاف توكيدا كقوله

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك * ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له * أكيلا فاني لست آكله وحدي
قصيا كريما أو قريبا فانني * أخاف مذمات الاحاديث من بعدي
واني لعبد الضيف مادام نازلا * ومالي خلال غيرها شيمة العبد

الشاهد في البيت الاول وأشار باشتراط الكرم في البعيد دون القريب الى ان ذوي القرابة كلهم كرام وفي قوله ومالي خلال البيت احتراس كقوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ويروى * فدين زهير وهو لا شئ غيره * قال أبو بكر بن الانباري قال أبو عكرمة معناه فدين زهير غيره أي غير الحق وهو لا شئ اهـ فعلى هذا فقوله محرم خبر عن شئ واحد في اللفظ والتقدير وهو دين أبي سلمى فلا اشكال

﴿الفصل الثاني في بيان بحر هذه القصيدة وعروضها وضربها وقافيتها وما اشتملت عليه من المعاني اجمالا﴾

فنقول هي من بحر البسيط وهو ثمانية أجزاء كالطويل الا ان سباعيه مقدم على خماسيه فانه مستفعلن فاعلن أربع مرات والطويل فعولن مفاعيلن أربع مرات وعروضه مخبونة أي محذوفة الالف فتصير فعلن بتحريك العين كما كانت قبل حذف الالف وهي العروض الاولى من أعاريض البسيط الثلاثة وبيتها

ياحار لا أرمين منكم بداهية * لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

وضربها مقطوع أي محذوف من وتده المجموع حرف متحرك أو زنة حرف متحرك فيبقى على فال فينقل الى فعلن بسكون العين وهو الضرب الثاني من اضرب البسيط الستة ومن ضربي العروض المخبونة والردف لازم لهذا الضرب وبيته

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني * جرداء معروقة اللحيين سرحوب

ولنقطع البيت الاول ليقاس عليه نظائره

بانت سعا مستفعلن دفقل فعلن دخله الخبن بحذف ألف فاعلن وهو زحاف جائز في حشو هذا البحر بي اليوم مت مستفعلن بول فعلن محذوف متيم متفعلن اثرها فاعلن لم يفد مك مستفعلن بول فعلن محذوف مردف فان قلت الحذف في الضرب واقع على ماذكرت فما بال العروض جاءت محذوفة أيضا وانما ذكرت انها مخبونة قلت تصريع البيت أوجب ذلك ومعنى التصريع ان تجعل العروض المخالفة للضرب كالضرب في الوزن والاعلال مع

تحليتها

تحليتها بحرف الروى وقافية هذه القصيدة من المتواتر وهو الذى يقع بين ساكنيه حرف واحد متحرك شاهده

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد * لقد زادنى ذكراك وجدا على وجدى

وأول شئ اشتملت عليه هذه القصيدة التشبيب وهو عند المحققين من أهل الادب جنس يجمع أربعة أنواع أحدها ذكر ما فى المحبوب من الصفات الحسية والمعنوية كحمرة الخد ورشاقة القد كالجلالة والخفر والثانى ذكر ما فى المحب من الصفات أيضا كالنحول والذبول وكالحزن والشغف والثالث ذكر ما يتعلق بهما من هجر ووصل وشكوى واعتذار ووفاء واخلاف والرابع ذكر ما يتعلق بغيرهما بسببهما كالوشاة والرقباء ويسمى النوع الاول تشبيبا أيضا وبيان التشبيب فيها انه ذكر محبوبته وما أصاب قلبه عند ظعنها ثم وصف محاسنها وشبهها بالظباء ثم ذكر ثغرها وريقها وشبهها بخمرة ممزوجة بالماء ثم انه استطرد من هذا الى وصف ذلك الماء ثم من هذا الى وصف الابطح الذى أخذ منه ذلك الماء ثم انه رجع الى ذكر صفاتها فوصفها بالصدود واخلاف الوعد والتلون فى الود وضرب لها عرقوبا مثلا ثم لام نفسه على التعلق بمواعيدها ثم أشار الى بعد ما بينه وبينها وانه لا يبلغه اليها الا ناقة من صفتها كيت وكيت وأطال فى وصف تلك الناقة على عادة العرب فى ذلك ثم انه استطرد من ذلك الى ان ذكر الوشاة وانهم يسعون بجانبى الناقة ويحذرونه القتل وان أصدقاءه رفضوه وقطعوا حبل مودته وانه أظهر لهم الجلد واستسلم للقدر وذكر لهم أن الموت مصير كل ابن أنثى ثم خرج الى المقصود الاعظم وهو مدح سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الاعتذار اليه وطلب العفو منه والتبرى مما قيل عنه وذكر شدة خوفه من سطوته وما حصل له من مهابته ثم الى مدح أصحابه المهاجرين رضى الله عنهم أجمعين وهذا حين نبتدئ القول فى شرح أبيات القصيدة وبالله حسن التوفيق (قال رضى الله عنه)

* بانت سعاد فقلبى اليوم متبول * متيم اثرها لم يفد مكبول *

(قوله بانت) معنى بان فارق وله مصدران البين وسيأتى فى البيت الثانى والبينونة ووزنه عند البصريين فيعلولة وأصله بيينونة بياءين الاولى زائدة والثانية عين ثم أدغمت الاولى فى الثانية فصار بيّنونة ثم خفف بحذف الثانية كما فعل بسيد وميت فصار بينونة على وزن فيلولة والتزم فيه التخفيف لطوله ومذهب الكوفيين انه فعلولة بالضم كعصفورة ثم كسرت فاؤه لتسلم الياء ثم فتحت لثقل كسرة وضمة ليس بينهما حاجز حصين ثم فعلوا ذلك فى ديمومة ونحوه حملا لذوات الواو على ذوات الياء لان ذوات الواو فى هذا البناء أقل والتاء حرف تأنيث لا اسم للمؤنث كالياء فى قومى بدليل انها تجامع الضمير بخلاف الياء تقول فى قامت قامتا اذا أردت الاثنين ولا تقول فى قومى قوميا (قوله سعاد) هو علم مرتجل يريد به امرأة يهواها حقيقة أو ادعاء وكونه حقيقى التأنيث موجب للحاق التاء للفعل بخلاف نحو طلعت الشمس ففيه الوجهان وزيادته على الثلاثة موجب لمنع صرفه بخلاف نحو هند ففيه الوجهان ومانع من لحاق التاء اذا صغر بخلاف نحو هند وشمس وقدم فتجب فيهن التاء والجملة مستأنفة فلا محل لها (قوله فقلبى) اعلم أن للفاء ثلاث حالات احداها أن تأتى لمجرد السببية والربط نحو ان جئتنى

(قوله بانت سعاد الخ) لما كان مبنى ابتداء هذه القصيدة على الغزل والتشبيب جريا على عادة أكثر الشعراء فى ابتداء قصائد المدح بمثل ذلك كما تقدم ذكره فى المقدمة وكان من جملة الغزل والتشبيب ذكر صفات المحب كالشغف ونحوه صدر كلامه بذكر الفراق ليرتب عليه ما يأتى من لوازم المحبة وعوارضها ولا شك ان فراق الاحبة من أشد الآلام وأعظم الاحزان فلذا قال بانت سعاد الخ ومعنى بانت فارقت فراقا بعيدا يقال بان يبين كباع يبيع بينا وبينونة اذا فارق فراقا بعيدا فالبين الفراق البعيد ويقال للوصل أيضا فهو من الاضداد ومنه قوله تعالى لقد تقطع بينكم بالرفع أى وصلكم وهو فى عرف الشرع اسم للطلاق غير الرجعى وعلم مما تقرر ان بان هنا بمعنى فارق لا بمعنى ظهر كما فى قوله

بان أمر الاله واختلف النـ * ـاس فداع الى ضلال وهاد

وسعاد فاعل بانت وهو اسم المحبوبة التى بنى مطلع القصيدة على التغزل فيها والتشبيب بها كما كان مجنون ليلى يتشبب بليلى وكثير عزة يتشبب بعزة وذو الرمة يتشبب بمى وقيس يتشبب بلبنى الى غيرهم من المتشببين فى الجاهلية والاسلام فان قيل كيف ساغ له ان يتغزل بامرأة فى قصيدة أنشدها بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم مع ان التغزل ممتنع أجيب بأنه جرى فى ذلك على عادة العرب فى اشعارها من ابتدائها بالتغزل والتشبيب مع قرب عهده بالاسلام وقد نص العلماء رضى الله عنهم

فأنا أكرمك اذ لو كانت عاطفة كان ما بعدها شرطا واحتيج للجواب ونحو انا أعطيناك الكوثر
فصل لربك وانحر لانه لا يعطف الانشاء على الخبر ولا الخبر على الانشاء هذا قول الاكثرين
وهو الصحيح واستدل من أجاز ذلك بقوله

تناغي غزالا عند باب ابن عامر * وكحل ماقيك الحسان باثمد

وقوله

وان شفائي عبرة ان سفحتها * وهل عند رسم دارس من معول

ولا دليل في هذا لان الاستفهام مراد به الانكار فهو مثله في هل جزاء الاحسان الا
الاحسان فهو خبر لا انشاء وأما الاول فلا نسلمه الا بعد الوقوف على ما قبله من الابيات
والثانية أن تأتي لمحض العطف نحو جاء زيد فعمرو وقوله تعالى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء
أحوى والثالثة أن تأتي لهما كقوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه فتلقى آدم من ربه كلمات
فتاب عليه وهذا هو الغالب على الفاء المتوسطة بين الجمل المتعاطفة ومنه الفاء في هذا البيت
وعطف الاسمية على الفعلية جائز عند الجمهور مطلقا بدليل قولهم في نحو قام زيد وعمرا أكرمته
ان نصب عمرو أرجح من رفعه وتعليلهم ذلك بأن تناسب الجملتين المتعاطفتين أولى من
تخالفهما وقيل ممتنع مطلقا وان ارتفاع الضرس من قوله

عاضها الله غلاما بعدما * شابت الاصداغ والضرس نقد

على اضمار فعل يفسره نقد وذهب الفارسي الى جوازه اذا كان العاطف الواو خاصة نقله عنه
تلميذه أبو الفتح في سر الصناعة وعلى هذين المذهبين فالفاء لمحض السببية لا للعطف والقلب
أربعة معان أحدها الفؤاد ومنه ختم الله على سمعه وقلبه وهو المراد هنا وانما سمي قلبا لتقلبه
وقيل القلب أخص من الفؤاد ومنه الحديث أتاكم أهل اليمن هم أرق قلوبا وألين أفئدة
الايمان يمان والحكمة يمانية فوصف القلوب بالرقة والافئدة باللين والثاني العقل ومنه
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب والثالث خالص كل شئ ومحضه ومنه الحديث لكل شئ
قلب وقلب القرآن يس والرابع مصدر قلبه وجمع القلب قلوب وأقلب عن اللحياني (قوله
اليوم) فيه مسئلتان احداهما انه يطلق على أربعة أمور أحدها مقابل الليلة ومنه
سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام الثاني مطلق الزمان كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره
وآتوا حقه يوم حصاده الى ربك يومئذ المساق المراد ساعة الاحتضار وتقول فلان اليوم
يعمل كذا قال الشاعر * اذا جاء يوما وارثي يطلب الغنى * ومنه بيت كعب هذا ويستعمل
هذا الاستعمال الساعة ومنه قوله تعالى الذين اتبعوه في ساعة العسرة المراد به زمن غزوة
تبوك وكذلك الغداة وسيأتي في البيت بعد هذا والثالث مدة القتال نحو يوم حنين ويوم
بعاث وهو يوم للاوس والخزرج وهو بضم الباء الموحدة وبالعين المهملة وبالثاء المثلثة
والرابع للدولة ومنه وتلك الايام نداولها بين الناس * المسئلة الثانية انه ظرف لما بعده وهو
متبول لا متيم لانه لم يجئ حتى استوفاه الاول ولئلا يلزم فصل العامل من معموله بالاجنبي
ومن جوز تنازع العاملين المتأخرين وجعل منه بالمؤمنين رؤف رحيم جاز ذلك عنده هنا
وباب التنازع يجوز فيه ما لا يجوز في غيره من الفصل واذا قيل بذلك فيترجح اعمال الاول

على أنه انما يمتنع التغزل اذا كان بشخص معين رجلا كان أو امرأة أجنبية بخلاف ما اذا كان بغير معين أو بحليلته فانه
لا يمتنع ويدل على جوازه سماع
النبي صلى الله عليه وسلم واقراره
عليه فيحتمل انه لم يقصد بذلك
امرأة معينة لما جرت به عادة
غالب الشعراء من انهم يفتتحون
قصائدهم بالتغزل في محبوب
غير معين بل وان لم يكن حب
بالكلية يقصدون بذلك تمليح
الكلام وتحسينه لان طباعهم
تميل للعشق والتغزل فيه
ويحتمل انه قصد امرأة معينة
كانت حليلته وبانت عنه فتغزل
فيها فقد قال في شرح المواهب
قال الروياني في البحر هي امرأته
طالت غيبته عنها لهروبه من
النبي صلى الله عليه وسلم فذكر
ما في هذه القصيدة لذلك وبه
جزم البرهان على ان محبتهم
كانت غير مفضية الى القبيح ولله
در القائل حيث يقول

أنزه في روض المحاسن مقلتي
وامنع نفسي ان تنال محرما

ولهذا هلك كثير من المتيمين
في عشق من أحبوه صبرا عن
الوصال وصيانة من النساء وعفة
من الرجال وقد قيل لرجل من
بني عذرة ما بال الرجل منكم
يموت في هوى امرأة فقال لان
في نسائنا جمالا وفي رجالنا عفة
وقد نص العلماء رضي الله عنهم
ان الميت عشقا شهيد لحديث
من عشق فصبر فعف فكتم فمات
فهو شهيد وان كان الحديث فيه
ضعف والى هذا المعنى أشار أبو
القاسم القشيري بقوله

ان المحب اذا وفى صابرا * كانت منازله مع الشهداء

لكن يبعد احتمال كونها عند

زوجته السياق الآتي حيث وصفها بإخلاف الوعد وبالتلون الى غير ذلك والفاء فى فقلبى للسببية مع العطف بناء على مذهب الجمهور ومن جواز عطف الاسمية على الفعلية ولمحض السببية بناء على مذهب غير الجمهور ومن عدم جواز ذلك لا لمجرد العطف فالفاء لها ثلاث حالات الاولى ان تكون للسببية مع العطف كما فى نحو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه الثانية ان تكون لمحض السببية كما فى نحو ان جئتنى فأنا أكرمك الثالثة ان تكون لمجرد العطف كما فى نحو جاء زيد فعمرو والقلب أربعة معان أحدها اللحم الصنوبرى الشكل أى الذى شكله على شكل الصنوبر بحيث يكون غليظ الاعلى دقيق الاسفل كقمع السكر كما هو مشاهد فى نحو قلب الخاروف ومحله من البدن الجانب الايسر من الصدر قال بعضهم وهذا هو السر فى كون الطائف يجعل البيت عن يساره ومن هذا المعنى قوله تعالى وختم على سمعه وقلبه ثانيها العقل ومنه قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ثالثها خالص كل شئ ومنه الحديث لكل شئ قلب وقلب القرآن يس ١١ رابعها المعنى المصدرى لانه يقال قلبه قلبا والمراد به هنا المعنى الاول لانه هو الذى يكون متبولا أى سقيما ضعيفا ويصح ان يراد المعنى الثانى ويكون المراد من كونه متبولا كون العقل ضعيفا ويكون المعنى حينئذ انه انتهى به الحب الى الوله والهيام بحيث اختل عقله فصار كالمجنون الهائم على وجهه لا يدرى أين يتوجه وهذا موافق لما يقوله الاطباء من ان العشق نوع من الماليخوليا حتى قال بعضهم

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم
الحب أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه
وانما يصرع المجنون فى الحين

وانما سمى القلب قلبا لتقلبه فى الامور ولتقليب الله له كما فى الحديث القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقوله اليوم ظرف لما بعده قدم عليه لافادة الحصر فكونه متبولا انما حصل زمن فراقها لا قبله والمراد باليوم هنا مطلق الزمان كما فى قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده أى زمنه ويطلق على مقابل الليل ومنه قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام وعلى مدة القتال نحو قوله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم وعلى الدولة ومنه قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وقوله متبول بتقديم الفوقية على الموحدة من تبله الحب يتبله من باب قتل أسقمه وأضناه وأضعفه وفى نسخة مبتول بتقديم الموحدة على المثناة الفوقية من البتل وهو القطع ومنه قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا أى انقطع اليه انقطاعا كاملا ومنه البتول للزهراء لانقطاعها عن الدنيا بانواعها وعلى كل فهو خبر أول وقوله متيم خبر ثان عند من أجاز تعدد الخبر وأما عند من منعه فهو خبر عن مبتدا محذوف أو صفة لمتبول عند من جوز وصف الصفة وهو بتشديد الياء المفتوحة من تيمه الحب بمعنى استعبده وأذله اذ المحب فى جناب الحبيب كالعبد اللبيب فى مقام الاطاعة فى كل ساعة ومذلل محقر مأمور منقاد اذ العبودية تستلزم ذلك وقوله اثرها بكسر الهمزة وسكون المثلثة ويقال فيه أثر بفتحتين وهو محل المشى وموضع القدم

عند الجميع لاجتماع صفتى القرب والسبق فيه ولا يجوز فيه أن يتعلق بكون محذوف على ان يكون خبرا لان الزمان انما يكون خبرا عن الاعراض دون الجواهر (وقوله متبول) خبر ويقال تبلهم الدهر أى أفناهم والحب أى أسقمهم وأضناهم ومن الاول قول الاعشى

أأن رأت رجلا أعشى أضر به * ريب الزمان ودهر مفسد تبل

أى ودهر مفن للاهل والمال ومن الثانى بيت كعب ويقال من معنى الافناء أتبلهم أيضا وعليه يروى ودهر متبل خبل (وقوله متيم) خبر ثان عند من أجاز تعدد الخبر وأما من منعه فهو عنده خبر عن هو محذوفا أو صفة لمتبول عند من جوز وصف الصفة وحجة المانع انها كالفعل وهو لا يوصف ولو صح هذا لم يصح التصغير وهو جائز بلا خلاف نعلمه ويقال تيمه الحب وتامه بمعنى استعبده وأذله ومن الثانى تيم اللات سموا بالمصدر وقول الشاعر

تامت فؤادك لو يحزنك ما صنعت * احدى نساء بنى ذهل بن شيبانا

استشهد به ابن الشجرى على ان لو قد تجزم حملا على ان ولا دليل فيه لاحتمال انه سكنه تخفيفا لتوالى الحركات كقراءة أبى عمرو وما يشعركم باسكان الراء أو للضرورة كقول امرئ القيس

فاليوم أشرب غير مستحقب * اثما من الله ولا واغل

(وقوله اثرها) فيه مسئلتان * الاولى الاثر بالكسر والسكون أو بفتحتين ونظيره مما جاء على فعل وفعل قيد رمح وقاده وقيب قوس وقابه وقلت قيلا وقالا وكيح وكاح لعرض الجبل وحاؤه مهملة وقد عقد يعقوب لذلك فى كتاب الاصلاح بابا ويقال لفرند السيف أثر بفتح الهمزة وضمها كلاهما مع سكون العين قال

جلاها الصيقلون فاخلصوها * خفاه كلها يتقى بأثر

أى كل يستقبلك بفرنده ويقال اتقاء بتقيه بالتشديد وتقاه يتقيه بالتخفيف كما فى البيت وكقوله زيارتنا نعم مالا تنسينها * تق الله فينا والكتاب الذى تتلو

* المسئلة الثانية انه اما ظرف لمتيم متعلق به واما حال من ضميره فيتعلق بكون محذوف ولا يحسن أن يكون متعلقا بمتبول ولا كونه حالا من ضميره للبعد اللفظى والمعنوى وليس بممتنع وعلى تقديره ظرفا له فيكون الوصفان قد تنازعاه كما تنازع ممطول ومعنى الغريم فى قوله

قضى كل ذى دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

فى قول بعضهم ولا يصح ذلك على تقدير الحالية لانهما حينئذ انما يطلبان الكون المطلق الذى تعلق به لانه الحال بالحقيقة ولم يثبت التنازع فى المحذوف ولانا اذا أعملنا الاول أضمرنا فى الثانى والضمير لا يعمل والحال لا يضمر لانها واجبة التنكير وجوز ابن معط وقوع التنازع فى الحال فى نحو زرنى أزرك راغبا قال واذا أعملت الاول قلت زرنى أزرك فى هذه الحالة راغبا ويروى عندها بدل اثرها وعند اسم لمكان حاضرا وقريب فالاول نحو فلما رآه مستقرا عنده والثانى نحو ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى وقد يكون الحضور والقرب معنويين نحو قال الذى عنده علم من الكتاب ونحو رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة وقد تفتح فاؤها وقد تضم ولا تقع عند الا منصوبة على الظرفية أو مخفوضة بمن وعنها ألغز الحريرى بقوله وما اسم منصوب أبدا على الظرف لا يخفضه سوى حرف وقول العامة ذهبت الى عنده لحن (وقوله لم) هى حرف جزم لنفى المضارع وقلب زمنه ماضيا وقيل حرف جزم لنفى الماضى وقلب لفظه مضارعا (وقوله يفد) مضارع فدى الاسير اذا أعطى فداءه واستنقذه وكذلك معنى فاداه وقال قوم انما يقال فاداه بالالف اذا كان الفداء أسيرا أيضا لا مالا فان ضعفت عين فداه صار معناه قال له جعلت فداءك وجملة لم يفد اما خبر آخر ان قلنا بجواز تعدد الخبر مختلفا بالافراد والجملة وهو ظاهر اطلاق كثير منهم وصرح بعضهم بتجويزه فى قوله تعالى فاذا هم فريقان يختصمون فاذا هى حية تسعى ولكن أبا على صرح بالمنع واما صفة لمتيم كما يقول أبو على فى الجملة من هاتين الآيتين واما حال اما من ضمير متيم وهو الظاهر أو من ضمير متبول وعلى هذا التجويز فيمتنع ان تكون المسئلة من التنازع لتعذر الاضمار من وجهين كون الحال واجبة التنكير وكون الجملة لا تضمر ويروى لم يجز ولم يشف (وقوله مكبول) يقال كبله كضربه وكبله مشددا ومعناهما وضع فى رجله الكبل بفتح الكاف وقد تكسر وهو القيد فقيل مطلقا وقيل الضخم وقيل أعظم ما يكون من الاقياد فهو مكبول ومكبل ويقال فى المكبل مكلب على القلب قال طفيل

أبأنا بقتلانا من القوم ضعفهم * وما لا يعد من أسير مكلب

ومعنى أبأنا قتلنا ويقال أيضا كبله بالتخفيف بمعنى حبسه فى سجن أو غيره وفى الحديث اذا وقعت السهمان فلا مكابلة أى فلا يحبس أحد عن حقه وقال

اذا كنت فى دار يهينك أهلها * ولم تك مكبولا بها فتحول

أنشده ابن سيده على ذلك والصواب انه محتمل للمعنيين وفى هذا البيت احتراس بخلاف قوله *واذا نبا بك منزل فتحول* (قال كعب رضى الله عنه)

وما

من الارض وهو ظرف لمتيم أو حال من ضميره فيتعلق بكون محذوف أى حالة كونه كائنا اثرها ولا يحسن تعليقه بمتبول ولا كونه حالا من ضميره للبعد اللفظى والمعنوى وجملة قوله لم يفد خبر ثالث ان قلنا بتعدد الخبر مختلفا بالافراد والجملة فيكون من قبيل الاخبار بالجملة بعد الاخبار بالمفرد ويصح ان تكون صفة لمتيم ومعنى لم يفد لم يقع له فداء من أسره الذى وقع فيه اما لكونه لم يجد من يفديه واما لكونه لم يختر الفداء بل كان أسر المحبة أحب اليه ويروى لم يشف بدل لم يفد بمعنى انه لم يحصل له شفاء من مرضه وسقمه ويكون ذلك مرتبطا بقوله متبول لا بقوله متيم وقوله مكبول خبر رابع وهو بفتح الميم وسكون الكاف وضم الباء بعدها واو فى آخره لام بمعنى القيد يقال كبل الاسير بالتخفيف وكبله بالتشديد اذا وضع فى رجله الكبل بفتح الكاف وقد تكسر مع سكون الباء فيهما وهو القيد قيل مطلقا وقيل الضخم وقيل أعظم ما يكون من القيود أو بمعنى المسجون يقال كبله بالتخفيف اذا حبسه فى سجن أو غيره فهو محتمل لمعنيين وحاصل معنى البيت انه فارقته محبوبته فبسبب فراقها صار قلبه فى غاية الضنا والسقم والذل والاسر والقيد أو السجن لا يجد له هربا من الاسر ولا فكاكا من القيد أو السجن

﴿وماسعاد غداة البين اذ رحلوا * الا أغن غضيض الطرف مكحول﴾

(قوله وماسعاد) الواو عاطفة على الفعلية لا على الاسمية وان كانت أقرب وأنسب لكون المعطوفة اسمية لان هذه الجملة لا تشارك تلك في التسبب عن البينونة وسعاد مبتدا لا اسم لما لانتقاض النفي بالا والاصل وماهي فاناب الظاهر عن المضمر والذي سهله انهما في جملتين مستقلتين وانهما في بيتين وان بينهما جملة فاصلة وان اسم المحبوب يلتذ باعادته ودونه قول الحطيئة

ألا حبذا هند وأرض بها هند * وهند أتى من دونها النأي والبعد

لانهما في جملة واحدة وبيت الكتاب وهو للجعدي

اذا الوحش ضم الوحش في ظللاتها * سواقط من حر وقد كان أظهرا

لان الجملتين كالجملة الواحدة لان الرافع للوحش الاول فعل محذوف كما يقول جمهور البصريين فالفعل المذكور سادّ مسدّ الفعل المحذوف حتى كأنه هو ولهذا لا يجتمعان وان قدر رفع الوحش بالابتداء كما يقول أبو الحسن فالجملة واحدة فهو كبيت الحطيئة بل دونه لانه ليس اسما يلتذ به وأسهل من هذا البيت قوله

اذا المرء لم يغش الكريهة أوشكت * حبال الهوينا بالفتى أن تقطعا

لاختلاف لفظي الظاهرين فاشبها الظاهر والمضمر في اختلاف اللفظ وانما يحسن اعادة الظاهر في الجملة الواحدة في مقام التعظيم نحو فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة أو التهويل نحو الحاقة ما الحاقة بخلاف قوله

ليت الغراب غداة ينعب دائبا * كان الغراب مقطع الاوداج

الا ان الذي سهل هذا قليلا تباعد ما بين الظاهرين (وقوله غداة) فيه مسائل * الاولى هي اسم لمقابل العشي قال الله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي وقد يراد بها مطلق الزمان كما تقدم في الساعة واليوم قال

غداة طفت علماء بكر بن وائل * عشية لاقينا جذام وحميرا

ألا ترى انه قد أبدل منها العشية وهي في بيت كعب محتملة لذلك * المسئلة الثانية وزنها فعلة بالتحريك ولامها واو لقولهم في جمعها غدوات ونظيرها صلاة وصلوات وزكاة وزكوات ولانها من غدوت لقولهم غدوة وأما قولهم فلان يأتينا بالغدايا والعشايا فقال الجرجاني في شرح التكملة وابن سيده في شرح أبيات الجمل انها جاءت الياء فيه للتناسب عشايا والصواب ان الذي فعل الازدواج انما هو جمع غداة على غدايا فانها لا تستحق هذا الجمع بخلاف عشية فانها كقضية ووصية وأما الياء فانها تستحقها بعد ان جمعت هذا الجمع وهي مبدلة من همزة فعائل لا من لام غداة التي هي الواو وبيان ذلك ان العشايا أصلها عشائو بواو متطرفة هي لامها وتلك الواو بعد الهمزة المنقلبة عن الياء الزائدة في عشية كما في صحيفة وصحائف ثم قلبوا الكسرة فتحة للتخفيف كما فعلوا في صحارى وعذارى قال امرؤ القيس * ويوم عقرت للعذارى مطيتي * الا انهم التزموا هذا التخفيف في الجمع الذي اعتلت لامه وقبلها همزة لانه أثقل ثم انقلبت اللام ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم أبدلت الهمزة ياء تخفيفا لاجتماع الاشباه اذ الهمزة تشبه الالف وقد وقعت بين ألفين ثم لما جمعوا غداة على فعائل للمناسبة وكان كل شئ

عليه من المحاسن فشبهها بظبي موصوف باحسن الصفات من الغنة في الصوت وغض الطرف والكحل فلذا قال وماسعاد الخ فالبيت الاول يشير الى كمال احتياج المحب الى المحبوب والثاني يومي الى كمال استغناء المحبوب في مقام المطلوب والواو عاطفة للجملة الاسمية على الجملة الفعلية السابقة وهي بانت سعاد لا على الجملة الاسمية التي بعدها وهي فقلبي الخ لان هذه لا تناسب تلك في التسبب عن البينونة وما نافية ملغاة لا عمل لها حتى عند الحجازيين لانتقاض النفي بالا فقد انتفى شرط عملها عندهم وهو بقاء النفي فسعاد مبتدا وليس اسما لما لانتقاض النفي بالا كما علمت وسعاد هي محبوبته التي تقدم ذكرها في البيت الاول فالمقام للاضمار بان يقول وماهي لكنه أقام الظاهر مقام المضمر استلذاذا بذكرها ولله در القائل حيث يقول

يامن اذا ذكر اسمه في مجلس
لذ الحديث به وطاب المجلس

ويعزى لسيدي علي وفا رضي الله عنه

ان شئت تذكر لي الحبيب فهات
من أجل ذا حببت للحانات
لا تحسبن اني نسيت وانما
ذكر الحبيب يضاعف اللذات

وغداة ظرف زمان وهي اسم لمقابل العشي قال تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي وقد يراد بها مطلق الزمان كما تقدم نظيره

في اليوم وكلامه في البيت يحتملهما والعامل فيهما ما يفيد التشبيه في قوله الا أغن فان المعنى على التشبيه كما سيأتي والتقدير الا كظبي أغن فالمعنى هي شبيهة بالظبي الاغن ١٤ في غداة البين كذا قال بعضهم لكن قال ابن هشام فان قلت الحرف الحامل للتشبيه يقدر بعد الا وما بعد الا لا يعمل فيما قبلها اذا كان فعلا مذكورا بالاجماع فما ظنك اذا كان حرفا محذوفا قلت المخلص من ذلك أن يقدر حرف التشبيه قبل الا وقبل الظرف أيضا والتقدير وما كسعاد في هذا الوقت الا ظبي أغن ثم قال فان قلت هذا عكس المعنى المراد قلت بل هو محصل للمعنى المراد على وجه أبلغ وذلك أنهم اذا بالغوا في التشبيه عكسوه فجعلوا المشبه أصلا والمشبه به فرعا وفي ذلك من المبالغة ما لا خفاء به والبين مضاف اليه وهو مصدر بان بمعنى فارق كما تقدم وأل فيه للعهد واذ ظرف لما مضى من الزمان وهو محتمل لثلاثة أوجه الاول وهو الظاهر أن يكون بدلا من غداة البين كما في قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر والثاني أن يكون ظرفا ثانيا لا بدلا من الظرف الاول والثالث أن يكون ظرفا للبين وجملة قوله رحلوا في موضع خفض باضافة اذ اليها وانما أتى بضمير الجمع اما لقصد تعظيمها واما للاشارة الى أنها رحلت مع قومها وفي نسخة رحلت وهي ظاهرة وانما خص غداة البين ووقت الرحيل بالذكر مبالغة في حسنها فان الشخص يكون في ارث حالة بعد مفارقة الحبيب وتوديع الصديق مع ما ينضم الى ذلك من التأثر بفراق الوطن عند الرحيل وأيضا في
فيه اشارة الى انها مخدرة لا ترى الا عند الرحيل لافضائه الى البروز من الخباء فعند ذلك وقع بصره عليها والا حرف ايجاب للنفي فهي

جمع على فعائل ولامه همزة أو ياء أو واو لم تسلم في الواحد مستحقا الان يبدل من همزته ياء كخطايا ووصايا ومطايا فعلوا ذلك في غدايا الان واو غداة لم تسلم فان قلت قدر الغدايا جمعا للغدوة وقد صح لامها الان الواو قد سلمت في الواحد فكان القياس غداوى كما يقال هراوة وهراوى قلت يأبى هذا أمران أحدهما انهما اتفقا الا انها جمع غداة فكيف أحمل كلامهما على ما صرحا بخلافه والثاني انه اذا دار الامر بين اسناد الحكم الى المناسبة واسناده الى أمر مقتض في الكلمة نفسها تعين القول بالثاني وزعم ابن الاعرابي ان الغدايا لم تقل للمناسبة البتة وانما هي جمع لغدية لا لغداة واستدل على ثبوت غدية بقوله

ألا ليت حظي من زيارة أميه * غديات قيظ أو عشيات أشتيه

ولا دليل في هذا لجواز أن يكون انما جاز غديات لمناسبة عشيات لا لانه يقال غدية * المسئلة الثالثة حكمها في التعريف انها تعرف تارة بأل كما في قوله تعالى بالغداة والعشي وقول الحماسي

أشاب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومر العشي

وتارة بالاضافة كما في بيت كعب وهي في ذلك مخالفة لغدوة فان الغالب تعريفها بالعلمية تقول جئتك يوم الجمعة غدوة وسمع الفراء أبا الجراح يقول في غداة يوم بارد ما رأيت كغدوة يريد غداة يومه وربما عرفت بأل كقراءة ابن عامر بالغدوة والعشي * المسئلة الرابعة عاملها التشبيه اذ المعنى انها تشبه غداة بانت ظبيا من صفته كيت وكيت فان قلت الحرف الحامل لمعنى التشبيه مقدر بعد الا وما بعد الا لا يعمل فيما قبلها اذا كان فعلا مذكورا بالاجماع فما ظنك به اذا كان حرفا محذوفا قلت المخلص من ذلك أن يقدر حرف التشبيه قبلها وقبل الظرف أيضا اتكالا على سعاد أي وما كسعاد في هذا الوقت الا ظبي أغن فان قلت هذا عكس المعنى المراد قلت بل هو محصل للمراد على وجه أبلغ وذلك انهم اذا بالغوا في التشبيه عكسوه فجعلوا المشبه أصلا في ذلك المعنى والمشبه به فرعا عليه وفي ذلك من المبالغة ما لا خفاء به وعلى ذلك قول ذي الرمة * ورمل كاوراك العذارى قطعته * وقول رؤبة

ومهمه مغبرة أرجاؤه * كأن لون أرضه سماؤه

الاصل كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه فعكس التشبيه وحذف المضاف وقول أبي تمام يصف قلم ممدوحه

لعاب الافاعي القاتلات لعابه * وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

وقلب الكلام جائز في التشبيه وغيره وانما يكون مقبولا عند المحققين اذا تضمن اعتبارا لطيفا كما في باب التشبيه ألا ترى انه أفاد المبالغة بجعل الفرع الذي يراد اثبات الحكم له أصلا وجعل غيره محمولا عليه وحينئذ فيبقى في البيت مبالغة من ثلاث جهات احداها ما في الكلام من حرفي النفي والايجاب المفيدين للحصر والثانية ما فيه من عكس التشبيه والثالثة حذف أداة التشبيه كما حذفت في قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات فان قلت عكس التشبيه خلاف الاصل فلا يدعى الا بدليل قلت دليله تعذر اعماله

اداة حصر لاعمل لها وأغن صفة لمحذوف أى الاظبى أغن وهو خبر سعاد والمعنى على التشبيه أى الاكظبى اغن وليس صفة لسعاد والا لقال غناء والاغن الذى فى صوته غنة وهى صوت لذيذ يخرج من أقصى الانف ١٥ وشبه به صوت الرياح فى الاشجار الملتفة ولذلك قيل روضة غناء وقد جاء فى وصف سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه انه كان فى صوته غنة حسنة وأمر الصوت عجيب فكما يقع العشق بواسطة النظر كذلك يقع بواسطة الصوت فقد قيل أسباب المحبة ثلاثة أشياء رؤية صورة أو سماع نغمة أو سماع وصف وهو أنواع فمنه ما يسر ويهيج حتى يرقص ويقلق ومنه ما يبكى ومنه ما يورث الغشى ويزيل العقل ومنه ما تنوم به الصبيان وتستخرج به الحية من جحرها وتسقى الدواب بالصفير وتصغى بآذانها اذا غنى لها المكارى وتزيد الابل فى مشيها اذا حدى لها الحادى وغضيض الطرف صفة ثانية للمحذوف الذى تقدم تقديره وغضيض بمعنى مغضوض كقتيل بمعنى مقتول والطرف بسكون الراء معناه البصر والمراد به هنا العين وغض الطرف فى الاصل ترك التحديق واستيفاء النظر لقصد الكف عن التأمل حياء من الله أو من الناس ومنه قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم أى يكفوا عما لا يحل لهم النظر اليه وهو فى البيت يحتمل أمرين أحدهما كسر الجفون وفتورها والثانى الحياء والخفر وكلاهما مما يتمدح به أما الاول فلانه من صفات الحسن والجمال اذ النفوس تميل الى ذلك فى الغالب وترغب اليه ولم تزل الشعراء فى القديم والحديث تتغزل فى ذلك وأما الثانى فلانه يمدح عقلا وشرعا ومكحول صفة ثالثة لذلك المحذوف والمراد مكحول الطرف ففيه الحذف

فى الظرف الاعلى هذا الوجه فان قلت أفنسمى هذا الواقع فى البيت تشبيها أم استعارة قلت الذى عليه الحذاق كالجرجانى والزمخشرى والسكاكى تسميته تشبيها بليغا لا استعارة والحاصل ان الاقسام ثلاثة تشبيه متفق عليه واستعارة متفق عليها ومختلف فيه فالمتفق على انه تشبيه ان يذكر أطراف التشبيه من المشبه والمشبه به والاداة كقولك زيد كالاسد والمتفق على انه استعارة أن يقتصر على ذكر المشبه به ولا يكون المشبه مقدرا كقولك رأيت أسدا فى الحمام والمختلف فيه ان يترك الاداة ويكون المشبه به خبرا المذكور مبتدأ كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات وكبيت كعب هذا أو لمقدر كقوله تعالى صم بكم وقول الشاعر

نجوم سماء كلما انقض كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكب

التقدير هم كصم وهم كنجوم اذ لا بد للخبر من مبتدأ والفرق بين هذا القسم والذى قبله انك فى هذا القسم وضعت كلامك فى الظاهر لاثبات معنى الثانى للاول واذا امتنع اثباته له حقيقة كان لاثبات المشابهة فكان خليقا بان يسمى تشبيها بخلاف الذى قبله فانك لم تضع كلامك على التشبيه بل على استعارة اسم الاسد لمن رأيته (قوله البين) هو مصدر بان كما قدمناه وأل فيه لتعريف الحقيقة أو للعهد فى البين المستفاد من الفعل السابق أى وما هى غداة هذا البين ويأتى البين بمعنى الوصل كقوله

لقد فرق الواشون بينى وبينها * فقرت بذاك الوصل عينى وعينها

ومنه قوله تعالى لقد تقطع بينكم فى قراءة من رفعه قيل وكذلك هو فى قراءة من فتح ولكن بنى لابهامه واضافته الى مبنى (وقوله اذ) يحتمل ثلاثة أوجه احدها وهو الظاهر ان يكون بدلا من غداة كما أبدلت من يوم الحسرة فى قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر الا انها فى البيت بدل من المفعول فيه وفى الآية الكريمة بدل من المفعول به والثانى ان تكون ظرفا ثانيا للتشبيه لا بدلا من الظرف الاول فان قلت انما يجوز تعدد الظرف اذا كان من نوعين كصليت يوم الجمعة امام المنبر فاما اذا كان الظرفان من نوع واحد فلا يعمل فيهما عامل واحد الا على أن يكون الثانى تابعا للاول أو يكون العامل اسم تفضيل وذلك لانه فى قوة عاملين كقولك زيد يوم الجمعة خير منه يوم الخميس لان المعنى انه يزيد خيره فى هذا اليوم على خيره فى ذلك اليوم قلت ذكر ابن عصفور ان مذهب سيبويه انه يجوز أيضا التعدد مع الاتفاق اذا كان الزمان الاول أعم من الثانى نحو لقيته يوم الجمعة غدوة وانه يجيز نصب الظرفين بلقيت لا على ان الثانى بدل بعض من كل وذلك لانه أجاز سير عليه يوم الجمعة غدوة برفع اليوم ونصب غدوة ولو كان بدلا منه لتبعه فى اعرابه واستدل بقوله والبيت للفرزدق

متى تردن يوما سفار تجد بها * اديهم يرمى المستجير المعورا

فعدى ترد الى متى والى يوما لما كانت متى مشتملة على معنى اليوم لعمومها ولا يكون يوما منصوبا بتجد لان سفار نصبت بترد فيلزم الفصل بين العامل ومعموله بالاجنبى والوجه الثالث من أوجه اذ أن تكون ظرفا للبين أى وما هى غداة بانت وقت رحيلهم (وقوله رحلوا) فى موضع

خفض باضافة اذلانعلم فى ذلك خلافا والخلاف معروف فى الجملة بعد اذا كما سيأتى فى البيت بعده والفرق بينهما ان تلك مرتبطة بما بعدها ارتباط أداة الشرط بجملة الشرط فلم يلزم من عدم ادعاء الاضافة عدم الربط وأما اذ فلولا دعوى الاضافة لم يكن ربط وانما جمع ضمير الفاعل مع انه انما قدم ذكر سعاد لانها رحلت مع قومها ولارادة تعظيمها كقوله

* فان شئت حرمت النساء سواكم * وما أحسن قول من قال

تحملت من نعمان عود اراكة * لهند ولكن من يبلغه هندا

خليلى عوجا بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لارضكما قصدا

وقولا لها ليس الضلال أجارنا * ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا

أجارنا بالراء المهملة أى أمالنا عن الطريق ومنه الجور ضد العدل لانه ميل عنه وكذلك قوله جزنا وكثير يصحفها بالزاى من الجواز (وقوله الأغن) الا ايجاب للنفى وفى قوله أغن مسائل * الاولى الاغن الذى فى صوته غنة والغنة صوت لذيذ يخرج من الانف ويشبه به صوت الرياح فى الاشجار الملتفة فيقال واد أغن وصوت الذباب فى الغياض وهو معنى قولهم روضة غناء وجمع الاغن والغناء غن كما يقال أحمر وحمراء وحمر فان قلت فكيف قال الجوهرى طير أغن مع ان الطير للجماعة قلت الطير عند سيبويه اسم جمع لا جمع فيجوز ان يخبر عنه كما يخبر عن الواحد الا ترى انهم يقولون ركب سائر * المسئلة الثانية فى موقعه من الاعراب وهو صفة لمحذوف أى الاظبى أغن والذى دل على الحذف ان الصفة لابد لها من موصوف ولو كان الموصوف فى المعنى هو سعاد كما تقول ماز يد الاقائم لكان يقول الاغناء بالتأنيث كما تقول ما هذه الروضة الاغناء والذى يدل على تعيين المحذوف ان أكثر ما يوصف بالغنة الظباء وهو وصف لازم لكل ظبى فصارت لغلبة الاستعمال فيهن كانها مختصة بهن وحيث أطلق الاغن فى مقام التشبيه لا يتبادر الذهن الى غير الظبى فان قلت فما تقول فى قول جماعة من النحويين لا يحذف الموصوف الا ان كانت الصفة خاصة بجنسه نحو رأيت كاتبا وركبت صاهلا ويمتنع رأيت طويلا وابصرت أبيض قلت التحقيق ان الشرط انما هو وجود الدليل ومن جملة الادلة اختصاص الصفة بالموصوف وأما انها شرط متعين فلا ألا ترى الى قوله تعالى وألنا له الحديد ان اعمل سابغات أى دروعا سابغات فحذف الموصوف مع ان الصفة لا تختص به ولكن تقدم ذكر الحديد اشعر به * المسئلة الثالثة اختلفوا فى الخبر المقرون بالا بعد ما على أربعة أقوال احدها وجوب الرفع مطلقا وهو قول الجمهور نحو وما محمد الا رسول ووجهه انها عملت لشبهها بليس فى النفى وقد انتقض بالا فزال الامر الذى عملت لاجله والثانى جواز النصب مطلقا وهو قول ابن يونس ووجهه الحمل على ليس والثالث جواز النصب بشرط كون الخبر وصفا وهو قول الفراء فيجيز ماز يد الا قائما ويمنع ماز يد الا أخاك الرابع جواز النصب بشرط كون الخبر مشبها به وهو قول بقية الكوفيين فيجيزون ماز يد الا زهيرا ويمنعون ماز يد الا قائما وعلى هذا فالنصب فى قوله الأغن جائز على الاقوال الثلاثة الاخيرة (وقوله غضيض الطرف) فيه مسائل * الاولى * غض الطرف فى الاصل عبارة عن ترك التحديق واستيفاء النظر فتارة يكون ذلك لان فى الطرف كسرا وفتورا خلقيين وهو المراد هنا وتارة يكون لقصد

من الثانى لدلالة الاول لان المكحول فى الحقيقة هو الطرف والمتبادر انه من الكحل بفتحتين وهو سواد يعلو العين من غير اكتحال وذلك من صفات الجمال لانه مما يستحسن وتميل اليه النفوس وقد جاء فى وصفه صلى الله عليه وسلم فى عينيه كحل ويحتمل انه من الكحل بضم فسكون لان الاكتحال به يكسو العين سواد الكن يظهر انه يريد انضمام ذلك الى الكحل الخلقى لا منفردا عنه والا لكان نقصا فى الحسن وحاصل معنى البيت ان سعاد فى وقت الفراق الذى هو وقت الرحيل شبيهة بالظبى الموصوف بثلاث صفات مستحسنة الاولى الغنة فى الصوت وهو مما يستلذ بسماعها والثانية غض الطرف وهو من صفات الجمال والثالثة الكحل وهو من صفات الجمال أيضا

الكف عن التأمل حياء من الله تعالى أو من الناس ومنه قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم أى يكفوها عما لا يحل لهم النظر اليه وقول الشاعر يذم من يفعل ذلك رياء

يغض الطرف من مكر ودهى * كأن به وليس به خشوعا

وما أحسن موقع هذه الجملة المعترضة بين خبر كأن واسمها وقد يراد به ترك التأمل الذى هو أعم من النظر الحسى والمعنوى كقول الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه

أحب من الاخوان كل موانى * وكل غضيض الطرف عن عثراتى

وقد يكنى به عن خفض الطرف ذلا كقول جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وعن احتمال المكروه كقوله

وما كان غض الطرف منا سجية * ولكننا فى مذحج غربان

مذحج بفتح الميم واعجام الذال وكسر الحاء قبيلة وغربان بضمتين تثنية غرب على وزن جنب بمعنى غريب ﴿المسئلة الثانية﴾ وهو فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح وذبيح وكحيل ودهين وهو كثير ومن غريب ماجاء منه قدير بمعنى مقدور أى مطبوخ فى القدور قال امرؤ القيس فظل طهاة اللحم مابين منضج * صفيف شواء أو قدير معجل يقال قدرت اللحم وأقدرته مثل طبخته وأطبخته ﴿المسئلة الثالثة﴾ الطرف العين وهو منقول من المصدر ولهذا لا يجمع قال الله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وقال جرير

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

فان كسرت الطاء فهو الكريم من الفتيان والخيل وخصه أبو زيد بعذ كرها وجمعه طروف فان زدت على الطرف الالف والهمزة فقلت طرفاء فهو شجر واحده طرفة وبه سمى طرفة ابن العبد الشاعر وقال سيبويه الطرفاء واحد وجمع ﴿المسئلة الرابعة﴾ خفض الطرف ناشئ عن نصبه ونصبه ناشئ عن رفعه والاصل غضيض طرفه بالرفع على النيابة عن الفاعل ثم قدر تحويل الاسناد الى ضمير الموصوف للمبالغة فى اتصافه بمعناها فانتصب الطرف على التشبيه بالمفعول به كما فى زيد حسن الوجه ثم أضيفت الصفة للتخفيف وانما لم يقدر الخفض ناشئا عن الرفع لئلا يلزم اضافة الشئ الى نفسه ولانهم يقولون مررت بامرأة حسنة الوجه ولو كان الوجه مرفوع المحل لم يجز تأنيث الصفة كما لا يجوز ذلك مع رفع الوجه (وقوله مكحول) هو اسم مفعول أتى على صيغته الاصلية بخلاف غضيض وضميره المستتر كضميره فى الارتفاع على النيابة عن الفاعل وفى عوده الى الظبى الاغن وليس ضميره عائدا على الطرف وان كان هو المكحول فى الحقيقة لانه اما خبر عن ضمير محذوف راجع للاغن أو صفة لاغن وعليهما فلابد من تحمله ضميره والمكحول والكحيل اما من الكحل بفتحتين وهو الذى يعلو جفون عينيه سواد من غير اكتحال واما من الكحل بالضم وأما الاكحل فمن الكحل بفتحتين لا غير ﴿تنبيه﴾ قيل ان فعيلا ومفعولا يفترقان من وجهين أحدهما معنوى وهو ان فعيلا أبلغ نص على ذلك بدر الدين بن مالك فانه يقال لمن جرح فى أنملته مجروح ولا يقال له جريح فعلى هذا كحيل أبلغ من مكحول والحق ان فعيلا انما يقتضى المبالغة والتكرار اذا كان

وانما خص التشبيه بالظبى جريا على عادة العرب فى التشبيه بالظباء لمخالطتهم لها بواسطة سكناها الفلوات وبطون الاودية اذ كل أحد انما يشبه بما يألفه و يستقر فى خزانة خياله واعلم ان تشبيه الآدمى بالظباء انما هو من حيث استحسانها من جنس الوحش لا من حيث انها أحسن من الآدمى فى نفس الامر والا فالآدمى أحسن قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وقال عز وجل وصوركم فأحسن صوركم ولهذا قال الفقهاء رضى الله عنهم لو قال لزوجته ان لم تكونى أحسن من القمر فانت طالق لم تطلق وان كانت زنجية

للفاعل لا للمفعول يدل على ذلك قولهم قتيل والقتل لا يتفاوت والثاني لفظي وهو ان فعيلا المحول عن مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث فيقال طرف كحيل وعين كحيل ولا يقال الا عين مكحولة بالتأنيث وأما قول طفيل

اذ هي أحوى من الربعي حاجبه * والعين بالاثمد الحاري مكحول

فقيل انه لاجل الضرورة حمل العين على الطرف وقيل الاصل حاجبه مكحول والعين كذلك ثم اعترض بالجملة الثانية وحذف الخبر ويروى بعد هذا البيت

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة * لا يشتكى قصر منها ولا طول قال

﴿تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت * كأنه منهل بالراح معلول﴾

(قوله تجلو) أي تكشف ومنه جلوت الخبر أي أوضحته وكشفته وجلا الخبر نفسه اي اتضح وانكشف يتعدى ولا يتعدى ومصدرهما الجلاء بالفتح والمد ولهذا سمي الاقرار بالشئ جلاء لانه يكشف الحق ويوضحه قال زهير

فان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو شهود أو جلاء

وعن عمر رضي الله عنه انه لما سمع هذا البيت قال لو أدركته لوليته القضاء لمعرفته بما تثبت به الحقوق ومثل هذا البيت في استيفاء الاقسام قول نصيب

فقال فريق القوم لا وفريقهم * نعم وفريق قال ويحك ماندري

فاستوفى مايذكر في جواب الاسئلة وروى الاخفش هذا البيت

فقال فريق القوم لما نشدتهم * نعم وفريق لايمن الله ماندري

واستدل به على ان همزة ايمن الله همزة وصل لاسقاطها في الدرج ويقال جلوت بصري بالكحل وسيفي بالصقل وهي بكذا جلاء بكسر الجيم والمد وجملة تجلو مستأنفة أو خبر آخر عن سعاد عند من أجاز تعدد الخبر مختلفا بالافراد والجملة (قوله عوارض) فيه مسئلتان ﴿احداهما﴾ اختلف في مفرده على قولين احدهما انه عارضة قاله عبد اللطيف بن يوسف البغدادي في شرح غريب الحديث والثاني انه عارض ثم اختلف هؤلاء فقيل هو جمع شاذ ذكر ذلك أبو جعفر النحاس قال في شرح قول عنترة

وكأن فارة تاجر بقسيمة * سبقت عوارضها اليك من الفم

لا يكاد فواعل يجيء جمع فاعل وربما جاء جمعاله كما يجيء جمع الفاعلة لان الهاء زائدة قالوا هالك في هوالك وعارض وعوارض انتهى بمعناه والصواب انه جمع لعارض وانه قياس اما الاول فلقول جرير

أتذكر يوم تصقل عارضيها * بفرع بشامة سقي البشام

وأما الثاني فلانه اسم وانما يكون جمع فاعل على فواعل شاذا اذا كان صفة للعاقل كهالك وفارس ورجل سابق وناكس فاما ان كان فاعل اسما كحاجب وكاهل وعارض وحائط ودانق أو صفة لمؤنث كحائض وطالق وطامث أو لغير العاقل كنجم طالع وجبل شاهق فجمعه على فواعل قياسي ﴿المسئلة الثانية﴾ اختلف في معناها على ثمانية أقوال أحدها انها الاسنان كلها ذكره عبد اللطيف في شرح الغريب واقتصر عليه الثاني انها الضواحك

(قوله هيفاء مقبلة الخ) هذا البيت غير ثابت في كثير من النسخ ولذلك لم يشرح عليه غالب الشراح وقد شرحه بعضهم ونحن نتكلم عليه تبعا له فنقول هيفاء خبر مبتدأ محذوف أي هي هيفاء أي ضامرة البطن دقيقة الخصر قال في القاموس الهيف بالتحريك ضمور البطن ودقة الخاصرة يقال هيف كفرح وهاف يخاف هيفا وهيفاء وامرأة وفرس هيفاء ومقبلة حال من هيفاء والمعنى انه يتصورها الناظر بهذا الوصف حالة كونها مقبلة وعجزاء خبر لمبتدأ محذوف مثل ماتقدم في هيفاء ومعناه كبيرة العجيزة ومدبرة حال من عجزاء والمعنى انه يبصرها الناظر بهذه الصفة حالة كونها مدبرة عنه وقيد كونها هيفاء بحالة الاقبال وكونها عجزاء بحالة الادبار مع ان كلا من الصفتين ثابت لها في جميع الاحوال لان الناظر يرى ضمور البطن ودقة الخصر في حالة الاقبال أكثر ويرى عظم العجيزة في حالة الادبار أكثر وقوله لا يشتكى قصر منها ولا طول ببناء يشتكى للمجهول أي لا يشتكي الرائي عند رؤيتها قصرا فيها ولا يشتكي طولا فيها فلا تعاب بقصر ولا تذم بطول بل ربعة متوسطة القد وحاصل معنى البيت أن سعاد كلما تنقلب من وضع الى وضع ومن حال الى حال يحكم الناظر اليها في كل وضع بحسن طبع وفي كل حال بزين جمال فاذا أقبلت يحكم بانها هيفاء واذا أدبرت يحكم بانها عجزاء وهي متوسطة بين الطول والقصر فلا يشتكي الرائي قصرا فيها ولا طولا (قوله تجلو عوارض الخ) وهي

وهي ما بعد الانياب قاله ثابت في خلق الانسان وقاله التبريزي وأبو البركات بن الانباري في شرحيهما لهذه القصيدة زاد أبو البركات انها قد تطلق على الاسنان كلها   الثالث انها من الثنايا الى أقصى الاسنان قاله جماعة   والرابع انها ما بعد الثنايا الى أقصى الاسنان قاله أبو نصر   الخامس انها ما بعد الانياب الى أقصى الاسنان وممن قاله عبد اللطيف في شرح هذه القصيدة ولم يذكر غيره   السادس انها الضواحك والانياب قاله يعقوب   والسابع انها الرباعيات والانياب قاله أبو عمرو الشيباني   والثامن انها الضواحك والرباعيات والانياب حكاه اسحق الموصلي عن بعض الاعراب ورد من زعم ان الثنايا منها على من نفى ذلك بقول أبي مقبل

هزئت مية أن ضاحكتها * فرأت عارض عود قد ثرم

اذ الثرم لا يكون الا في الثنايا (وقوله ذي) نعت لمحذوف أي ثغر ذي (وقوله ظلم) هو بفتح الظاء المعجمة ومعناه ماء الاسنان وبريقها وقيل رقتها وشدة بياضها وجمعه ظلوم كفلس وفلوس ويكون الظلم مصدر ظلم يظلم وقد روي قول الحماسي

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا

بفتح الظاء المعجمة وضمها قال التبريزي في شرح الحماسة والفتح أحسن لان المفتوح مصدر والمضموم اسم اهـ وكلام المرزوقي يقتضي ان الاحسن أن يفتح الاول ويضم الثاني وانه روي كذلك (وقوله اذا) ظرف منصوب المحل وفي ناصبه وجهان أحدهما ما قبله وهو تجلو وذلك اذا قدرته خاليا من معنى الشرط مثله في قوله تعالى والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون وقوله اذا ما غضبوا هم يغفرون ألا ترى انه لو كان مضمنا معنى الشرط هنا لكان ما بعده جوابا له وكان يجب دخول الفاء فلما لم تدخل الفاء دل على انتفاء معنى الشرط ولكنه ظرف لما بعده بخلافه في البيت وأما من قال حذفت الفاء كما حذفت في قوله

من يفعل الحسنات الله يشكرها * والشر بالشر عند الله مثلان

فقوله ضعيف لان باب ذلك الشعر والثاني ما بعده وذلك على تقديره مضمنا معنى الشرط ويحتاج حينئذ الى تقدير الجواب أي اذا ابتسمت جلت وهل الناصب فعل الشرط أو فعل الجواب قولان أشهرهما الثاني وأصحهما الاول اذ يلزم على قول الاكثر أن تقع معمولة لما بعد الفاء وان واذا الفجائية وما النافية في نحو قوله تعالى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون وقولك اذا جئتني فاني أكرمك واذا أشبه انسان أباه فما ظلم ولانها قد ثبت عدم اضافتها في نحو قوله

استغن ما أغناك ربك بالغنى * واذا تصبك خصاصة فتجمل

فان قلت كيف يعمل المضاف اليه في المضاف قلت القائل بهذا لا يدعي أنها مضافة بل انها بمنزلة متى في قولك متى تقم أقم في انها مرتبطة بما بعدها ارتباط اداة الشرط بجملة الشرط لا ارتباط المضاف بالمضاف اليه (قوله ابتسمت) يقال ابتسم كاكتسب وتبسم كتكلم وبسم يبسم كجلس يجلس والمبسم كالمجلس اسم لمكان الابتسام وهو الثغر وجملة ابتسمت في موضع

أي تجلو سعاد عوارض ثغر ذي ظلم وقت ابتسامها فتجلو فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على سعاد محبوبته والجملة مستأنفة أو خبر آخر عن سعاد عند من أجاز تعدد الخبر مختلفا بالافراد والجملة وذي ظلم صفة لمحذوف ١٩ أي عوارض ثغر ذي ظلم واذا بمعنى وقت وهو خال عن معنى الشرطية فلا يحتاج لجواب وتجلو بمعنى تكشف يقال جلوت الخبر أي كشفته ويقال أيضا جلي الخبر نفسه فيستعمل متعديا ولازما والعوارض جمع عارض أو عارضة وانما يكون جمع فاعل على فواعل شاذا اذا كان صفة للعاقل كفارس وما هنا ليس كذلك واختلف في معنى العوارض فقيل هي الاسنان كلها وقيل هي الضواحك خاصة وقيل الضواحك والانياب وقيل غير ذلك وذي بمعنى صاحب وظلم بفتح الظاء المعجمة وسكون اللام وجمعه ظلوم كفلس وفلوس ومعناه ماء الاسنان وبريقها وقيل رقتها وبياضها فان فسرناه بالاول فالمدح به من حيث ان ماء الاسنان من الاوصاف المستحسنة وما زالت العشاق تستعذبه وتستطيبه وتستلذ به وبريقها مما يتمدح به ويرغب اليه وقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم براق الثنايا وان فسرناه بالثاني فالمدح به من حيث ان رقة الاسنان مما يستحسن في الانسان وهي من صفة الجمال وبياضها مما يستحسن في الانسان أيضا وتتطلع اليه النفوس وتنبعث اليه الخواطر وفيه دلالة على وصفين آخرين مما يستحسن ويرغب اليه الاول حداثة السن فان الانسان كلما طعن في السن تغير لون اسنانه ومال عن البياض الى الصفرة أو الخضرة الثاني النظافة لان تغير الاسنان انما يصدر عن ترك تعهدها بالسواك ونحوه واذا ظرف لتجلو وجملة ابتسمت في محل جر باضافة اذا اليها

يقال ابتسم كاكتسب وتبسم كتكلم وبسم كجلس اذا ضحك ضحكا خفيفا وفي وصفه اياه بالابتسام اشارة الى وصفين من أوصاف المدح الاول بشاشة الوجه وطلاقته اذ الشخص ٣٠ قد يكون في غاية الحسن والجمال الفائق ولكنه عبوس الوجه فيؤدي به

خفض ان قدرت اذا معمولة لتجلو والجواب محذوف ولا موضع لها ان قدرت اذا معمولة لها (قوله كأنه منهل) هذه الجملة اما مستأنفة واما صفة للثغر واما حال منه وعلى الثاني فان قدرت اذا شرطية كانت هي وجملتاها اعتراضا بين الصفة والموصوف للضرورة وان قدرت ظرفا لتجلو لم تكن ضرورة لان الفصل حينئذ شبيه بالفصل بمعمول عامل الموصوف نحو سبحان الله عما يصفون عالم الغيب لان المضاف اذا كان بعضا من المضاف اليه أو كبعضه كان صالحا للحذف فيكون المضاف اليه حينئذ كأنه معمول لعامل المضاف ولهذا اجاز مجيء الحال من المضاف اليه في هاتين المسئلتين لاتحاد عامل الحال وعامل صاحبها في التقدير وعلى هذا اصح وجه الحال هنا اذا العوارض بعض الثغر ونظيره قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وان فسر العوارض بجميع الاسنان كما تقدم من قول بعضهم امتنع وجه الحال لانه حينئذ نظير جاء في غلام هند ضاحكة اذ المضاف ليس بعضا كما في الآيتين الكريمتين ولا كبعض كما في قوله تعالى أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولا المضاف عاملا في الحال كما في قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا فان قدرت تجلو عوارض فم جاز هذا لان العوارض بعض الفم وان فسرت بجميع الاسنان وليس في الاحرف الستة ما يكون هو ومعموله حالا الا حرفين ان المكسورة وكأن نحو كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون ونحو نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون وسبب ذلك ان أن المفتوحة مؤولة بمصدر معرفة وشرط الحال التنكير وليت ولعل طلبيتان وشرط الجملة الحالية ان تكون خبرية واما لكن فانها مستدعية لكلام قبلها فلهذا لاتقع جملتها صفة ولا صلة ولا خبرا ولا حالا (والمنهل) بضم الميم اسم مفعول من أنهله اذا اسقاه النهل بفتحتين وهو الشرب الاول (وقوله بالراح) فيه مسئلتان * احداهما * ان للراح ثلاثة معان أحدها الخمر وهو المراد هنا ويقال فيها أيضا رياح بياء بعد الراء المفتوحة قال امرؤ القيس

* نشاوى تساقوا بالرياح المفلفل * والثاني الارتياح قال

ولقيت ما لقيت معد كلها * وفقدت راحي في الشباب وخالي

أي ارتياحي واختيالي وذكر أبو عمرو أن الاول منقول من هذا فانه قال سميت الخمر راحا لارتياح شاربها للكرم والثالث جمع راحة وهي الكف قال يصف سحابا دانيا من الارض * يكاد يمسكه من قام بالراح * (المسئلة الثانية) الجار متعلق بمنهل وحذف نظيره أي الجار متعلقا بمعلول ويجوز على قول أبي علي ان يقال انهما تنازعاه لانه يجيز أن يتنازع العاملان معمولا توسطهما كما قال في قوله * مهما تصب أفقا من بارق تشم * ان أفقا ظرف ومن زائدة وبارق مطلوب لتصب ولتشم فأعمل أحدهما وحذف معمول الآخر (قوله معلول) اسم مفعول كما ان منهلا كذلك الا ان فعله ثلاثي مجرد يقال عله يعله بالضم على القياس ويعله بالكسر اذا اسقاه ثانيا وأصل ذلك ان الابل اذا شربت في أول الورد سمي ذلك نهلا فاذا ردت

ذلك الى ذهاب بهجة حسنه ورونق جماله وأيضا طلاقة الوجه تدل على الكرم وعبوسته تدل على اللؤم كما قال بعضهم

تلقى الكريم فتستدل ببشره
وترى العبوس على اللئيم دليلا

الثاني الحياء والخفر فان الضحك برفع الصوت والقهقهة دليل على الخفة وسقوط المروءة ولا يليق بذوي الجلالة وقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم أن ضحكه كان تبسما والى ذلك يشير الفرزدق في قصيدته التي يمدح بها زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما بقوله

يغضي حياء ويغضى من مهابته
فلا يكلم الا حين يبتسم

فجعل التبسم غير قادح في الحياء وجملة كأنه منهل بالراح معلول اما مستأنفة أو صفة للثغر أو حال منه والضمير يعود على الموصوف المحذوف وهو الثغر ومنهل بوزن مكرم اسم مفعول من أنهله اذا سقاه النهل بفتحتين وهو الشرب الاول وقوله بالراح متعلق بمنهل فالمعنى كأنه مشرب بالراح شربا أولا ومعلول خبر ثان لكأن وفي الكلام حذف من الثاني لدلالة الاول أي معلول بالراح وهو اسم مفعول من عله يعله بضم العين على القياس وبكسرها على خلافه فهو معلول أي مسقي ثانيا فان العلل بفتحتين الشرب ثانيا كما ان النهل بفتحتين الشرب أولا وأصل ذلك ان الابل اذا شربت في أول الورد سمي ذلك نهلا فاذا ردّت الى اعطانها ثم سقيت ثانيا سمي ذلك عللا وزعم الحريري أن المعلول

الى أعطانها ثم سقيت الثانية فذلك العلل و زعم الحريري ان المعلول لا يستعمل الا بهذا المعنى وان اطلاق الناس له على الذى أصابته العلة وهم وانما يقال لذلك معل من أعله الله وكذا قال ابن مكى وغيره ولحنوا المحدثين فى قولهم حديث معلول وقالوا الصواب معل أو معلل اهـ والصواب انه يجوز ان يقال عله فهو معلول من العلة الا انه قليل وممن نقل ذلك الجوهرى فى صحاحه وابن القوطية فى أفعاله وقطرب فى كتاب فعلت وأفعلت وذكر ابن سيده فى المحكم ان فى كتاب أبى اسحق فى العروض معلول ثم قال ولست منها على ثقة اهـ قال ويشهد لهذه اللغة قولهم عليل كما يقولون جريح وقتيل اهـ ولا دليل فى ذلك لقولهم عقيد وضمير وهما بمعنى مفعل لا بمعنى مفعول ونظير هذا ان المحدثين يقولون أعضل فلان الحديث فهو معضل بالفتح ورد بأن المعروف أعضل الامر فهو معضل كاشكل فهو مشكل وأجاب ابن الصلاح بانهم قالوا أمر عضيل أى مشكل وفعيل يدل على الثلاثى قال فعلى هذا يكون لنا عضل قاصرا وأعضل متعديا وقاصرا كما قالوا اظلم الليل وأظلم الليل واظلم الله الليل انتهى وقد بينا ان فعيلا يأتى من غير الثلاثى ثم انه لا يكون من الثلاثى القاصر قال

* شجت بذى شبم من ماء محنية * صاف بابطح أضحى وهو مشمول *

(قوله شجت) الشج الكسر والشق ومنه شج رأسه وشججها للمبالغة أنشد سيبويه

وكنت أذل من وتد بقاع * يشجج رأسه بالفهر واجى

الفهر حجر يملأ الكف ويجوز تأنيثه والواجى مخفف من الواجئ وهو داق الوتد ويقال شجت السفينة البحر والناقة المفازة قال * تشج بى العوجاء كل تنوفة * ومضارعهن يشج بالضم على القياس وبالكسر والمفعول مشجوج على القياس وشجيج كذبيح وطريح ويقال فى الخمر اذا خلط بها الماء مزجت وهو عام فى كل مزج فان أريد أن المزاج رققها قيل شعشعت وهو من قولهم ظل شعشاع اذا كان رقيقا لا كثيفا ورجل شعشاع اذا كان نحيفا فان أريد أن الماء كسر سورتها قيل شجت وهو مجاز وان أريد المبالغة فى ذلك قيل قتلت وهو مجاز أيضا قال الله تعالى ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا وقال عمرو ابن كلثوم

الا هبى بصحنك فاصبحينا * ولا تبقى خمور الاندرينا

مشعشعة كان الحص فيها * اذا ما الماء خالطها سخينا

ومعنى هبى قومى من نومك والصحن القدح الصغير واصبحينا بفتح الباء أى اسقينا بالغداة والاندرين بالدال المهملة موضع بالشام ويقال بالرفع اندرون وقيل انما اسم الموضع اندر ولكنه نسب اليه أهله فقال الاندريين ثم حذف ياء النسب للتخفيف كما فى قوله تعالى ولو نزلناه على بعض الاعجمين وقول الشاعر * وما علمى بسحر البابلينا * والمعنى لا تبقيها لغيرنا وتسقينا سواها ومشعشعة حال أو بدل من خمور أو مفعول لاصبحينا ويجوز رفعها بتقدير هى والحص مهمل الحرفين مضموم الاول الورس وقيل الزعفران وسخينا اما اسم منصوب على الحال من الماء وهو قول أبى عمرو الشيبانى قال كانوا يسخنون لها الماء فى الشتاء واما فعل وفاعل والجملة جواب لاذا أى انها اذا مزجت أحدثت فينا السخاء قبل أن نشربها وهذا

لا يستعمل الا بهذا المعنى وان اطلاق الناس له على الذى أصابته العلة وهم وانما يقال لذلك معل من أعله الله تعالى وكذا قال ابن مكى وغيره ولحنوا المحدثين فى قولهم حديث معلول وقالوا الصواب معل اهـ والصواب انه يجوز أن يقال معلول من العلة الا انه قليل وممن نقل ذلك الجوهرى فى صحاحه وقطرب فى كتابه وحاصل معنى البيت ان سعاد اذا ابتسمت تكشف فى تبسمها عن اسنان ذات ماء وبريق وذات بياض أو رقة ولطيب ثغرها كأنه مسقى بالراح نهلا ثم عللا أى أولا ثم ثانيا والراح لها ثلاثة معان الاول الخمر وهو المراد هنا والثانى الارتياح والثالث جمع راحة وهى الكف فان قيل كيف ساغ له أن يذكر فى قصيدته شرب الخمر بعد تحريمها مع انها أم الخبائث أجيب بانه جرى فى ذلك على عادة الشعراء من التغزل بذكر الخمر مع قرب عهده بالاسلام كما تقدم فى الكلام على التغزل بالمرأة (قوله شجت بذى شبم الخ) لما شبه ثغرها بمنهل معلول بالراح على ما تقدم فى البيت الذى قبله شرع فى وصف الراح بانها مزجت بماء موصوف بست صفات فقال شجت بذى شبم الخ أى مزجت تلك الراح بماء موصوف بما ذكره من الصفات حتى كسرت سورتها وخمدت فورتها فان الخمر اذا أبقيت على أصلها من غير خلط ماء قيل لها صرفة فان خلطت بماء قيل لها ممزوجة قل المزج أو كثر فان مزجت حتى رقت ولطفت ولم تنكسر سورتها قيل لها مشعشعة من قولهم ظل شعشاع اذا كان رقيقا

أبلغ من قول عنترة

وإذا شربت فانني مستهلك * مالي وعرضي وافر لم يكلم

وإذا صحوت فما أقصر عن ندى * وكما علمت شمائلي وتكرمي

وقول عنترة أعدل وأحسن والعرض الحسب والكلم الجرح وهو هنا مجاز وتخييل وفي البيت الثاني احتراس من اعتراض يرد على بيت عمرو اذ ظاهره انه لولا الخمر لم يكن فيهم سخاء والشمائل جمع شمال بكسر الشين وهي الخلق قال

ألم تعلمي أن الملامة نفعها * قليل وما لومي أخي من شماليا

وأحسن من بيتي عنترة قول امرئ القيس

وتعرف فيه من أبيه شمائلا * ومن خاله أو من يزيد ومن حجر

سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا * ونائل ذا اذا صحا واذا سكر

وانما قدم هذا البيت على بيت عنترة لانه جمع هذه الاشياء في بيت واحد وقال حسان رضي الله عنه

ان التي ناولتني فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني * بزجاجة ارخاهما للمفصل

ولهذا الشعر حكاية حسنة أوردها الامام أبو السعادات هبة الله بن الشجري في الجزء الثاني من أماليه قال اجتمع قوم على شراب فتغنى أحدهم بهذين البيتين فقال بعض الحاضرين كيف قال ان التي ناولتني فرددتها ثم قال كلتاهما فجعلهما اثنتين فلم يدر الحاضرون فحلف أحدهم بالطلاق ثلاثا ان بات ولم يسأل القاضي عبيد الله بن الحسين عن ذلك قال فسقط في أيديهم ثم أجمعوا على قصد القاضي فيمموه يتخطون اليه الاحياء فصادفوه في مسجد يصلي بين العشاءين فلما أحس بهم أوجز ثم أقبل عليهم فقال ما حاجتكم فتقدم أحسنهم نسبة فقال نحن أعز الله القاضي قوم نزعنا اليك من طريق البصرة في حاجة مهمة فيها بعض الشيء فان أذنت لنا قلنا فقال قل فذكر له البيتين والسؤال فقال أما قوله ان التي ناولتني فانه يعني به الخمر وأما قوله قتلت فمعناه مزجت بالماء وأما قوله كلتاهما حلب العصير فانه يعني به الخمر والماء فالخمر عصير العنب والماء عصير السحاب قال الله تعالى وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا انصرفوا اذا شئتم قال ابن الشجري ويمنع من هذا التأويل ثلاثة أشياء أحدها ان كلتا للمؤنثتين والماء مذكر والتذكير يغلب على التأنيث لقول الفرزدق * لنا قمراها والنجوم الطوالع * والثاني انه قال ارخاهما وافعل يقتضي المشاركة والماء لا ارخاء فيه للمفصل والثالث انه قال فالخمر عصير العنب وحسان يقول حلب العصير والحلب هو الخمر فيلزم على قوله اضافة الشيء الى نفسه وانما الجواب ان المراد كلتا الممزوجة والصرف حلب العنب فناولني أشدهما ارخاء وهي الصرف التي طلبها منه في قوله فهاتها لم تقتل انتهى كلامه وههنا فوائد تتعلق بالبيتين احداها ان قوله قتلت جملة معترضة ونظيره في الاعتراض بالدعاء الا انه دعاء بخير قوله

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعي الى ترجمان

وقوله

ان سليمى والله يكلؤها * ضنت بشيء ما كان يرزؤها

وقول بعضهم ان قوله قتلت التفات مردود لان شرطه اتحاد مدلولي الضميرين كقوله تعالى

لا كثيفا فان زيد على ذلك حتى انكسرت سورتها قيل شجت وهو مجاز لان الشج في الاصل الكسر ومنه شج رأسه وشججها للمبالغة وان زيد على ذلك حتى ذهبت قوتها قيل قتلت وهو مجاز أيضا لان القتل في الاصل ازهاق الروح وقد اختلف شرابها هل الاولى الصرفة أو الممزوجة فاختار قوم الصرفة ومنهم حسان بن ثابت في زمن الجاهلية حيث يقول

ان التي ناولتني فرددتها

قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني

بزجاجة ارخاهما للمفصل

يقول للذي ناوله الخمر وردها عليه ان التي ناولتني فرددتها عليك قتلت بالمزج حتى ذهبت قوتها ثم دعا عليه بقوله قتلت لكونه قتلها بالمزج ثم طلبها غير مقتولة بل صرفة بقوله فهاتها لم تقتل ثم سوى بين الصرفة والممزوجة في الرجوع الى أصل واحد وهو العصير بقوله كلتاهما حلب العصير ثم طلب أشدهما تأثيرا في السكر وارخاء المفاصل بقوله فعاطني بزجاجة ارخاهما للمفصل واختار آخرون الممزوجة لان الصرفة قد تؤدي الى زوال الشعور وذهاب الاحساس وبعضهم سوى بينهما كما يشير لذلك ابن الفارض بقوله

عليك بها صرفا وان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

فان قيل لاي معنى اختار ذكر الممزوجة على الصرفة في كلامه حيث قال شجت أجيب بان الصرفة حارة يابسة والممزوجة حارة رطبة فالمزج ينقلها من اليبوسة الى الرطوبة

حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم الثانية ان التاء من هاتها مكسورة كما ان الطاء من عاطى
كذلك لانهما أمران من هاتى يهاتى مهاتاة وعاطى يعاطى معاطاة وقول بعضهم انه اسم فعل
مردود بأمرين تصرفه واتصال ضمائر الرفع البارزة به نحو قل هاتوا برهانكم وقوله

اذا قلت هاتى ناولينى تمايلت * على هضيم الكشح ريا المخلخل

الثالثة ان الحلب فعل بمعنى مفعول كالقبض والخبط والعصير فعيل بمعنى مفعول كالكحيل
والدهين والرابعة ان المفصل بكسر الميم وفتح الصاد اللسان لانه آلة تفصل بها الامور ومفعل
من أوزان أسماء الآلات كالمفتح والمخيط والمفصل بفتح الميم وكسر الصاد مكان انفصال بعض
الاعضاء من بعض لان اسم المكان من فعل يفعل على مفعل كالمجلس والمضرب والمعنيان
صحيحان فى بيت حسان فيجوز قراءته بالوجهين الخامسة ان أرخى اسم تفضيل مبنى من
أرخى وبناء افعل التفضيل من افعل مسموع عند قوم مقيس عند آخرين وفصل بعضهم فقال
ان كانت همزته للنقل كأعطى فمسموع أو لغير النقل كأظلم الليل فقيس ومن الوارد من ذلك
قولهم ما أعطاه للدراهم وأولاه للمعروف وقوله تعالى ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة
فانه من أقسط اذا عدل ومن أقام قال الله تعالى وأقسطوا ان الله يحب المقسطين وأقيموا
الشهادة لله * وفى محل الجملة من قوله شجت وجهان أحدهما النصب على الحال من الراح
(فان قلت) كيف وقع الماضى حالا مع تجرده من الواو وقد (قلت) انما يلزم ذلك اذا كان
الماضى مثبتا ولا ضمير معه كقوله

وجالدتهم حتى اتقوك بكبشهم * وقد حان من شمس النهار غروب

ويمتنعان ان كان الماضى فى المعنى شرطا نحو لاضربنه ذهب أو مكث أو وقع بعد الا نحو
ما تكلم الا قال خيرا وتجب الواو وتمتنع قد اذا نفى الفعل ولم يكن ضمير نحو جاء زيد وما طلعت
الشمس وتجوز الواو وتمتنع قد اذا نفى الفعل ووجد الضمير نحو جاء زيد وما درى كيف جاء أو
كان الفعل ليس نحو ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الآية وقول الراجز

اذا جرى فى كفه الرشاء * جرى القليب ليس فيه ماء

ويجوز فيما عدا ذلك ان تأتى بهما وأن تتركهما وان تقتصر على الواو وأن تقتصر على قد
فالاول كقوله تعالى وقد فصل لكم ما حرم عليكم والثانى كقوله تعالى او جاؤكم حصرت
صدورهم ولهذا قرأ الحسن حصرة صدورهم ومنه هذه بضاعتنا ردت الينا ولا على الذين
اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وقول كعب رضى الله عنه شجت والثالث
كقوله تعالى أنؤمن لك واتبعك الارذلون كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم والرابع
كقول الشاعر

وقفت بربع الدار قد غير البلى * معارفها والساريات الهواطل

ولا تحتاج فى الوجه الثانى والوجه الثالث الى ان تضمر قد خلافا للمبرد والفارسى والفراء وأكثر
المتأخرين والوجه الثانى الخفض على انها صفة للراح لان تعريفها تعريف الجنس كما أجيز
ذلك فى قوله

ولقد أمر على اللئيم يسبنى * فمضيت ثمت قلت ما يعنينى

(وقوله بذى) أى بماء ذى وفيه دليل على ما قدمناه من ان شرط حذف الموصوف فهم معناه
لا كون الصفة مختصة بجنسه كما يقول ابن عصفور وغيره (وقوله شبم) هو بفتح الشين المعجمة

فان قيل لم خص الشبم بالذكر دون سائر أنواع المزج المتقدمة أجيب بان الشبم أعدل حالات المزج لان الشعشعة لا تكسر سورتها لمقاربتها الصرفة فى أفعالها والقتل يذهب سورتها بالكلية فتصير لا نشاط فيها والشبم يذهب حد السورة ويبقى منها بقية تحصل منها النشوة ثم لما ذكر أنها مزجت بالماء وصف الماء الذى مزجت به بستة أوصاف الاول كونه ذا شبم أى صاحب برد شديد فذى بمعنى صاحب والشبم بفتحتين البرد الشديد قال فى المختار الشبم بفتحتين البرد وقد شبم الماء من باب طرب فهو شبم اه والماء البارد مما يستطاب شربه ويستعذب ولقد كان عليه الصلاة والسلام يعجبه الماء الحلو البارد حتى قال فى دعائه اللهم اجعل حبك أحب الى من الماء البارد وكان القطب الشاذلى يقول اذا شربت الماء الحلو البارد أشكر ربى من وسط قلبى وربما مزجوا الخمر بالماء الحار ولعل ذلك كان يقع لهم فى البرد الشديد الذى يجمد فيه الخمر لشدته فاذا مزجت بالماء الحار لطفها ورققها بخلاف البارد فانه يزيدها جمودا الثانى كونه مأخوذا من ماء محنية بفتح الميم وسكون الحاء وكسر النون وفتح الياء المخففة وهى منعطف الوادى وانما خص ماء محنية بالذكر لانه يكون أصفى وأبرد وكأن المعنى فيه ان الرياح تتراكم فيه لانعطافه فتصفيه وتبرده الثالث كونه صافيا عما يخالطه من اجزاء الارض لان الماء ان كان صافيا لا يكدر الخمر التى مزجت به بخلاف ما اذا كان كدرا فانه يكدرها بمخالطته

لها ويخرجها عن وصف الصفاه المطلوب فيها الرابع كونه بأبطح وهو المسيل الواسع الذى فيه دقاق الحصى فلكونه واسعا يكون مظنة الكثرة ولكونه فيه دقاق الحصى يكون مظنة الصفاء الخامس كونه أخذ فى وقت الضحى وهو المراد بقوله أضحى وهى تامة فانها بمعنى أخذ فى وقت الضحى لانه أولى ما يستقى فيه الماء لقرب عهده من آخر الليل فيكون الماء فيه باردا بخلاف ما بعد ذلك من أوقات النهار فانها يشتد فيها حر الشمس السادس كونه مشمولا وهو المراد بقوله وهو مشمول أى والحال انه مشمول فالواو للحال والمشمول هو الذى ضربته ريح الشمال حتى برد فان ريح الشمال أشد تبريدا للماء من غيرها من الرياح خصوصا بارض الحجاز لرقتها ولطافتها ولا كذلك غيرها من الرياح بل ربما هبت بعض الرياح على الماء فسخنته وحاصل معنى البيت ان تلك الراح مزجت بماء بارد أخذ من منعطف الوادى صاف فى مسيل واسع فيه دقاق الحصى وكان أخذه منه فى وقت الضحى وقد ضربته ريح الشمال حتى برد فان أحسن المياه ما كان باردا فى طبعه وكان من ماء منعطف الوادى وكان صافيا فى لونه وكان فى مكان متسع فيه دقاق الحصى وكان ماخوذا فى وقت الضحى وكان مضروبا بريح الشمال حتى برد

والباء الموحدة البرد الشديد يقال غداة ذات شبم وقد شبم الماء وغيره وخصر بمعنى اشتد برده وخرص الرجل اشتد برده مع الجوع والفعلان بالخاء المعجمة والراء والصاد المهملتين والافعال الثلاثة على فعل بالكسر يفعل بالفتح ومصدرهن على الفعل بفتحتين ووصفهن بزنة الماضى وقال أبو الطيب المتنبى * واحر قلباه ممن قلبه شبم * وقال المعرى

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

وعن أبى عمرو بن العلاء الشبم من الناس المقرور والجائع وفى ثبوت هذا عن مثل هذا الامام بعد وان كان الناقل له عنه الجوهرى لان فعل هذا الوصف لا يقتضى ذلك ولا يختص بالحيوان (وقوله من ماء) صفة ثانية لماء المحذوف أو حال منه وان كان نكرة لاختصاصه بالوصف بذى أو حال من ضمير ذى العائد منه على الموصوف وهذا أحسن لانه حمل على الاخص الاقرب ولهذا كان ضعيفا جزم الزمخشرى فى مصدقا من قراءة بعضهم ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدقا بانه حال من النكرة والوجه الاول أحسن الثلاثة لتوسط هذا الظرف بين صفتين وهما ذى شبم وصاف (فان قلت) قدر قوله صاف حالا وان المنقوص سكن حالة النصب للضرورة فانحذفت الياء للساكنين كقوله

ولو أن واش باليمامة داره * ودارى باعلى حضرموت اهتدى ليا

وقول الفرزدق يهجو هشام بن عبد الملك بن مروان

يقلب رأسا لم يكن رأس سيد * وعينا له حولاء بادعيوبها

وحينئذ فتترجح الحالية فى الظرف لمجاورة الحال (قلت) لا يحسن الحمل على خلاف الظاهر مع عدم الحاجة اليه ثم مناسبة المتقدم أولى من مناسبة المتأخر وأصل الماء موه فقلبت واوه ألفا على القياس وأبدلت هاؤه همزة على غير القياس وحصل بذلك توالى اعلالين وجمعه فى القلة أمواه بالهاء على الاصل وربما أبدلوها فيه قال

وبلدة قالصة امواؤها * ماصحة رأد الضحى افياؤها

القالصة المرتفعة والماصحة الذاهبة ورأد الضحى ارتفاعه وجمعه على الاصل فى الكثرة مياه بالهاء لا غير وانما قلبت عينه ياء للكسرة قبلها والالف بعدها كدار وديار وانما صحت فى طوال لصحتها فى طويل وانما أعلت فى سياط مع سلامتها فى سوط لان السكون عندهم كالاعلال والنسبة الى الماء مائى بالهمز وماوى بالواو ككسائى وكساوى (وقوله محنية) مفعلة من حنوت وجمعها محان وأصلها محنوة وهى عبارة عما انعطف من الوادى لان ماءها يكون أصفى وأرق وانما قلبت الواو ياء لتطرفها فى التقدير بعد كسرة وقول التبريزى لوقوعها رابعة بعد كسرة فيه زيادة ما ليس بشرط وهو كونها رابعة ويرده وجوب القلب فى قوى ورضى وشجية فانها من الرضوان والقوة والشجو ونقص ما هو شرط وهو التطرف اما تقديرا كما فى شجية ومحنية أو لفظا كما فى قوى ورضى وقد اجتمع النوعان فى قوله محنية وقوله صاف اذ هو من الصفو ومثله داع وغاز وكذلك حاد سواء كان اسم فاعل من حدا يحدو أو اسم العدد الا ان فى هذا قلبين قلب المكان وقلب الابدال وذلك لانه من الوحدة فاصله واحد ثم أخرت فاؤه فصار حادو وزنه عالف (وقوله بابطح) صفة أو حال والابطح مسيل واسع فيه

دقاق الحصى وجمعه بطاح على غير القياس وأباطح على القياس لانه قد صار اسما فالتحق بافكل وافاكل واجدل واجادل قال

وكائن بالاباطح من صديق * يراني لو أصبت هو المصابا

وانما خفض أبطح بالفتحة لانه لا ينصرف للوصف المتأصل والوزن الغالب ومنهم من يصرفه اعتدادا بعارض الاسمية والوجهان في اخوانه كاجرع وأبرق وادهم للقيد والاجود منع الصرف في الجميع (وقوله أضحى) اما تامة بمعنى دخل في وقت الضحى فالجملة بعدها حال والواو الداخلة عليها واو الابتداء ويقدرها سيبويه باذ واما ناقصة بمعنى ثبوت الخبر للمخبر عنه في هذا الوقت فالجملة بعدها خبر والواو زائدة ووجه دخولها تشبيه الجملة الخبرية بالجملة الحالية وهذا الوجه انما يجيزه أبو الحسن والكوفيون وتابعهم ابن مالك وزعم ان ذلك يكثر بشرطين كون عامل الخبر كان أو ليس وكون الخبر موجبا بالا كقوله

ما كان من بشر الا ومنيته * محتومة لكن الآجال تختلف

(وقوله)

ليس شئ الا وفيه اذا ما * قابلته عين اللبيب اعتبارا

ويقل في غير ذلك كقوله

وكانوا اناسا ينفحون فاصبحوا * وأكثر ما يعطونك النظر الشزر

وعلى هذا قول كعب رحمه الله أضحى وهو مشمول والمشمول الذي ضربته ريح الشمال حتى برد يقال منه غدير مشمول ومنه قيل للخمر مشمولة اذا كانت باردة الطعم قال

تقول يا شيخ أما تستحي * من شربك الراح على المكبر

فقلت لو باكرت مشمولة * صفرا كلون الفرس الاشقر

رحت وفي رجليك ما فيهما * وقد بدا هنك من المئزر

في البيت الاول شاهد على انه يقال استحى يستحي كاستبى يستبي وقد قرأ يعقوب وابن محيصن ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بياء واحدة وقد رويت عن ابن كثير أيضا وهي لغة تميم والاصل بياءين فنقلت حركة العين الى الفاء فالتقى ساكنان فقيل حذفت اللام فالوزن يستفع وقيل حذفت العين فالوزن يستفل وفي البيت الثاني شاهد على قصر الممدود القياسي لاجل الضرورة وفيه رد على الفراء اذ زعم انه لا يقصر للضرورة الا ما مأخذه السماع دون القياس وفي الثالث شاهد على جواز تسكين المرفوع الصحيح لاجل الضرورة وعلى جواز النقص في الهن وهي أفصح فيه من التمام ويروى وقد بدا ذاك فلا شاهد فيه ويسمى الخمر أيضا شمولا قال القتبي لانها تشتمل على عقل صاحبها وقال غيره لان لها عصفة كعصفة الريح الشمال وأفضل مياه المطر باعتبار المكان ما كان بابطح بعينه وباعتبار الزمان ما دخل في زمن الضحى وباعتبار الصفات القائمة به ما كان صافيا شبما وباعتبار ما يطرأ عليه ما هبت عليه ريح الشمال وقد اشتمل البيت على ذلك كله قال

* تنفي الرياح القذى عنه وافرطه * من صوب سارية بيض يعاليل *

(قوله تنفي) مضارع نفاه اذا اطرده ويقال أيضا نفى ينفي بمعنى انطرد فنطرد يتعدى ولا يتعدى

(قوله تنفي الرياح الخ) لما وصف الماء الذي مزجت به الراح في البيت الذي قبله بما يرجع حاصله الى الكثرة والبرودة والصفاء على ما تقدم تقريره هناك أتبعه في هذا البيت بما يؤكده فقال تنفي الرياح الخ ومعنى تنفي تطرد يقال نفاه أي طرده والرياح جمع ريح وهو عبارة عن هواء يتحرك لا لذاته بل بتحريك الفاعل المختار وهو الله تعالى كما قال جل وعز الله الذي يرسل الرياح وزعمت الفلاسفة ان سبب ذلك ارتفاع اجزاء دخانية لطيفة من الارض قد سخنت تسخينا شديدا فبسبب تلك السخونة ترتفع وتتصاعد حتى تصل الى القرب من الفلك ثم تتفرق في الجوانب وبسبب ذلك التفرق يحصل الريح وهو مردود وأصول الرياح أربعة الاولى الصبا وتسمى بالقبول بفتح القاف لانها تقابل بهبوبها المشرق وتاتي من مطلع الشمس وانما سميت بالصبا لانها تصبو أي تميل الى الكعبة وهي التي تسميها أهل مصر بالشرقية لانها تاتي من جهة المشرق والثانية الدبور سميت بذلك لان من استقبل المشرق استدبرها وأهل مصر يسمونها الغربية لان مهبها من مغرب الشمس والثالثة الشمال بفتح الشين سميت بذلك لانها عن شمال من استقبل المشرق وتعرف عند أهل مصر بالبحرية لانها يسار بها في البحر على كل حال والعامة يعتقدون انها سميت بذلك لانها تهب عليهم من جهة البحر والرابعة الجنوب وهي التي تسميها أهل مصر القبلية وعامتهم يعبرون عنها بالمريسي لانها

تهب من بلاد المرس وهم طائفة من السودان حسان الوجوه ٠٠ كل ريح جاءت من بين مهب ريحين يقال لها النكباء لانها نكبت أى عدلت عن مهب تلك الرياح وقد نظم بعضهم ذلك بقوله ٢٦ أصول الرياح أربع سم بالصبا * قبولا أتت من مطلع الشمس شرقيه دبورا أتت من مغرب الشمس فاعلم.

لذا عند مصر سم يا صاح غربيه
شمال تجى من عن شمال مشرق
يسار بها فى البحر تدعى بحريه
جنوب تسمى بالمريسى نسبة
لبلدان سودان وتسمى لقبليه
وما بين ريحين تهب فسمها
بنكباء تجرى كالاصول بلا مريه

ولأهل البحر الملاحين المعرفة التامة فى ذلك فهو كما قيل علم نفيس فى جنس خسيس والقذا بفتح القاف والذال المعجمة مايسقط فى العين والشراب والمراد به هنا ما يقع فى الماء مما يشوبه ويكدره وعنه جار ومجرور متعلق بالفعل قبله والضمير عائد على الابطح أو على الماء فالمعنى على الاول ان الرياح تهب على الابطح قبل وجود الماء فيه فتنسف مافيه من تراب ونحوه فلا يبقى فيه الا دقاق الحصى فلا يجد الماء فيه عند حلوله ما يكدره فيبقى على صفائه والمعنى على الثانى ان الرياح تهب على الماء وهو فى الابطح فتقذف ما على وجهه مما كان فى الابطح قبل وجود الماء فطفى على وجهه فتطرده الرياح الى شاطئ الوادى والمعنى الاول أبلغ فى الصفاء لعدم ملاقاة القذا للماء جملة وهو أقرب الى مراد الناظم وعلى كل فالجملة فى المعنى تعليل لقوله صاف وتاكيد له وقوله وأفرطه أى وأفرط ذلك الابطح بالماء أى ملأه به ويشير بذلك لكثرة الماء وزيادته فان كثرته وزيادته تدفع عنه الاستقذار فلا تعاف النفوس شربه

المتعدى

ومن تعديه قوله تعالى أو ينفوا من الارض ومن قصوره قول القطامى بضم القاف * فاصبح جاراكم قتيلا ونافيا * أى منتفيا (وقوله الرياح) جمع ريح والياء فيهما بدل عن واو وانما قلبت فى المفرد لسكونها بعد كسرة كما فى ميزان وميقات وفى الجمع لما تقدم فى مياه وديار وسياط من مجىء الكسرة قبلها والالف بعدها واعتلالها فى المفرد أو سكونها فيه ومن ثم صحت فى أرواح لانتفاء الشرط الاول وفى كوزة جمع كوز لانتفاء الشرط الثانى وفى طوال لانتفاء الثالث وأما قوله

تبين لى ان القماءة ذلة * وان اعزاء الرجال طيالها

فنادر ومن العرب من يقول أرياح كراهية الاشتباه بجمع روح كما قال الجميع اعياد كراهية الاشتباه بجمع عود وقول الحريرى ان الارياح فى جمع ريح لحن مردود وقول الجوهرى الريح واحدة الرياح والارياح وقد يجمع على أرواح يقضى ان الارياح هو الكثير وليس كذلك وانما الكثير أرواح ومنه قول ميسون بنت بحدل بالحاء المهملة وهى زوج معاوية رضى الله عنه وهى أم ابنه يزيد

لبيت تخفق الارواح فيه * أحب الىّ من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عينى * أحب الىّ من لبس الشفوف

وهذا البيت شاهد على نصب المضارع بان مضمرة لعطفه على اسم متقدم وحرف أكثرهم أوله فانشده للبس وانما هو بالواو عطفا على قولها البيت وما بعده (وقوله القذى) هو بالذال المعجمة مايسقط فى العين والشراب والواحدة قذاة ويقال قذيت العين بالكسر تقذى بالفتح اذا سقط فيها القذى وقذت بالفتح تقذي بالكسر اذا رمت القذى وأقذيتها اذا جعلت فيها القذى وقذيتها مشددا اذا نزعت عنها القذى كما قالوا جلد البعير وقرده اذا نزع عنه جلده وقراده * وفى الجملة من قوله تنفى الرياح القذى عنه بحثان (أحدهما) بالنسبة الى الاعراب وهى باعتباره محتملة لثلاثة أوجه أحدها أن تكون خبرا ثانيا لاضحى على ان تكون ناقصة والثانى ان تكون حالا فان كانت أضحى تامة فذو الحال فاعلها أو مفعول مشمول المستتر فيه وهى على الثانى من الحال المتداخلة وعلى الاول من المترادفة وان كانت ناقصة فذو الحال ضمير مشمول أو ضمير أضحى ان قلنا ان الافعال الناقصة تدل على الحدث وهو الصحيح والثالث ان تكون مستأنفة (البحث الثانى) بالنسبة الى المعنى وهى باعتباره محتملة لثلاثة أوجه أيضا أحدها أن تكون تعليلا لقوله صاف والثانى ان تكون توكيدا له وتتميما والثالث أن تكون احتراسا وذلك لان الماء الصافى قد يعرض له أن يعلوه شئ من الاقذاء ويكون بحيث لو أزيل عنه لظهر صفاؤه وان لا كدورة فيه فنفى ان يكون هذا الماء من هذا القبيل (قوله وافرطه) يستعمل افرط على وجهين متعديا بفى ومعناه الزيادة فى الشئ ومجاوزة الحد فيه ومتعديا بنفسه وله ثلاثة معان أحدها ترك الشئ ونسيانه والثانى تقديمه وتعجيله والثالث ملؤه بفتح الميم وقوله تعالى وانهم مفرطون يقرأ بسكون الفاء مع كسر الراء على انه من

المتعدى بنى أى مفرطون فى المعاصى و بفتحها على انه من المتعدى بنفسه ومعناه اما متروكون فى النار منسيون أو مقدمون اليها معجلون وقول العرب غدير مفرط بسكون الفاء وفتح الراء من الثالث أى مملوء ومنه هذا البيت كما سيأتى و يقال من هذه المادة فرطت القوم بالتخفيف والفتح أفرطهم بالضم فأنا فرطهم بفتحتين وفارطتهم بمعنى سبقتهم الى الماء ومنه الحديث أنا فرطكم على الحوض ولا يثنى الفرط ولا يجمع بخلاف الفارط فانه يطابق من قصد به قال القطامى

فاستعجلونا وكانوا من صحابتنا * كما تعجل فراط لوراد

ويقال فرط فى الامر بالتشديد اذا قصر فيه ومنه قوله تعالى يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وقرئ وانهم مفرطون براء مشددة مكسورة أى مقصرون فى الطاعات (قوله من صوب) للصوب أربعة معان أحدها المطر كقوله

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى

وانتصاب غير على الحال من الفاعل المؤخر وفيه احتراس عما أورد على من قال

ألا يا اسلمى يا دار مى على البلا * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

اذ قيل انه أراد الدعاء لها فدعا عليها بالخراب والجواب انه احترس أولا بقوله اسلمى وان زال واخواتها انما تقتضى ثبوت الخبر للاسم على جارى العادة فى مثله كقولنا ما زال زيد يصلى فان معناه انه مذ تأتى منه فعل الصلاة لم يتركها فى أوقاتها الا انه مذ خلق لم يزل يصلى ليلا ونهارا لا يفتر والثانى أن يكون مصدر الصاب يصوب بمعنى نزل والثالث أن يكون مصدر الصاب بمعنى قصد كقول رجل من عبد القيس يمدح النعمان بن الحرث بن المنذر

تعاليت ان تعزى الى الانس جلة * وللانس من يعزوك فهو كذوب

فلست لانسى ولكن لملأك * تنزل من جو السماء يصوب

أى يقصد الى الارض هذا هو الصواب فى تفسيره وهو قول أبى محمد بن السيد وأما قول الجوهرى والاعلم واللخمى والواحدى وغيرهم ان معناه ينزل فيلزم منه التكرار والاحسن أن يقال أصاب بالهمز ومنه قوله تعالى تجرى بامره رخاء حيث أصاب أى تجرى لينة سريعة حيث أراد قاله ابن عباس رضى الله عنهما ونقل الزجاج اجماع أهل اللغة والتفسير عليه قال ومنه قولهم للمجيب أصبت أى قصدت الجواب فلم تخطئه انتهى وما أدرى من اين استفيد معنى قوله لم تخطئه وانما الظاهر انه من قولهم اصبت الشئ اذا وجدته وان الاصل اصبت الجواب وعلى التفسيرين فهذا الفعل قد هجر مفعوله كما فى قولهم بنى على امرأته أى قبة وافاضوا من عرفات أى رواحلهم لانه مستعار من افاضة الماء وهو صبه بكثرة ونظيره فى المعنى قوله * وسالت باعناق المطى الاباطح * (ويحكى) ان رجلين قصدا رؤبة بن العجاج يسألانه عن معنى اصاب فى الآية فصادفاه فى الطريق فقال لهما اين تصيبان فرجعا ولم يسألاه والرابع أن يكون بمعنى الصواب كقول اوس بن غلباء

الا قالت امامة يوم غول * تقطع بابن غلباء الحبال

ذرينى انما خطئى وصوبى * على وان ما اهلكت مال

وقوله من صوب جار ومجرور متعلق بالفعل قبله والصوب المطر ويستعمل بمعنى القصد فيكون مصدر الصاب بمعنى قصد ويحكى ان رجلين أتيا رؤبة بن العجاج يسألانه عن قوله تعالى فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء حيث أصاب فصادفاه فى الطريق فقال أين تصيبان فرجعا ولم يسألاه

وقوله سارية أى سحابة تاتى ليلا من السرى وهو السير ليلا و يروى غادية بدل سارية وهى سحابة تاتى غدوة وفى كل منهما اشارة
الى برودة الماء لان السحابة اذا أتت ليلا أو غدوة بقى الماء على أصله فى البرودة فاذا أخذ من صبيحة تلك الليلة كان فى غاية
البرودة وهو من آكد المطلوب فيه ٢٨ وقوله بيض فاعل افرطه وهى جمع أبيض أو بيضاء واختلف فى معناها فقيل الجبال
وهو الظاهر الذى يرشد اليه
المعنى وقيل السحب ورد بأن
المعنى عليه ان السحب البيض
التى ملأت الابطح استمدت
الماء من مطر تلك السحابة
وذلك يؤدى الى ان بعض
السحب تستمد المطر من بعض
وهو غير المراد وخلاف الواقع
وأيضا السحب البيض تكون
خالية من المطر وأما الحاملة
للمطر فان لونها يكون أغبر وقوله
يعاليل صفة لبيض ومفرده
يعلول يقال ثوب يعلول اذا غذى
بالصبغ مرة بعد أخرى واختلف
فى معناها فقيل شديدة البياض
وقيل التى ينزل فيها الماء مرة
بعد أخرى أخذا من العلل وهو
الشرب مرة بعد أخرى كما تقدم
وقيل المرتفعة وهذا كله على
تفسير البيض بالجبال وأما على
تفسيرها بالسحب فتفسر اليعاليل
بالتى تجىء مرة بعد أخرى أخذا
من العلل كما مر وأقوى التفاسير
ان البيض اليعاليل الجبال
الشديدة البياض لان ماء
السحاب يحصل أولا فى الجبال
ثم ينصب منها الى الاباطح وحينئذ
يكون أصفى لان الجبال مع
صفائها صلبة لا ينفصل منها شئ
بوقوع المطر عليها قبل نزوله الى
الابطح الذى هو مقره بخلاف الاباطح فانها لا تخلو عن تراب ونحوه فلو وقع عليها المطر أولا لارتفع أثار تربتها لشدة وقعه تركه
عليها وحاصل معنى البيت ان الرياح تزيل القذى عن ذلك الابطح أو الماء الذى أخذ منه الماء الممزوج به الراح حتى لم يبق فيه
ما يكدره وملأ ذلك الابطح الجبال الشديدة البياض من مطر سحابة جاءت ليلا أو غدوة فاجتمع فيه الصفاء والبرودة والكثرة

اى وان الذى اهلكته مالى لا مال غيرى فحذف ياء الاضافة منسية فظهر اعراب ما قبلها قاله ابو
عمرو وخالفه بعضهم وقال انما اراد ان الذى اهلكته مال لا عرض والمراد فى بيت كعب المعنى
الاول وهو محتمل لان يكون منقولا من المعنى الثانى او الثالث وجزم عبد اللطيف بان الصوب
فى البيت مصدر وان الاسم المخفوض باضافته فى موضع رفع على الفاعلية وليس بشئ بل هو
اسم للمطر ولا محل للاسم بعده بل هو كزيد فى غلام زيد (قوله سارية) هى السحابة تأتى ليلا
وهى فى الاصل صفة ثم غلبت عليها الاسمية وفعلها سرت تسرى ومصدره السرى وهو سير
الليل خاصة والتأويب سير النهار خاصة والاسآد بمهملتين مصدر اسأدت الابل اذا سارت
ليلا ونهارا والحجازيون يقولون اسرى بالالف وقد اجتمعت اللغتان فى قول حسان رضى الله
عنه

حى العشية ربة الخدر * اسرت الى ولم تكن تسرى

الرواية بفتح حرف المضارعة وقرئ بهما فى السبع فى نحو فاسر باهلك فاسر بعبادى واتفق
على الحجازية فى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا وانما ذكر الليل مع اختصاص الاسراء به ليشار
بتنكيره الدال على التقليل والتبعيض الى انه قطع به عليه الصلاة والسلام مسافة أربعين
ليلة فى بعض ليلة ويؤيده قراءة ابن مسعود وحذيفة رضى الله عنهما من الليل وانما جاز فى
هذه القراءة تعدى اسرى بمن مرتين لان الاولى تبعيضية والثانية لابتداء الغاية وتأتى
السارية بمعنى الاسطوانة ويروى غادية بدل سارية وهى السحابة تأتى بالغداة وهى أيضا
من الصفات الغالبة عليها الاسمية وفعلها غدت تغدو (وقوله بيض) فاعل بافرطه وهو جمع
أبيض أو بيضاء على ما يأتى فى تفسير المراد به وعليهما فاصله فعل بضم الفاء ثم كسرت لتسلم
الياء من الانقلاب واوا وقوله يعاليل صفة لبيض ووزنه يفاعيل لانه من العلل وهو الشرب
الثانى ومفرده يعلول قالوا ثوب يعلول اذا عل بالصبغ اى اعيد عليه مرة بعد أخرى واختلف فى
المراد بالبيض اليعاليل فقال ابو السمح الجبال المرتفعة والاشتقاق لا يساعده على تفسير
اليعاليل بالمرتفعة وقال أبو عمرو البيض السحاب واليعاليل التى تجىء مرة بعد أخرى ولا واحد
لها كالابابيل وتابعه على تفسير البيض بالسحاب التبريزى وعبد اللطيف وابن الانبارى
وغيرهم وهو مردود لاقتضائه ان السحابة السارية امدت السحائب البيض التى ملأت
الاباطح وليس هذا مراد المتكلم ولا هو الواقع وقيل هى الغدران وهو بعيد لانه ليس فى
العرف انها توصف بالبياض ولا انها تمد الاباطح والذى يظهر انها الجبال المفرطة البياض وان
المعنى وملأ هذا الابطح من ماء سحابة آتية بالليل ماء جبال شديدة البياض وذلك لان ماء
السحاب يحصل أولا فى الجبال ثم ينصب منها عند اجتماعه وكثرته الى الاباطح وفى هذا
الكلام تأكيد لوصف الماء بالبرد والصفاء وجوز التبريزى أن يكون افرطه بمعنى تركه أى ترك
ماء المطر فى هذا الابطح سحائب بيض قال ومن ثم سمى الغدير غديرا لان السيل غادره أى

(قوله أكرم بها الخ) أى ما أكرمها الخ فأكرم فعل تعجب جئ به على صورة فعل الامر ولذلك لا يرفع الظاهر وفاعله هنا الضمير المجرور بالباء الزائدة لاصلاح اللفظ على حد قوله تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا أى ما أسمعهم وما أبصرهم فى ذلك اليوم ثم ان قوله أكرم بها يحتمل لمعنيين الاول وهو الاقرب الى مراده ان المراد به كرم الحسب والشرف والارومة أى الاصل الثانى وهو الحق المتبادر الى افهام العامة ان المراد به خلاف البخل وهو الجود فان أريد الاول كان هو الغاية القصوى فى المدح اذ العراقة فى النسب مطلوبة فى المرآة مرغوب فيها خصوصا عند العرب وقد وردت السنة باعتبار ذلك كما يدل له حديث تخيروا النطفكم وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن المرأة الدنيئة الاصل بقوله واياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء فشبه صلى الله عليه وسلم المرأة الحسناء الدنيئة الاصل بالزرع الحسن النابت فى الروث لان الدواب اذا راثت فى المرعى ونبت الزرع فى موضع الروث تراه حسنا مرتفعا على غيره من الزرع والحديث مصرح بضعفه لتفرد الواقدى به وان كان المعنى صحيحا وان أريد الثانى كان مفيد المدح أيضا الا انه دون الاول لان الجود من صفات المدح فى الرجل دون المرأة كذا قيل والحق ان الجود فخر لصاحبه مطلقا رجلا كان أو امرأة وهذا كله على الرواية المشهورة وهى أكرم بها وروى فيا لها أى فياقوم اعجبوا لها لكونها اشتملت على حسن الصورة وبديع الجمال وهى مع ذلك مشتملة على سوء العشرة وقلة الموافاة وذلك فى غاية العجب فان حسن الصورة مقرون بحسن الفعال وكرم الاخلاق ولذلك قال

تركه يقال افرطت القوم اذا تركتهم وراءك ومنه الحديث انا فرطكم على الحوض وقوله تعالى وأنهم مفرطون أى مؤخرون انتهى ويلزمه ماقدمناه من ان بعض السحاب يستمد من بعض وايضا فلم يثبت مجئ افرطه بمعنى تركه فى موضع بل جاء بمعنى سبقه وكل من سبقته فقد خلفته وراءك وليس هذا مما نحن فيه وقد تقدم القول فى تفسير ذلك مشبعا قال

*(أكرم بها خلة لو انها صدقت * موعودها أولو ان النصح مقبول)*

(قوله اكرم بها) أى ما أكرمها ومثله اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا اى ما اسمعهم وما أبصرهم فى ذلك اليوم * وقد اختلف فى ذلك ونحوه على ثلاثة مذاهب أحدها ان أفعل فعل صورته صورة الامر ومعناه التعجب وأصله الاول فعل ثلاثى ثم حوّل الى فعل ماض مزيد فيه وهو افعل بمعنى صار ذا كذا كاغد البعير وابقل المكان أى صار ذا غدة و بقل ثم حوّل هذا الى صيغة الطلب مع بقاء المعنى الخبرى وضمن معنى التعجب فقبح حينئذ رفعه الظاهر لكونه على صورة فعل الامر فزيد فى فاعله الباء كما زيدت فى فاعل كفى فى نحو وكفى بالله شهيدا الا ان زيادة الباء فى فاعل كفى غالبة لا لازمة بدليل قول سحيم

عميرة ودع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

وعن عمر رضى الله عنه انه قال له لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك وزيادة الباء فى فاعل أفعل هذا لازمة لاصلاح اللفظ اذ صار بسببها على صورة قولك فى الامر الحقيقى امرر بزيد وهذا قول جمهور البصريين المذهب الثانى انه محول من الثلاثى الى الامر من غير واسطة بينهما وانه امر باعتبار الصيغة والمعنى جميعا وان المأمور المخاطب وان الفعل متحمل لضميره وان ذلك الضمير التزم استتاره فى الافراد والتذكير وفروعهما لانه كلام جرى مجرى المثل وان المتكلم بما افعله متعجب والمتكلم بافعل به آمر غيره بالتعجب قاله الفراء من الكوفيين والزجاج من البصريين وابن خروف والزمخشرى من المتأخرين والمذهب الثالث انه أمر كما قال هؤلاء ولكن المأمور المصدر الذى دل عليه الفعل فمعنى احسن بزيد احسن ياحسن بزيد أى دم به والزمه وعلى هذا فلا يحتاج الى الاعتذار عن التزام الافراد والتذكير لان المأمور واحد فى جميع الصور وهذا قول ابن كيسان وتبعه ابن الطراوة ونقله أبو عبد الله الفارسى عن الزجاج ونقل القول الذى قبله عن الكوفيين وعلى المذهبين فالباء باء التعدية وهى متعلقة بالفعل قبلها والاسم بعدها فى موضع نصب واما على القول الاول فلا تتعلق بشئ كسائر الحروف الزائدة والاسم بعدها فى موضع رفع (وقوله خلة) منصوب على التمييز والخلة هنا الصديقة ونظيره قول الآخر

الا قبح الله الوشاة وقولهم * فلانة اضحت خلة لفلان

قالوا ويطلق أيضا على الصديق وأنشدوا

الا ابلغا خلتى جابرا * بان خليلك لم يقتل

صلى الله عليه وسلم اطلبوا الحوائج عند صباح الوجوه فالانسان كما يحتاج لحسن الصورة وكرم الاصل كذلك يحتاج الى حسن
المعاشرة من الوفاء والصدق والود ولين الجانب ٣٠ ونحو ذلك اذ لو كان الانسان فى غاية الحسن والجمال ولكنه سيئ المعاشرة
قليل الموافاة لمجتنبه النفوس
ونفرت عنه القلوب ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبد
الله وكان جميلا انت امرؤ قد
حسن الله خلقك فأحسن خلقك
وقد قال الامام فخر الدين ان
حسن الصورة وان كان مرغوبا
فيه لكن حسن السيرة افضل
منه اذ حسن الصورة انما يبقى
اياما وحسن السيرة لا يزول اثره
وحسن الصورة ربما ادى
بصاحبه الى الوقوع فى المهالك
وحسن السيرة يوجب له الملك
الا ترى ان حسن الصورة ادى
بيوسف عليه السلام الى
السجن وما وقع له من المحن
وحسن سيرته اوجب له الجلوس
على سرير الملك ويروى ايضا
ياويحها وهى كلمة ترحم تقال
لمن وقع فى مهلكة لا يستحقها
تأسفا عليه كما فى قوله صلى الله
عليه وسلم ويح عمار تقتله الفئة
الباغية وقد خرج عمار مع سيدنا
على كرم الله وجهه فى قتاله مع
معاوية رضى الله عنه فقتلت
جماعة معاوية رضى الله عنه
عمارا فقال على رضى الله عنه
لمعاوية قد بان بغيكم لانكم قتلتم
عمارا وقد قال صلى الله عليه
وسلم تقتله الفئة الباغية فقال
معاوية رضى الله عنه انما قتله
من أخرجه رضى الله عنهم أجمعين والغرض هنا التأسف عليها حيث لم تتخلق بالاخلاق المناسبة لبديع كريم
منظرها وكرم حسبها بل حادت عن طريق الصدق ومالت الى الاخلاف فقطعت حبال المودة وهدمت مبانى الالفة وكذلك
يروى ياويلها وهى كلمة عذاب تقال لمن يستحق الهلكة كما فى قوله تعالى وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق وكانه لما

تخطأت النبل احشاءه * فاخر دهرا ولم يعجل

ووجه الاستدلال انه أبدل جابرا من خلتى ولك ان تقول لعله على حذف مضاف أى ذا خلتى كما
فى قوله تعالى ولكن البر من آمن أى ولكن ذا البر والخلة على هذا نفس الصداقة مثلها فى
قوله تعالى يوم لا بيع فيه ولا خلة وجمعت هذه على خلال كقلة وقلال ومنه يوم لا بيع فيه ولا
خلال وقيل بل هو مصدر خاللته ويرجحه افراد ما قبله والآية التى قبل فيها ولا خلة ويروى
فيا لها خلة وياهذه اما حرف نداء والمنادى محذوف واما حرف تنبيه بمنزلة ألا وعليهما فاللام
متعلقة بفعل محذوف والتقدير فيا قوم اعجبوا لها خلة أو ألا اعجبوا لها خلة فان قلت هلا
قدرت الضمير منادى دخلت عليه لام التعجب كما فى قوله

فيا لك من ليل كأن نجومه * بكل مغار الفتل شدت بيذبل

والاصل يا اياك أو يا أنت ثم لما دخلت عليه لام الجر انقلب الضمير المنفصل المنصوب أو
المرفوع ضميرا متصلا مخفوضا قلت منع من ذلك ان ضمير ذا الغيبة لا ينادى والمغار بضم الميم
وبالمعجمة من قولهم أغرت الحبل اذا أحكمت فتله ويذبل جبل أى كأن نجوم هذا الليل
شدت بحبال محكمة الفتل الى هذا الجبل فهى لا تسرى ولا تغور ويروى ياويحها خلة
وويلمها خلة وقد مضى فى صدر هذا الكتاب شرح كلمتى ويح وويل والفرق بينهما ونزيد
هنا ان الاصل ويل أمها فحذفت الهمزة لثقلها ابتداء او بالضمة وكونها بعد الضمة مع كثرة
الاستعمال ثم حركت اللام بالكسرة لتناسب الكسرة بعدها والياء قبلها وهذا قول
البصريين وقيل بل الاصل وى لامها وى بمعنى أعجب ولامها جار ومجرور ثم حذفت الالف
للتخفيف ويؤيد قول البصريين قولهم ويلمها وويلمه بضم اللام (وقوله لو انها صدقت
موعودها) فيه أربع مسائل * المسئلة الاولى فى لو وهى محتملة لوجهين أحدهما التمنى مثلها
فى لو أن لنا كرة والثانى الشرط ويرجح الاول سلامته من دعوى حذف اذ لا يحتاج حينئذ
لتقدير جواب بل سلامته من دعوى كثرة الحذف اذا قيل ان فى الكلام حذف فعل الشرط
أو خبر المبتدأ كما سيأتى ويرجح الثانى ان الغالب على لو كونها شرطية ثم الجواب المقدر محتمل
لان يكون مدلولا عليه بالمعنى أى لو صدقت لتمت خلالها فتكون مثلها فى قوله تعالى ولو ترى
اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم أى لرأيت أمرا عظيما ولان يكون مدلولا عليه باللفظ أى لكانت
كريمة فتكون مثلها فى قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الآية أى لكفروا به بدليل
وهم يكفرون بالرحمن والنحويون يقدرون لكان هذا القرآن فتكون كالآية قبلها والذى
ذكرته أولى لان الاستدلال باللفظ أظهر ويرجح التقدير الثانى فى البيت بانه استدلال باللفظ
وبان فيه ربط اللو بما قبلها لان دليل الجواب جواب فى المعنى حتى ادعى الكوفيون انه
جواب فى الصناعة أيضا وانه لا تقدير وقد يقال انه يبعده أمران أحدهما ان فيه استدلالا
بالانشاء على الخبر والثانى ان الكريم ان كان المراد به الشرف مثله فى انى ألقى الى كتاب

اضجره اعراضها واعياه صعوبة اخلاقها هفت منه هفوة فقال ياويلها لكن لم يقصد بذلك حقيقة الدعاء لان دعاء المحب على المحبوب المطلوب فيه عدم الاجابة كما قيل أدعو عليك وقلبي * يقول يارب لالا واذا دعى المحب على محبوبه بالويل فما عسى يدعو به العدو على عدوه وقوله خلة بضم الخاء وتشديد اللام كما في السيوطي وغيره وان ضبطه بعض الشراح بكسر الخاء وهو منصوب على التمييز أى من جهة كونها خلة والخلة بالضم صفاء المودة وأطلقها هنا على المحبوبة التى هى سعاد مبالغة ويحتمل انه على تقدير مضاف أى ذات خلة فتكون الخلة بمعنى الصداقة كما فى قوله تعالى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وقوله لوانها صدقت موعودها أى أتمنى انها صدقت موعودها فلو للتمنى كما هو الاقرب لاستغنائه عن التقدير اذ لا جواب لها فهذه جملة مستأنفة لانشاء التمنى غير معلق عليها ما قبلها فيكون كعب رضى الله عنه أحب صدقها موعودها وتمناه فان قيل قضية تمنى ذلك ان صدقها موعودها ممتنع وهو فى غاية الذم وذلك مناف لمدحه لها أولا أجيب بأن عدم الصدق فى أمور الحب والعشق غير مذموم عندهم لانه يرجع للتغنج والدلال فان المحبوب لو صدق فى كل شئ لم يكن محبوبا بل خادما ويحتمل انها شرطية وجوابها محذوف يدل عليه ما قبلها ويكون قد علق الامر على صدقها موعودها فعلى رواية اكرم بها يكون كرمها معلقا على صدقها موعودها وهذا الابلاغة فيه بخلافه على جعلها للتمنى فان كرمها ثابت فى كل حال وفيه غاية المدح وعلى رواية فيا لها أو ويا ويحها أو يا ويلها يكون التقدير لو أنها صدقت موعودها لكملت خلالها أو لكان خيرا لها واختلف فى أن وصلتها بعد لو فى مثل ذلك فقيل فاعل بفعل محذوف والتقدير هنا لو ثبت انها صدقت موعودها ونقل عن أكثر البصريين انه مبتدأ محذوف الخبر وجوبا كما يحذف كذلك بعد لولا والتقدير هنا لو صدقها موعودها موجود وقال بعضهم انه مبتدأ لا خبر له اكتفاء بجريان المسند والمسند اليه

كريم فلا يحسن بحال المحب تعليق كرم محبوبته على شرط ولا سيما شرط معلوم الانتفاء وهو شرط لو وان كان المراد به مقابل البخل لم يكن أكرم بها مناسبا لمقام النسيب بل لمقام الاستعطاء وقد يجاب عن الاول بأمرين أحدهما منع كون التعجب انشاء وانما هو خبر وانما امتنع وصل الموصول بما افعله لابهامه وبافعل به كذلك مع انه على صيغة الانشاء لا لانهما انشاء الثانى ان المراد من الدليل كونه ملوحا بالمعنى المراد وان لم يصلح لان يسد مسد المحذوف ألا ترى الى قول الحماسى

اذن لقام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

اذ المراد ان لان ذو لوثة خشنوا فاستدل بالمفرد على الجملة ومثله مررت بحسن اذ استئل أى اذا استئل أحسن واللوثة بالفتح القوة وعن الثانى ان المراد به ضد البخل وهو أعم من الكرم بالمال والوصال ولو قال قائل لو وفت لى لكانت أكرم الناس أو لكانت فى جود حاتم لم يمتنع ذلك وقد شرحت معنى لو الشرطية فى مقدمة قواعد الاعراب شرحا شافيا فاغنى ذلك عن ذكره هنا * المسئلة الثانية اختلف فى أنّ وصلتها بعد لو فى مثل هذا البيت وقوله تعالى ولو أنهم صبروا ولو أنهم آمنوا على ثلاثة مذاهب أحدها انها فاعل بفعل محذوف تقديره ثبت والدال عليه أن فانها تعطى معنى الثبوت وهذا قول الكوفيين والزجاج والزمخشرى ويبعده ان الفعل لم يحذف بعد لو وغيرها من أدوات الشرط الا مفسرا بفعل بعده نحو قوله تعالى وان أحد من المشركين استجارك اذا السماء انشقت واذا الارض مدّت قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى وقولهم لو ذات سوار لطمتنى ولا يستثنى من ذلك الا كان بعد ان ولو نحو قوله عليه الصلاة والسلام التمس ولو خاتما من حديد وقولهم المرء مقتول بما قتل به ان سيفا فسيف والفعل المقرون بلا بعد ان كقوله

فطلقها فلست لها بكفء * والا يعل مفرقك الحسام

أى وان لا تطلقها والثانى انه مبتدأ محذوف الخبر وجوبا كما يحذف بعد لولا كذلك نقله ابن هشام عن أكثر البصريين والثالث أنه مبتدأ لا خبر له أصلا اكتفاء بجريان المسند والمسند اليه فى الذكر مع الطول نقله ابن عصفور عن البصريين وزعم انه لا يحفظ عنهم غيره والرابع انه يجوز هذا ويجوز كونه فاعلا قاله المبرد * المسئلة الثالثة ذكر الزمخشرى ان خبر أنّ الواقعة بعد لو انما يكون فعلا ورده ابن الحاجب بقوله تعالى ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام وقال الصواب تقييد الوجوب بما اذا كان الخبر مشتقا ورد ابن مالك على ابن الحاجب بانه قد جاء اسما مع كونه مشتقا كقوله

لو أن حيا مدرك الفلاح * أدركه ملاعب الرماح

في الصورة وموعودها يحتمل ثلاثة أوجه الاول ان يراد به الشخص الموعود فيكون المعنى لو أنها صدقت الشخص الذي وعدته الثاني ان يراد به الشئ الموعود به فيكون المعنى لو أنها صدقت في الشئ الذي وعدته به وعلى هذين الاحتمالين فهو اسم مفعول الثالث ان يراد به الوعد فيكون مصدرا على رأى أبي الحسن ان المصدر يأتي على زنة مفعول كالمعسور والميسور فان قيل ما المراد بالوعد الذي وعدته ولم تصدق فيه أجيب بانه وعد يتعلق بالوصل والمودة وحسن العشرة على انه قد تقدم ان محبتهم مصونة عن الخيانة بعيدة عن الريبة وقد حكي ان عزة دخلت على أم البنين بنت عمر ابن عبد العزيز فقالت لها ما معنى قول كثير

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

وما كان هذا الدين فقالت وعدته بقبلة ومطلته بها فقالت انجزيها له وعلي اثمها ففعلت وكانت أم البنين صالحة فأعتقت أربعين عبدا عند الكعبة وقالت اللهم اني ابرأ اليك مما قلته لعزة وقوله أولوان النصح مقبول يقرأ بنقل حركة الهمزة للواو وقبلها وحذف الهمزة للوزن ولما أشار الى عدم وفائها الوعد اتبع ذلك بوصفها بعدم قبول النصح واو حرف عطف وهي بمعنى الواو لانه يتمنى كلا من الصدق في الوعد وقبول النصح لا أحدهما على جعل لو للتمني وكرمها ملق على كل منهما لا على أحدهما فقط على جعلها شرطية وفي أن ومدخولها ما تقدم من الاقوال الثلاثة في التي قبلها والنصح بضم النون خلاف الغش وهو ارادة الخير للمنصوح وما والمراد نصحي اياها والمقبول خلاف المردود وكلامه محتمل لان يكون مراده النصح فيما يتعلق بخاصتها وهو نهيها عن الحالات الذميمة

وقد يجاب بانه ضرورة كقوله * لا تكثرن اني عسيت صائما * والفلاح البقاء والمراد ملاعب الرماح ملاعب الاسنة وهو علم على شخص معروف ولما اضطر الشاعر غيره وهذا الجواب ليس بشئ لان ذلك واقع في كتاب الله تعالى قال الله تعالى وان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون في الاعراب ولو استحضر هذه الآية ابن مالك لم يعدل عنها الى الاستشهاد بالشعر ولو استحضرها الزمخشري وابن الحاجب لم يقولا ما قالاه وقد اشتمل بيت كعب رحمه الله على الاخبار بالفعل في قوله صدقت وبالاسم في قوله مقبول * المسئلة الرابعة يحتمل قوله موعودها ثلاثة أوجه أحدها ان يكون اسم مفعول على ظاهره ويكون المراد به الشخص الموعود والثاني أن يكون كذلك ويكون المراد به الشئ الموعود به والثالث أن يكون مصدرا على رأى أبي الحسن في ان المصدر يأتي على زنة مفعول كالمعسور والميسور في قولهم دعه من معسوره الى ميسوره أي من عسره الى يسره وحمل عليه قوله تعالى بأيكم المفتون أي بأيكم الفتنة وقيل بل المفتون اسم مفعول وأيكم مبتدأ والباء فيه زائدة والمعنى أيكم الشخص المفتون فان قدرته اسما للشخص فانتصابه على المفعولية على وجه الكلام وحقيقته وان قدرته اسما للموعود به احتمل ان يكون مفعولا به على المجاز وكانها وعدت ذلك الشئ ان تفي به وان يكون على اسقاط في توسعا كما في قولهم في المثل صدقني سن بكره ويحتاج حينئذ الى تقدير مفعول حقيقي أي لو صدقتني في الذي وعدت به وان قدرته مصدرا كان على التوسع أي في وعدها (قوله أولوان النصح مقبول) فيه أربع مسائل أحدها انه قد يتمسك به من يرى ان أو تأتي بمعنى الواو ويدعي انه ليس مراده ان يقع أحد الامرين بل ان يقعا جميعا وهذا قول أبي الحسن والجرمي وجماعة من الكوفيين وجعلوا منه قوله تعالى الى مائة ألف أو يزيدون وقول الشاعر

وقد زعمت ليلى باني فاجر * لنفسي تقاها أو عليها فجورها

واستدل ابن مالك بقول الآخر

جاء الخلافة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر

ولعل الاستدلال ببيت كعب أظهر لان أو في الآية الكريمة محتملة للابهام والشك مصروفا الى المخاطبين أي لو رأيتموهم لشككتم في عدتهم فقلتم مائة ألف أو يزيدون وللاضراب عند من أثبته لا و وكل ذلك مقول في الآية واما البيت الاول فمعناه لنفسي تقاها ان كنت متقيا أو عليها فجورها ان كنت فاجرا فأو فيه لاحد الشيئين وليست بمعنى الواو واما البيت الثاني فالذي وقفت عليه في انشاده في كتب الشعر والادب اذ كانت فلعل الذال تصحفت بالواو وهو تصحيف قريب * المسئلة الثانية زعم الخليل أنه لا يجوز الجمع بين نحو يسو ويسي في قافيتين وان جاز جمع يعود ويعيد واحتج باختلاف الروي اذا خفف الهمز اذ يصيران واوا وياء وخالفه أبو الحسن محتجا بان الشاعر اذا بنى القصيدة على التحقيق أمن الاختلاف واستدل أبو الفتح لابي الحسن بقول الحاسي

لكل اناس مقبر بفنائهم * وهم ينقصون والقبور تزيد

وما ان يزال رسم دار قد أخلقت * وعهد بها ميت بالفناء جديد

وذلك ان الشاعر بناه على تخفيف همز اخلقت ولولا ذلك لانكسر الوزن واذا جاز بناء الشعر على التخفيف فبناؤه على التحقيق أولى لانه الاصل وبيت كعب نظير بيت الحماسى وأغرب من الاحتياط الذى ذكره الخليل رحمه الله فى القوافى ما قاله أبو محمد بن الخشاب رحمه الله من انه لا يجوز أن تكون القوافى المقيدة لو أطلقت لاختلف اعرابها واعترض على أبى القاسم الحريرى فى قوله فى المقامة التاسعة والعشرين

يا صارفاعنى المودة والزمان له صروف

ومعنفى فى نصح من * جاورت تعنيف العسوف

لا تلحنى فيما أتيت * فاننى بهم عروف

ولقد نزلت بهم فلم * أرهم يراعون الضيوف

وبلوتهم فوجدتهم * لما سبكتهم زيوف

ألا ترى انها اذا أطلقت ظهر الاول والثالث مرفوعين والرابع والخامس منصوبين والثانى مجرورا وكذا باقى القصيدة واعلم ان اشعارهم ناطقة بالغاء هذا الذى اعتبره ابن الخشاب بل قالوا فى الاسجاع مع انها أوسع مجالا من القوافى ان مبناها على سكون الاعجاز كقولهم ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت فانهما لو حركا لاختلفا ومن مجىء ذلك فى الشعر قول امرئ القيس اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة * معتقة مما تجىء به التجر

(ثم قال)

اذا قامتا تضوع المسك منهما * برائحة مثل اللطيمة والقطر

قوله طعم يروى مرفوعا بتقدير هذا طعم ومنصوبا بتقدير ذقت والتجر جمع تجار ككتب وكتاب وتجار جمع تجر كصحاب وصحب والتجر اسم جمع تاجر عند سيبويه وجمع له عند أبى الحسن فالتجر بضمتين عنده هو جمع جمع الجمع عنده وعند سيبويه جمع جمع اسم الجمع واللطيمة العير التى تحمل المسك والقطر العود * المسئلة الثالثة الالف واللام فى النصح خلف عن الضمير والاصل أو لو ان نصحها على اضافة المصدر الى المفعول ومنه قوله تعالى رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا أى واشتعل رأسى شيبا وقوله تعالى فان الجنة هى المأوى أى مأواه وقول العرب مررت بالرجل الحسن الوجه برفع الوجه أى وجهه سواء قدر فاعلا كما يقول الجمهور أو بدل بعض من ضمير مستتر فى الوصف كما يقول أبو على ذكره فى قوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب وهو تكلف خلاف الظاهر وليس بمتأت فى مثل مررت بالرجل الكريم الاب ولا مخلص من دعوى تقدير الضمير أو كون أل نائبة عنه لان الصفة كما تفتقر الى ضمير يربطها بالموصوف كذلك بدل البعض يفتقر الى ضمير يربطه بالمبدل منه ونيابة أل عن الضمير قال بها الكوفيون وبعض البصريين وهذا ظاهر مذهب سيبويه لقوله فى ضرب زيد البطن والظهر فيمن رفع ان المعنى ظهره وبطنه ولم يقل الظهر منه والبطن منه كما يقول أكثر البصريين ومن حجتهم قول طرفة بن العبد

رحيب قطاب الجيب منها رقيقة * بجس الندامى بضة المتجرد

من الكذب واخلاف الوعد والملال الى غير ذلك مما تضمنته الابيات السابقة واللاحقة مع انه وصفها فى صدر القصيدة بالجلالة والجمال والخفر وهى لا يليق بصاحبها معاطاة ذميم الخلال لانه قل ما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديئة وان يكون مراده النصح فيما يتعلق به ويرجع نفعه فى الحقيقة اليه وهو ترك الهجر والمطل والوفاء بما وعدته به من الوصل ووجه كون ذلك نصحا لها ان المرء يجازى بفعله والمظلوم منصور فربما رماها الدهر الى من يوقعها فى حبالة الحب فيأخذ منها بثاره كما قيل

قالت لمحبوبى وقد مر بى
محبوبه كالقمر السارى
هذا الذى يأخذ لى طرفه
من طرفك الوسنان بالثار

واذا وصلته ابقت عليه روحه ففازت بأجره كما قيل

فديت من ترحم عاشقها
وراحم العشاق مأجور

بل ربما حمله الحب على تمحض النصح من جانبها لحصول الاجر لها مع اعراضه عن حال نفسه فى الوصل كما قيل

وما طلبى للوصل حرصا على اللقا
ولكنه أجر اليك أسوقه

وحاصل معنى البيت انها كريمة من جهة كونها صديقة ولو أنها صدقت فى الوعد وقبلت النصح لكانت على اتم الخلال واكمل الاحوال

فجمع بين أل والضمير فدل على انها ليست عوضا عنه والجواب ان أل هنا لمجرد التعريف مثلها
في الرجل لا للتعريف والتعويض مثلها في فان الجنة هي المأوى كما أن الهاء في وجهة لمجرد
التأنيث مثلها في مسألة لا للتأنيث والتعويض مثلها في عدة وأيضا فقد يجتمع العوض
والمعوض منه في الضرورة كقوله * أقول يا اللهم يا اللهما * وقوله
* هما نفثا في في من فمويهما * والرحيب الواسع والقطاب مجتمع الجيب ومنه قطب بين عينيه
اذا جمع وجاؤني قاطبة أي جميعا يقول ان عنقها واسع بدليل اتساع مجتمع جيبها والبضة
البيضاء الرخصة والمتجرد بفتح الراء الجسد * تنبيه * نيابة أل عن الضمير في نحو حسن الوجه
من حيث هو ضمير لا من حيث هو مضاف اليه وربما توهم من كلامهم الثاني وقد استحسن
ذلك الزمخشري حتى جوز نيابتها عن المضاف اليه المظهر فقال في قوله تعالى وعلم آدم الاسماء
كلها ان الاصل أسماء المسميات ولا أعلم أحدا قال بهذا قبله والمشهور في الآية الكريمة
قولان أحدهما ان الاصل مسميات الاسماء ثم حذف المضاف وعاد الضمير من ثم عرضهم
عليه كما عاد على المضاف المحذوف في قوله تعالى أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج الاصل
أو كذي ظلمات يغشاه الثاني ان الاسماء أريد بها المسميات فلا حذف البتة * المسئلة الرابعة
انه أخبر عن اسم أن بعد لو بالمفرد وقد مضى ذلك مشروحا قال

* لكنها خلة قد سيط من دمها * فجع وولع واخلاف وتبديل *

(قوله لكنها خلة البيت) موقع لكن ومابعدها مما قبلها كموقعها في قولك لو كان عالما
لاكرمته لكنه ليس بعالم ولا صالح في ان مابعدها توكيد لمفهوم ماقبلها مع زيادة عليه (وقوله
قد سيط الى آخره) جملة في موضع الرفع صفة لخلة ولولا هي لم تحصل الفائدة ونظيرها الجملة
التي بعد قوم في قوله تعالى بل أنتم قوم تجهلون بل أنتم قوم عادون وعلم بذلك ان الفائدة كما
تحصل من الخبر كذلك تحصل من صفته وهذا يشكل على أبي علي في مسئلة وذلك انه حكى
عن أبي الحسن رحمه الله انه امتنع من اجازة أحق الناس بمال أبيه ابنه لانه ليس في الخبر الا
ما في المبتدا ثم قال فان قلت أحق الناس بمال أبيه ابنه البار به أو النافع له أو نحو ذلك كانت
المسئلة على فسادها أيضا لان الخبر نفسه غير مفيد ولا ينفعه مجيء الصفة من بعده لان وضع
الخبر على تناول الفائدة منه لا من غيره حكى ذلك عنه عبد المنعم الاسكندري في كتاب التحفة
ونظير تصحيح الصفة للخبرية تصحيحها للابتدائية في قوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك
وتصحيحها لدخول الفاء في الخبر في قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ومن
هنا أجاز يونس في الندبة وازيد الطويلاه تنزيلا للصفة والموصوف منزلة الشيء الواحد
ويشهد له قول بعض العرب واجمجمتي الشاميتيناه واذا جاز للحال ان تحصل به الفائدة
المقصودة من الكلام كما في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين فما للذين كفروا قبلك
مهطعين اذ السؤال انما هو في المعنى عن الحال فجواز ذلك في الصفة أجدر وعلى مسئلة
الحال يتخرج قول الحسن البصري كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل وذلك بان تقدر
الظرف خبرا والجملة المنفية حالا ويؤيده انها رويت مقرونة بالواو فانتفى ان تكون خبرا
وعلى ذلك قولهم كأنك بالشمس وقد طلعت وقول الحريري

(قوله لكنها خلة الخ) لما أشار
في البيت الذي تقدم الى اتصافها
بصفتين وهما عدم صدق الوعد
وعدم قبول النصح أشار في هذا
البيت الى انها اشتملت على أربع
خصال مستلزمة لما في البيت
الذي قبله وزيادة فلكن هنا
لتأكيد مفهوم ماقبلها مع زيادة
عليه والضمير في لكنها يعود على
المحبوبة التي هي سعاد وخلة
بمعنى صديقة وخليلة كما تقدم
وقد حرف تحقيق مع الماضي كما
هنا وقوله سيط بكسر السين
المهملة أو الشين المعجمة معناه
خلط يقال ساطه اذا اخلطه
بغيره حتى صار اشيأ واحدا ومنه
قيل للآلة التي يضرب بها
سوط لانها تسوط اللحم بالدم
أي تخلطه به ومن دمها جار
ومجرور متعلق بسيط ومن
بمعنى الباء أو في فالمعنى قد خلط
بدمها أو فيه هذه الخلال الاربع
وهذا كناية عن كونها صارت
لها خلقا طبعيا لاتنفك عنه
والدم أحد الاخلاط الاربعة
التي بها قوام البدن وهي الدم
والبلغم والصفراء والسوداء
وقوله فجع نائب فاعل سيط
والفجع بفتح الفاء وسكون الجيم
وبالعين المهملة الاصابة بالمكروه
لانه مصدر فجعه اذا أصابه بمكروه
وهو محتمل لامور منها الهجر
ومايتبعه من مقاساة الآلام
ومكابدة الاهوال ومعالجة
الاسقام فالهجر يذيب القلوب
ويشيب الرؤس ولله در القائل

كانى بك تنحط * الى القبر وتضغط * وقد أسلمك الرهط
* الى أضيق من سم *

اى كانى بك تنحطا واماقول المطرزى ان الاصل كانى أبصرك ثم حذف الفعل ففيه حذف فعل و زيادة حرف (وقوله قدسيط) من ساط الماء وغيره يسوطه سوطا اذا خلطه بغيره وضربهما حتى اختلطا ومنه قيل للآلة التى يضرب بها سوط لانه يسوط اللحم بالدم ويجوز ان يقرأ قدشيط بالشين المعجمة لانه يقال شاطه بمعنى ساطه وقدروى بيت المتلمس بالوجهين وهو

احارث انا لوتساط دماؤنا * تزايلن حتى لايمس دم دما

قوله تزايلن البيت جار على مازعمت العرب من ان دم المتباغضين لايختلط ولهذا قال

فلو انا على حجر ذبحنا * جرى الدميان بالخبر اليقين

ولما الخطوه بين المتباغضين من تباعد قلوبهما وتزايل دمائهما سموهما خصمين لان كل واحد منهما فى خصم والخصم بالضم الجانب والناحية وقال الزمخشرى أتانى آت فى النوم فقال لم اشتق اسم العدو فقلت من العدوة لان كلا من المتعادين فى عدوة واشتقه غيره من عدا يعدو لان كلا منهما يعدو على الآخر والعدوة شط الوادى وأولها مثلث ويقال أيضا عديه بقلب الواو ياء للكسرة ولم يعتد بالدال لسكونها ونظيره صبية وقد قرئ بالاوجه الاربعة ويجوز فى أول سيط وشيط ونحوهما من فعل المفعول الثلاثى المعل العين اخلاص الكسر وهو لغة قريش ومن جاورهم واشمام الكسر الضم وهو لغة كثير من قيس وأكثر بنى أسد واخلاص الضم وهو لغة بعض تميم وجميع فقعس ودبير وهما من فصحاء بنى أسد ونظير بيت المتلمس فى روايته بالسين والشين بيت ابن دريد

ارمق العيش على برض فان * رمت ارتشافا رمت صعب المنتسا

فمن رواه بالمهملة فهو من قولهم نسأ الله فى أجلك أى أخر والالف على هذا مبدلة عن الهمز والمعنى اعطى من العيش مايسد رمقى أى بقية نفسى فان قصدت مص الشئ رمت المستبعد الصعب وفيه تقدم الصفة واضافتها الى الموصوف كقولهم أخلاق ثياب ومن رواه بالمعجمة فمعناه استقصاء الشرب بالمشافر وبيت عمرو بن اذينة

لقد علمت وما الاشراف من خلقى * ان الذى هو رزقى سوف يأتينى

وهو بالمعجمة أظهر ومعناه التطلع الى الشئ وبعده

اسعى اليه فيعنينى تطلبه * ولوقعدت أتانى لايعنينى

ولهذا الشعر حكاية حسنة وهى ان قائله وفد على هشام بن عبد الملك فى جماعة من الشعراء فقال له ألست القائل وانشده البيتين قال نعم قال فما بالك قد جئت من الحجاز الى الشام فى طلب الرزق فقال له لقد وعظت ياأمير المؤمنين وأذكرتنى ماانسانيه الدهر ثم خرج من فوره فركب راحلته وتيمم الحجاز ومكث هشام يومه مشتغلا عنه فلما جاء الليل ودخل الى فراشه ذكره فقال رجل من قريش قال حكمة فرددته ثم هو شاعر ولا آمن لسانه فلما اصبح جهز مولى له الى الحجاز واعطاه مائتى دينار فلم يدركه حتى دخل بيته فلما دفعها اليه قال له أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له كيف رأيت البيتين سعيت فاكديت ورجعت الى بيتى فاتانى رزقى ومن

ألا فاعجبوا من فعلها بحبيبها
ولا تعجبوا من لتى ومشيبها
فان هجرتنى شيبتنى بهجرها
وان واصلتنى شيبتنى بطيبها
ومنها مايلقاه منها من الحيف والاساءة وما أحسن قول القائل

وأكثر افعال الغوانى اساءة
وأكثر ماتلقى الامانى كواذبا

وقد قيل من العناية ان تحب ويحبك من تحب ومن الشقاوة ان تحب ولا يحبك من تحب ومنها ماينله من العذال كاللوم والتوبيخ كما قال ابن بسام

لقد صبرت على المكروه اسمعه
من معشر فيك لولا أنت مانطقوا
وفيك اريت قوما الاخلاق لهم
لولاك ما كنت أدرى انهم خلقوا

وقوله وولع عطف على لجج والولع بسكون اللام والولعان بفتحها الكذب فى القاموس ولع كوضع ولعا وولعانا بفتح اللام كذب اه وهو محتمل لامور منها الكذب فى اخفاء محبته واظهار كراهته وتقاصيها عن وصله كما قال بعضهم

من منصفى من فتاة قد علقت بها
أضحت يمازجها وصل وهجران
تبدى صدودا وتخفى تحته شغفا
فالنفس راضية والطرف غضبان

ومنها كذبها فى دعوى العوائق عن الوصل واقامة الحجج المانعة منه كما قال بعضهم

تقيم معاذيرا وتزعم صدقها
وتطمع آمالى بهاوأ أين
وتحلف لوتسطاع جادت بوصلها

ذلك قول الآخر أعلمه الرماية كل يوم * فلما استد ساعده رمانى
وكم علمته نظم القوافى * فلما قال قافية هجانى

الرواية الجيدة استد بالمهملة من السداد وهو الصواب ومن أعجمها ذهب به الى معنى الاشتداد والقوة ومن ذلك قولهم سمت العاطس وشمته فمن أهملها فمعناه دعا له بالبقاء على سمته ومن أعجمها فمعناه دعا له بان يسلب عنه شماتة أى أن لا يصيبه شئ فيشمت به عدو وقد فسرنا بغير ما ذكرناه وليس بمناسب وكذلك قولهم الشطرنج يروى بالمهملة لانه يحمل أسطرا وبالمعجمة لان اللاعبين يقتسمانه اقتطع شطرين والشطر النصف قال عنترة بن شداد العبسى

انى امرؤ من خير عبس منصبا * شطرى وأحمى سائرى بالمنصل

وذلك لان أباه عربى وأمه أمة فشطره من جهة أبيه يفاخر به الناس وشطره من جهة أمه يحامى عنه بالمنصل وهو السيف وفى البيت استعمال سائر بمعنى الباقى لا بمعنى الجميع ولا أعلم أحدا من أئمة اللغة ذكر أنها بمعنى الجميع الا صاحب الصحاح وهو وهم (وقوله من دمها) أى فى دمها كقوله تعالى أرونى ماذا خلقوا من الارض اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة واختلف فى وزن دم فقال سيبويه وأصحابه فعل بالاسكان واحتجوا بأمرين أحدهما جمعه على دماء ودمى كما جمع نحو ظبى ودلو على ذلك ولو كان مثل عصا وقفا لم يجمع عليهما والثانى ان الحركة زيادة فلا تدعى الا بدليل وقال المبرد فعل بالتحريك بدليلين أحدهما ان فعله دمى يدمى كفرح يفرح فاصل الدم دمى كفرح قال أبو بكر وليس قوله بشئ لان كلامنا فى الدم الذى هو جوهر لا فى الدم الذى هو حدث والثانى انهم لما رجعوا اليه لامه قلبوها الفا كقوله

غفلت ثم أتت تطلبه * فاذا هى بعظام ودما

ولو كانت العين ساكنة لصحت اللام كما فى ظبى وغزو وقال أبو الفتح والجواب عن هذا ان المراد اما المصدر على حذف مضاف أى دمى دما واما الجوهر ولكنه رد اللام وأبقى العين متحركة كما كانت قبل الرد قلت ويؤيد الثانى قوله

قد أقسموا لا يمنحونك نفعهم * حتى تمد اليهم كف اليدا

واليد فعل بالاسكان عند المبرد وغيره من البصريين بل ذكر الجوهرى انه متفق عليه وليس كذلك بل قال الكوفيون انها فعل بالتحريك واختاره ابن طاهر فان قلت فكيف قال الآخر * ان مع اليوم أخاه غدوا * قلت يجب ان يدعى انه نطق بالكلمة على أصلها ولم يقدر انه رد اللام بعد حذفها وانما وجب هذا التقدير للجمع بين الادلة (قوله فجع) هو مصدر فجعه اذا أصابه بمكروه والفجيعة ما أوجع من المصائب (قوله وولع) هو مصدر ولع بالفتح اذا كذب وانما قالوا ولع والع على المجاز الاسنادى كما قالوا عجب عاجب وجمع الوالع ولعة ككاذب وكذبة والولعان بالتحريك بمعنى الولع بالاسكان قال * وهن من الاخلاف والولعان * أى من أهل الاخلاف أو قدر انهن خلقن من هذين الوصفين على المبالغة فى وصفهن بهما ومثله خلق الانسان من عجل ويؤيده ان بعده فلا تستعجلون وقيل العجل الطين بلغة حمير وأنشد * والنخل تنبت بين الماء والعجل * وليس يثبت عند علماء اللغة (قوله واخلاف وتبديل) مصدر اخلف وبدل ومعنى البيت ان هذه المرأة قد خلط بدمها الافجاع بالمكروه والكذب فى

الخبر

وليس لمخضوب البنان يمين
وقوله واخلاف عطف على فجع أيضا والاخلاف بكسر الهمزة وسكون الخاء وبالفاء فى آخره خلاف الوفاء والمراد هنا اخلاف الوعد بدليل قوله فى البيت الذى قبل هذا لو انها صدقت موعودها فتمده وتغنيه وتعطله ولا تنفيه وقوله وتبديل عطف على فجع مثل ما قبله وهو تبديل شئ بغيره والمراد به هنا تبديل خليل بخليل فلا تبقى على خليل بل تصاحب هذا مرة وهذا أخرى لملالها من الصحبة فكلما خالت خليلا لا ملته وانتقلت عنه الى آخر كما أشار اليه العباس بن الاحنف بقوله

يا قوم لم أهجركم لملالة
منى ولا لمقال واش حاسد
لكننى جربتكم فوجدتكم
لا تصبرون على طعام واحد

ثم انه يحتمل ان يكون ذلك حقيقة ويحتمل ان يكون خيالا منه قد خيلته الغيرة فى نفسه من شدة الحب كما قال القائل

وانى لارجو أن تدوم لعهدها
ولكن سوء الظن من شدة الحب

وحاصل معنى البيت ان هذه المحبوبة التى ابتلى بحبها قد امتزج بدمها وصار طبعا لها لا تنفك عنه الاصابة بالمكروه والكذب واخلاف الوعد والملال على ما تقدم بيانه

الخبر والاخلاف فى الوعد وتبديل خليل بآخر وصار ذلك سجية لها لا طمع فى زواله عنها فقال

فما تدوم على حال تكون بها ✻ كما تلوّن فى أثوابها الغول

(قوله فما تدوم) الفاء للسببية أى فلما جبلت عليه من الاخلاف والتبديل لا تدوم على حال وتدوم تامة لا ناقصة لان ما المتقدمة عليها نافية لا ظرفية ولانها بلفظ المضارع والناقصة جامدة على لفظ المضى على الصحيح (وقوله على حال) متعلق بتدوم أو حال والحال ما الانسان عليه من خير أو شر وتأنيثها كما جاء فى البيت أكثر من تذكيرها والتذكير لغة الحجازيين والجمع أحوال كمال وأموال وربما قالوا احولة حكاه اللحيانى وقد يقال حالة قال الفرزدق

على حالة لو ان فى القوم حاتما ✻ على جوده لضن بالماء حاتم

هذا المشهور فى رواية هذا البيت ورواه المبرد فى الكامل على ساعة وحاتم فى البيت مخفوض بدلا من الهاء من جوده ولم يجعل الجوهرى الحال والحالة بمعنى بل جعلهما من باب تمرة وتمر وهو غريب وقد يقال فى الحالة آلة بالهمزة مكان الحاء قال الراجز

قد أركب الآلة بعد الا له ✻ وأترك العاجز بالجداله

ورواه بعضهم قد أركب الحالة بعد الحالة والجدالة بالفتح الارض يقال طعنه فجدله أى رماه الى الارض (وقوله تكون بها) فى موضع خفض صفة لحال رابطها الضمير المجرور ويحتمل قوله تكون التمام والنقصان فالظرف متعلق بها أو بالاستقرار ويجوز على وجه التمام كون الظرف حالا فيتعلق بالاستقرار كما فى وجه النقصان والباء للالصاق مثلها فى قولك بزيد داء أو بمعنى على مثلها فى قوله تعالى ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار الآية أو بمعنى فى مثلها فى قوله تعالى حتى توارت بالحجاب ويحتمل باء بالحجاب السببية (وقوله كما) الكاف وما حرفان جار ومصدرى خلافا لابن مضاء فى زعمه ان الكاف اسم ابدا لانها بمعنى مثل وللاخفش فى اجازته كونها اسما وان لم يدخل عليها عامل من عوامل الاسماء وله ولابن السراج فى اسمية ما المصدرية وترد كما فى العربية على خمسة أوجه أحدها ما ذكرنا من كون الكاف جارة وما مصدرية وهى وصلتها فى موضع جر الثانى ان تكون الكاف جارة وما موصولا اسميا وقد أجيز ذلك فى قوله تعالى قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة فقيل التقدير كالذى هو آلهة لهم الثالث ان تكون الكاف جارة وما زائدة غير لازمة كقوله

وننصر مولانا ونعلم انه ✻ كما الناس مجروم عليه وجارم

الرابع ان تكون كذلك الا ان زيادة ما لازمة وذلك فى نحو قولهم هذا حق كما انك ههنا قال سيبويه رحمه الله زعم الخليل ان ما لغو الا انها لا تحذف كراهة ان يجىء لفظها كلفظ كان الخامس ان تكون ما كافة للكاف عن عمل الجر كقوله

أخ ماجد لم يخزنى يوم مشهد ✻ كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

وقد خرج عليه الآية الزمخشرى وغيره ومن جوز وصل ما المصدرية بالجمل الاسمية ادعى ذلك هنا وأبطل هذا القسم (وقوله تلوّن) أصله تتلوّن فحذفت التاء الثانية للتخفيف وقال هشام

(قوله فما تدوم على حال الخ) أى فبسبب ما جبلت عليه من الاخلاف والتبديل لا تستمر على حال بل تتغير من حال الى حال فتارة تصل وتارة تقطع وتارة ترضى وتارة تغضب وتارة تودّ وتارة تجفو وتارة ترغب فى خليل وتارة ترغب عنه فظهر من ذلك ان الفاء للسببية وما نافية وتدوم تامة وفاعلها ضمير يعود على خلة وعلى حال متعلق بتدوم والحال ما عليه الانسان من خير أو شر وتذكر وتؤنث وتذكير لفظها أفصح من تأنيثه وتأنيث وصفها أو ضميرها أفصح من تذكيره وقد جرى الناظم على الافصح فيهما حيث قال على حال ولم يقل على حالة وقال تكون بها ولم يقل تكون به وجملة تكون بها فى محل جر صفة لحال والضمير المستتر فى تكون عائد على الخلة فقد جرت الصفة على غير من هى له فكان عليه ابراز الضمير أى تكون هى متلبسة بها فالباء للملابسة ويحتمل أن تكون بمعنى على أى تكون عليها وقوله كما تلوّن فى أثوابها الغول صفة مصدر محذوف دل عليه ما قبله اذ الذى لا يدوم على حال يكون متلوّنا فكأنه قال انها تتلوّن تلوّنا كما تتلوّن فى أثوابها الغول فالكاف مع مدخولها صفة لذلك المصدر المحذوف وما مصدرية وتلوّن فعل مضارع فأصله تتلوّن حذفت احدى تائيه للتخفيف وفى أثوابها جار ومجرور حال من الغول مقدمة عليه والغول فاعل للفعل قبله والتقدير كما تتلوّن الغول حال كونها فى أثوابها فالهاء من أثوابها عائدة على الغول لكونه وان كان متأخرا لفظا متقدما رتبة واعلم أن العرب تزعم ان الغول ترى فى الفلاة بألوان شتى فتأخذ جانبا عن الطريق فيتبعها من يراها ظنا انها على طريق فيضل عن الطريق فيهلك وربما قالوا انها تعترضهم فى

الكوفي المحذوف الاول وهو بعيد لان حرف المضارعة حرف معنى ولان الثقل انما حصل بالثانية قيل ولان الثانية قد ثبت لها التغيير في مثل تذكرون بالادغام ويرده ان الاولى ثبت فيها ذلك أيضا كما في قراءة البزي ولاتيمموا (وقوله تلون في أثوابها الغول) صلة لما وماوصلتها في موضع جر بالكاف والكاف ومجرورها في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف دل عليه ماقبله لان الذي لايدوم على حالة متلون فكأنه قال تتلون تلونا كما تتلون الغول وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس كتشبيه العلم بالنور والهاء من أثوابها عائدة على متأخر لفظا متقدم رتبة ونية معا كالهاء من قوله تعالى فأوجس في نفسه خيفة موسى ويستفاد من قوله تلون وقوله في أثوابها تأنيث الغول كما استفيد من قوله بها تأنيث الخال والغول بالضم كل شئ اغتال الانسان فأهلكه والمراد هنا الواحدة من السعالي وهي اناث الشياطين سميت بذلك لانها فيما زعموا تغتالهم أولانها تتلون كل وقت من قولهم تغولت على البلاد اذا اختلفت وللعرب أمور تزعمها لاحقيقة لها منها أن الغول تتراءى لهم في الفلوات وتتلون لهم وتضلهم عن الطريق ومنها الهديل زعموا انه فرخ كان على عهد نوح عليه السلام فصاده بعض الجوارح وان جميع الحمام يبكيه الى يوم القيامة قال

يذكرنيك حنين العجول * وصوت الحمامة تدعو هديلا

العجول بالفتح الفاقدة لولدها من الابل * ومنها الصفر زعموا انه حية في جوف الانسان تعض عند الجوع شراسيفه وهي أطراف الاضلاع التي تشرف على البطن قال أعشى باهلة

لايتأرى لما في القدر يرقبه * ولايعض على شرسوفه الصفر

قال تأرى بالمكان اذا أقام به أي لايحبس نفسه لادراك طعام القدر ليأكله ومنها الهامة زعموا انها طائر يخرج من رأس المقتول فيصيح اسقوني فاني عطشان الى ان يؤخذ بثاره قال

ياعمرو ان لاتدع شتمي ومنقصتي * اضربك حتى تقول الهامة اسقوني

* ومنها النوء وهو أن يسقط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين من المغرب مع طلوع الفجر ويطلع في تلك الساعة آخر يقابله من المشرق فيأتي المطر وأمور أخر من الخرافات لاحقيقة لشئ منها وفي الحديث لاعدوى ولاهامة ولانوء ولاصفر وفي حديث آخر لاطيرة ولا نوء ولاغول رواهما مسلم وقال بعض الشعراء

الجود والغول والعنقاء ثالثة * اسماء أشياء لم تخلق ولم تكن

ويجمع الغول على غيلان وعلى اغوال قال

أيقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كانياب أغوال
وليس بذي رمح فيطعنني به * وليس بذي سيف وليس بنبال

قوله والمشرفي مضاجعي حال من المفعول وقوله وليس بذي رمح حال من الفاعل والواوان واوا الحال اذ لا يعطف حال على أخرى مخالفة لها في صاحبها فلا يقال لقيته مصعدا ومنحدرا ورابط كل من الجملتين بصاحبها الواو والضمير والمشرفي بفتح الميم السيف منسوب الى المشارف قرى من أرض العرب يجود فيها طبع السيوف والزرق النصال وصفها بالزرقة لخضرتها وصقالتها واستوفي في البيت الثاني ذكر المشهور من آلات القتل والمعنى ليس من الفرسان فيطعنني

بالرمح

الطرقات فتحار بهم وقد اختلفوا هل لها وجود حقيقة أو هي من خرافات العرب فذهب قوم الى الاول محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم اذا تغولت الغيلان فبادروا بالاذان وفي حديث أبي أيوب كان لي تمر في سهوة فكانت الغول تجيء فتأخذ منها وعليه فهي نوع من الشياطين سميت بذلك لاغتيالها الشخص وكل شئ اغتال الانسان فهو غول وذهب آخرون الى الثاني محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم كما ثبت في صحيح مسلم لاطيرة ولانوء ولا غول فنفى صلى الله عليه وسلم الغول كما نفى الطيرة ووقوع المطر بنوء الكواكب فهي من الامور المستحيلة التي هي على غير مسميات كما أشار لذلك بعض الشعراء بقوله

الجود والغول والعنقاء ثالثها * أسماء أشياء لم تخلق ولم تكن

لكن تطرق في الجود بأن كثيرا من الناس اتصفوا به حتى كان سجيتهم والصواب ان يقول والخل بدل الجود والمراد الخل الوفي كما قال بعضهم

لما اختبرت بني الزمان فلم أجد * خلا وفيا للشدائد أصطفي
ايقنت ان المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفي

وحاصل معنى البيت ان المحبوبة لاتدوم على حال تكون عليها بل تتغير من حال الى حال فتتلون بالوان شتى وترى في صور مختلفة كما تتلون وتتشكل الغول في أثوابها بالوان واشكال كثيرة

(قوله ولا تمسك الخ) لما وصفها فى البيت السابع بالاصابة بالمكروه والكذب واخلاف الوعد وتبديل خليل بآخر ثم وصفها فى البيت الثامن بعدم المداومة على حال واحد والتلون بالوان مختلفة وصفها فى هذا البيت بعدم التمسك على العهد فقال ولا تمسك الخ وهو معطوف على قوله فما تدوم الخ فالواو عاطفة ولا نافية وتمسك بفتح التاء والميم والسين المشددة واصله تتمسك حذفت احدى التاءين وهو مضارع تمسك او بضم التاء وفتح الميم وكسر السين المشددة وهو مضارع مسك يقال تمسك ومسك وامسك

بالرمح أو يقتلنى بالسيف ولا من الرماة فيرمينى والغول بالفتح مايغتال الشئ فيذهب به ومنه قولهم الغضب غول الحلم والحرب غول النفوس وقوله تعالى لا فيها غول أى ليس فيها مايغتال عقولهم فيذهب بها قال أبو عبيدة وأنشد

وما زالت الكاس تغتالنا * وتذهب بالاول الاول

وقال الجوهرى المعنى انه ليس فيها غائلة الصداع واستدل بقوله تعالى لا يصدعون عنها ولا ينزفون وقوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وقال البخارى فى صحيحه فى تفسير الآية الكريمة الغول وجع البطن اهـ وهو غريب وأما الفيل فيأتى تفسيره عند ذكره ان شاء الله تعالى فى القصيدة قال

(ولا تمسك بالوعد الذى زعمت * الا كما يمسك الماء الغرابيل)

(قوله ولا تمسك) عطف على فما تدوم وتمسك اما بضم التاء وكسر السين المشددة مضارع مسك بالتشديد واما بفتحها مضارع تمسك والاصل تتمسك فحذفت احدى التاءين يقال مسك بالشئ وتمسك به وامسك واستمسك بمعنى وقرئ ولا تمسكوا بعصم الكوافر بضم التاء وفتح الميم وتمسكوا بضم التاء وسكون الميم وقرئ فى غير السبع بفتحهما وقال تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى قيل فى التشديد معنى التكثير وهذا وهم وانما يفيد التشديد معنى التكثير اذا لم يكن الفعل موضوعا عليه كما فى حدث وخبر ولم يكن لافادة تعدية القاصر الى المفعول كما فى فرحته ولا المتعدى لواحد الى المتعدى لاثنين كعلمته الحساب ومثال ذلك قتلت وكسرت وحولت وطوفت (وقوله زعمت) اما بمعنى تكفلت ومصدره الزعم بالفتح والزعامة والتقدير الذى زعمت به كما قال تعالى وأنا به زعيم وقوله

تقول هلكت ان هلكت وانما * على الله أرزاق العباد كما زعم

واما بمعنى قالت ومصدره الزعم مثلث الفاء وهو قول يدعيه المدعى محتمل للحق والباطل وغلب استعماله فى الباطل ومنه زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا فقالوا هذا لله بزعمهم ومن استعماله فى الحق قول أبى طالب يخاطب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

ودعوتنى وزعمت أنك ناصح * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

وقول كثير

وقد زعمت أنى تغيرت بعدها * ومن ذا الذى يا عز لا يتغير

تغير جسمى والخليقة كالتى * عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

وقول سيبويه وزعم الخليل وانما يقول سيبويه ذلك اذا كان الخليل قد خولف فى ذلك

واما تمسك بمعنى واحد وبالعهد متعلق بالفعل قبله وفى نسخة بالوعد وفى بعض النسخ بالقول والذى صفة لما قبله وجملة زعمت صلة الذى والعائد محذوف وزعمت اما بمعنى تكفلت فيكون مصدره الزعم بفتح الزاى بمعنى الكفالة قال تعالى وانا به زعيم أى كفيل واما بمعنى قالت فيكون مصدره الزعم مثلث الزاى وهو قول يدعيه المدعى يحتمل الحق والباطل وغلب استعماله فى الباطل ومنه قوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا ومن استعماله فى الحق قول أبى طالب يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم

ودعوتنى وزعمت انك ناصح
ولقد صدقت وكنت ثم امينا

وقول كثير عزة

وقد زعمت انى تغيرت بعدها
ومن ذا الذى يا عز لا يتغير

فان عجز البيتين يدل على استعماله فى الصدق وقوله الا كما يمسك الماء الغرابيل أى الا تمسكا كما تمسك الغرابيل الماء فشبه تمسكها بالعهد بامساك الغرابيل الماء مبالغة فى النقض والنكث وعدم الوفاء بالعهد لان الماء بمجرد وضعه فى الغربال الذى تغربل به الحنطة ونحوها يخرج منه ففيه تشبيه معدوم بمعدوم فى صفة العدم وهذا الاستثناء نظير الغاية فى قوله تعالى حتى يلج الجمل فى سم الخياط وقولهم حتى يبيض القار فالمقصود منه توكيد انتفاء تمسكها بالعهد فالا لا يجاب النفى صورة ولتأكيده معنى والكاف حرف جر وما حرف مصدرى فيؤول الفعل بعدها بمصدر والكاف ومدخولها نعت لمصدر محذوف ولا يخفى ان الماء مفعول مقدم والغرابيل فاعل مؤخر وحاصل معنى البيت ان هذه المحبوبة لا تمسك بالعهد

الذى تكفلت الوفاء به أو الذى قالت انها تفى به الاتمسكا كامساك الغرابيل للماء فى العدم فان قيل كيف ساغ له ان يصف محبوبته بهذه الصفات مع انه لايليق ان يصف الشخص بها عدوه فضلا عن حبيبه اجيب بجوابين احدهما ان وصفه لها بهذه الصفات راجع الى مابه تلاق باحول المحبة من الوصل والهجر ومانشا كلهما وحينئذ فلا يكون قادحا فى الموصوف بها فشأن المحبوب الهجر والاعراض والتعنت ولا يكون مؤثرا فى محبته ولا قادحا فى ودادته ثانيهما ان يكون وصفه لها بتلك الصفات لتنفير الغير عنها فاراد ان يبين انها لاتفى بوعد ولا تقف عند عهد لتقل الرغبات فى طلبها وتنفر النفوس عن حبها واعلم ان هذه الاوصاف تقع من المحبوب على أربعة أنواع (الاول) ان يكون عن تيه ودلال وعلاجه بالتذلل كما أشار اليه بعضهم بقوله

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل * اذا رضى المحبوب صح لك الوصل

(الثانى) أن يكون عن ملال وضجر وعلاجه بتحمل المشقة والامساك عن المحبوب فمتى أحس منه بالملال امسك عنه الى ان يتحقق منه ذهاب الملال (الثالث) ان يكون ذلك ناشئا عن ذنب صدر من المحب وعلاجه بالتوبة من ذلك الذنب حتى لو رماه محبوبه بذنب لاحقيقة له اظهر له التوبة منه (الرابع) ان يكون عن بغض من المحبوب له وهذا هو الداء العضال الذى يعسر علاجه فلا حيلة للمحب الا التحمل والصبر والمغالطة والخداع لعله ان يخدع او يرق وبعضهم يأخذ المحبوب بالقهر ان لم يسمح بالوصل كما اشار اليه بعضهم بقوله

اذا لم يكن وصل الى الحب مسعف * وامسيت تحت الضير فى الشوق والضنك
واجاره لم استطع صبرا على الذل والهوى * فبالعزم الوصل اولى من الترك

ولم يرتض ذلك الصلاح الصفدى ولذلك قال

تمسك بذل فهو أليق بالهوى * لتنتظم مع اهل المحبة فى سلك
متى لاق بالعشاق عزو سطوة * كانك من ذل المحبة فى شك

القول وكان الراجح قوله وانتقد بر على هذا الوجه الذى زعمت انها تفى به أو الذى زعمت الوفاء به واقعا والاول اولى لان صاحب العين ذكر ان الغالب وقوع زعم على ان وصلتها وان وقوعه على الاسمين خاص بالشعر كقوله

زعمتنى شيخا ولست بشيخ * انما الشيخ من يدب دبيبا

وقال تعالى أين شركائى الذين كنتم تزعمون اى أنهم شركائى وهذا اولى من ان يكون التقدير تزعمونهم شركاء لما ذكرنا ولانه قد جاء فى مكان آخر ومانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء (وقوله كما) الكاف جارة وما مصدرية وهى وصلتها فى موضع جر والجار والمجرور اما حال من ضمير مصدر تمسك اى وما تمسكه الامشبها لهذا الامساك واما نعت لمصدر محذوف اى الاتمسكا كهذا الامساك وهذا الاستثناء نظير الغاية فى قوله تعالى حتى يلج الجمل فى سم الخياط وقولهم حتى يبيض القار وحتى يؤب القارظان وهما رجلان من عنزة خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا وقد كثر وصفهم النساء بالاخلاف ومنه قول ابن السراج النحوى

ميزت بين جمالها وفعالها * فاذا الملاحة بالخيانة لاتفى
حلفت لنا ان لاتخون عهودنا * فكانها حلفت لنا ان لاتفى

وقول الآخر

وان حلفت لا ينقض النأى عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

وقول المعرى

كل انثى وان بدى لك منها * آية الحب حبها خيتعور

اى باطل مضمحل وهو بالخاء المعجمة والعين المهملة بينهما مثناة من تحت ثم مثناة من فوق قال

(فلا يغرنك ما منت وما وعدت * ان الامانى والاحلام تضليل)

الفاء لمحض السببية كالواقعة فى جواب الشرط لان ما قبلها خبر وما بعدها طلب وعطف أحدهما على الآخر ممتنع على الصحيح ومثله زيد كاذب فلا تغتر بقوله ولا ناهية فالفعل بعدها فى موضع جزم ولكنه مبنى لنون التوكيد المباشرة وقيل لا نشترط المباشرة فنحو لتبلون مبنى أيضا وقيل الجميع معرب تقديرا والمختار الاول ونون التوكيد الخفيفة بمنزلة اعادة الفعل ثانيا والشديدة بمنزلة اعادته ثانيا وثالثا قاله الخليل وليست الخفيفة مخففة من الشديدة خلافا للكوفيين وتوكيد الفعل بعد لا جائز فى النثر باتفاق ان كانت ناهية نحو ولا تحسبن الله غافلا وقول كعب فلا يغرنك وخاص بالشعر عند الجمهور ان كانت نافية كقوله

تالله لا يحمدن المرء مجتنبا * فعل الكرام وان فاق الورى حسبا

(قوله فلا يغرنك الخ) اى اذا كانت المحبوبة متصفة بما ذكرنه من الصفات فلا يغرنك الخ فالفاء واقعة فى جواب شرط مقدر

فتكون للسببية بدون عطف لان ماقبلها اخبار ومابعدها انشاء وعطف احدهما على الآخر ممنوع على الصحيح ولا ناهية ويغرنك فعل مضارع مبني على الفتح لمباشرته نون التوكيد الخفيفة وتوكيد الفعل بعد لا جائز باتفاق ان كانت ناهية كما هنا دون ما اذا كانت نافية فلا يجوز الا في الشعر عند الجمهور كقوله

تالله لا يحمدن المرء مجتنبا * فعل الكرام وان فاق الورى حسبا

والخطاب في قوله فلا يغرنك يحتمل أن يكون لنفسه فيكون المصنف قد جرد من نفسه شخصا ووجه الخطاب اليه فيكون في كلامه التفات من التكلم الى الخطاب لانه صدر الكلام بالتكلم حيث قال فقلبي اليوم متبول ثم التفت الى الخطاب لنفسه بقوله فلا يغرنك الخ ويحتمل أن يكون لغيره ممن يصلح للخطاب وعليه فلا التفات وقوله ما منت اى ما منتك اياه بمعنى حملتك على تمنيه فمنت من التمنية وهي ان تحمل غيرك على ان يتمنى منك شيأ او بمعنى كذبت عليك فيه فانه يقال مناه بكذا يمنيه اذا كذب عليه فيه وما يحتمل ان تكون اسما موصولا بمعنى الذي وان تكون نكرة موصوفة بمعنى شيء وعلى كل فهي في محل رفع على الفاعلية وجملة منت لا محل لها على الاول لانها صلة وفي محل رفع على الثاني لانها صفة ويحتمل ان تكون مصدرية فتكون هي وصلتها في تأويل مصدر هو الفاعل أي تمنيتها اياك الوصل ولا تقدر المفعول حينئذ ضميرا بان تقول اياه لان الضمير لا يعود الا على الاسماء وما المصدرية من الحروف وقوله وما وعدت أي وما وعدتك اياه أو وعدها اياك الوصل فتجرى فيها

الاوجه الثلاثة السابقة وهي ان تكون اسما موصولا او نكرة موصوفة أو مصدرية والوعد هنا مستعمل في الخير لا غير كما يقتضيه المقام وقد يستعمل في الشر ان كان هناك قرينة كما في قوله تعالى وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فان لم تكن قرينة فالوعد للخير والايعاد للشر قال الشاعر

واني وان أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

ثم علل الناظم المصراع الاول وهو قوله فلا يغرنك ما منت وما وعدت بالمصراع الثاني وهو قوله ان الاماني والاحلام تضليل فالاماني

وأجازه ابن جني وابن مالك وغيرهما في النثر تمسكا بظاهر قوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة والكاف مفعول قدم وجوبا لانه ضمير لو تأخر لزم انفصاله ومثله أكرمني زيد والخطاب اما لغير معين مثل ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم على أحد الوجهين واما لنفسه على طريقة التجريد ومثله قولك يا نفس وقول امرئ القيس بن عابس لا امرئ القيس بن حجر خلافا لمن غلط

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلي ولم ترقد

والاثمد بفتح الهمزة وضم الميم اسم موضع (وقوله ما منت) يحتمل ما أوجها أحدها * ان تكون موصولا اسميا بمعنى الذي فموضعها رفع على الفاعلية وقول بعض المعربين في مثل ذلك انها وصلتها في موضع رفع مردود بظهور الاعراب في نفس الموصول في نحو جاء اللذان قاما وليقم أيهم هو أفضل وقول بني عقيل أو هذيل جاء اللذون قاموا وقول بني هذيل جاء اللاؤن فعلوا قال

هم اللاؤن فكوا الغل عني * بمرو الشاهجان وهم جناحي

الثاني ان تكون نكرة موصوفة بمعنى شيء فتكون أيضا في موضع رفع على الفاعلية * الثالث ان تكون مصدرية بمنزلة أن وأن فتكون هي وصلتها في موضع رفع ولا يكون الموضع لها وحدها لانها حرف على الصحيح وزن منت فعت وأصله منيت على وزن فعلت فتحركت الياء وانفتح ماقبلها فقلبت الفا فالتقى ساكنان فحذفت وهو متعد لاثنين قال

فانعق بضأنك يا جرير فانما * منتك نفسك في الخلاء ضلالا

وهما محذوفان في البيت والتقدير اذا جعلت ما اسما منتكه أو منتك اياه واذا جعلت حرفا ما منتك الوصل أى فلا يغرنك تمنيتها اياك الوصل ولم يقدر الثاني حينئذ ضميرا لان الضمير لا يعود الا على الاسماء ولهذا استدل على اسمية مهما وما التعجبية وأل الموصولة بعود الضمير عليهن في قوله تعالى مهما تأتنا به وقولك ما أحسن زيدا وجاء الضارب ومن زعم حرفية أل قدر مرجع الضمير موصوفا محذوفا فان قلت كيف جوزت تقدير المفعول الثاني على الوجهين الاولين ضميرا منفصلا مع أنهم نصوا على امتناع حذف العائد المنفصل نحو جاء الذي اياه أكرمت أو ما أكرمت الا اياه قلت انما امتنع في نحو ما أوردته لان حذفه في المثال الثاني مستلزم لحذف الا فيوهم نفي الفعل عن المذكور وانما المراد نفيه عما عداه وأما المثال الاول فان فصل الضمير فيه يفيد الاختصاص عند البياني والاهتمام عند النحوي فاذا حذف فانما يتبادر الذهن الى تقديره مؤخرا على الاصل فيفوت الغرض الذي فصل لاجله وأما الضمير في البيت فانه يستوي معناه متصلا ومنفصلا فلا يفوت بتقديره متصلا غرض وبهذا يجاب عن

راجعة لقوله مامنت والاحلام راجعة لقوله وماوعدت فيكون من قبيل اللف والنشر المرتب فالاول للاول والثانى للثانى كذا قال السيوطى وتبعه غيره وهذا يقتضى ان قوله وماوعدت معناه ماوعدت به فى النوم حتى تكون الاحلام راجعة اليه والظاهر ان المراد ماوعدت به فى اليقظة أومايعم مافى الحالتين ويمكن توجيه رجوع الاحلام لماوعدت بشموله لمافى النوم والاظهر انه ضم الاحلام الى الامانى لمناسبتها لها فى عدم التحقق وأشار الى تعليل قوله وماوعدت بالبيت بعدهذا وهو قوله

سؤال يورد فى نحو قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وتقديره انه ان قدر ومما رزقناهموه لزم اتصال الضميرين المتحدى الرتبة وذلك قليل فى ضمير الغيبة ممتنع فى غيرهما ولايحسن حمل التنزيل على القليل وان قدر رزقناهم اياه لزم حذف العائد المنفصل والجواب بالثانى وأن العائد المنفصل لايمتنع حذفه على الاطلاق (وقوله وماوعدت) لك فى ماهذه الاوجه الثلاثة ووعد أيضا يتعدى لاثنين نحو وعدكم الله مغانم كثيرة أخذ وعدناه وعدا حسنا فالتقدير أيضا ماوعدتكه أوماوعدتك اياه أوماوعدتك الوصل والوعد هنا للخير لان الموضع لايحتمل غيره وعكسه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم واذا لم تكن قرينة فالوعد للخير والايعاد للشر قال

وانى وان أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

(وقوله ان الامانى) الرواية بكسر الهمزة من ان على انه تعليل مستأنف ومثله فى تعليل النهى ولاتأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا وفى تعليل الامر وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين اخلع نعليك انك بالوادى المقدس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم وفى تعليل الخبر انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم وفتح أن فيهن على اضمار لام العلة جائز لغة وقد جاءت الرواية بالوجهين فى آية الطور وجوز وهما فى قول الملبى لبيك ان الحمد والنعمة لك والكسر أرجح لان الكلام حينئذ جملتان لاجملة واحدة وتكثير الجمل فى مقام الثناء والتعظيم مطلوب ولان اطلاق الثناء أولى من تقييده وانما يلزم التقييد على الكسر اذا قدر استئنافا بيانيا أعنى أن يقدر جوابا لسؤال مقدر أما اذا قدر استئنافا نحويا فلا والامانى جمع أمنية كالاثافى جمع أثفية ومثله الاضاحى والاواقى وتخفيف ياآتهن جائز وأصل أمنية أمنوية أفعولة كأكذوبة وأعجوبة قلبوا وأدغموا ثم أبدلوا الضمة كسرة (وقوله والاحلام) هو جمع حلم بضمتين وهو مايراه النائم وفعله حلم بالفتح يوزن رأى واما الحلم بالكسر فهو الصفح وكرم الخلق وفعله حلم بالضم مثل كرم لانه سجية واما الحلم بالفتح فهو فساد الجلد ونتنه وفعله حلم بالكسر لانه وزن يغلب فى العاهات الظاهرة كمرض وسقم والباطنة كحمق وعور قال عمرو بن العاص يخاطب معاوية رضى الله عنه وقد كتب الى أمير المؤمنين على رضى الله عنهم أجمعين

فانك والكتاب الى على * كدابغة وقد حلم الاديم

قوله والاحلام عطف على اسم ان ويجوز رفعه فان قلت انما يجيز ذلك الكسائى وقد خالفه تلميذه الفراء فاشترط خفاء اعراب الاسم نحو انك وزيد ذاهبان وخالفهما جميع البصريين فمنعوا ذلك مطلقا قلت هذا موضع يكثر فيه الوهم وانما الخلاف حيث يتعين كون الخبر

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

ومامواعيدها الا الاباطيل

كما أفاده شيخنا ومقتضى التعليل فتح همزة ان على تقدير اللام وهو جائز لغة لكن الرواية بالكسر على أنه تعليل مستأنف فهو تعليل فى المعنى ومثله قوله تعالى ولاتأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا والامانى بتشديد الياء جمع أمنية كالاضاحى جمع أضحية وتخفيف الياء جائز يقال تمنيت الشئ أى اشتهى حصوله ومنه قوله تعالى أم للانسان ما تمنى والاحلام جمع حلم بضمتين وهو مايراه النائم وفعله حلم بفتحات وقد غلبت الرؤيا على مايراه فى الخير والحلم على مايراه فى الشر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان وقوله تعالى اضغاث أحلام كما قاله السيوطى والتضليل تفعيل من الضلال وهو على تقدير مضاف والاصل ذوات تضليل أو جعلت نفس التضليل مبالغة على حد قولهم رجل عدل وقولهم انما هى اقبال وادبار أو انها مضللة بكسر اللام لكن الاسناد اليها مجاز عقلى لانها سبب التضليل اما الامانى فلانها مخايل فاسدة وضياع زمان فى غير فائدة قال على بن عبيدة الامانى مخايل للاسمين الجهل وقال افلاطون الامانى حلم المتيقظ وقال رجل لابن سيرين رأيت كأنى أسبح فى غير ماء وأطير فى غير هواء فقال أنت رجل تكثر الامانى لكن العاشق ربما استراح اليها وعلل نفسه بالركون اليها ولله در الحارثى حيث يقول امانى سعدى حسان كأنما * سقتنا بها سعدى على ظماء بردا متى ان تكن حقا يكن أحسن المنا * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا واما الحلم بالمحبوب وزيارة

طيفه في المنام فانه الحال الحائل والوصال الذي ليس تحته طائل ولله در القائل وزارني طيف من أهوى على حذر * من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا فكدت أوقظ من حولي به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا ثم انتبهت وآمالي تخيبني * نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا وبعض المحبين يأنس بالخيال ويتسلى به كما قال البحتري اذا ما الكرى أهدى الى خياله * شفى علة التبريح أو نقع الصدا بل بالغ التهامي حتى فضله على اليقظة حيث قال

للاسمين جميعا نحو انك وزيد ذاهبان واما نحو ان زيدا وعمرو في الدار فجائز اتفاقا ومنه قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وبيت كعب اذا رفع الاحلام اذ التضليل مصدر فيصح الاخبار به عن الواحد وما فوقه وانما الخلاف في تخريج ذلك فقال الكوفيون معطوف على محل الاسم وقال البصريون هو اما مبتدا حذف خبره والجملة معترضة بين اسم ان وخبرها واما مبتدا خبره ما بعده وحذف خبر ان لدلالة خبر المبتدا عليه ويشهد للاول قوله

فمن يك امسى بالمدينة رحله * فاني وقيار بها لغريب

وقيار اسم لفرسه بدليل ان اللام لا تدخل في خبر المبتدا ويشهد للثاني قوله

خليلي هل طب فاني وانتما * وان لم تبوحا بالهوى دنفان

بدليل انه لا يخبر عن الواحد بالمثنى ومنه قراءة بعضهم ان الله وملائكته يصلون على النبي برفع ملائكته أي ان الله يصلي وملائكته يصلون اذ لا يخبر عن الواحد بالجمع وقد يخرج على الوجه الاول على ان يقدر الجمع للتعظيم مثله في قال رب ارجعون (وقوله تضليل) تفعيل من الضلال أي تضييع وابطال ومنه ألم يجعل كيدهم في تضليل ولهذا قيل لامرئ القيس بن حجر الملك الضليل لانه ضلل ملك أبيه أي ضيعه والاصل ذوات تضليل ومثله هم درجات عند الله أي هم ذو ودرجات عند الله أو جعلت نفس التضليل مبالغة كقول الآخر يذكر ظبية فقدت ولدها

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت * فانما هي اقبال وادبار

فجعلها نفس الاقبال والادبار لكثرة وقوعهما منها قال

﴿ كانت مواعيد عرقوب لها مثلا * وما مواعيدها الا الاباطيل ﴾

لكان الناقصة معنيان أحدهما الدلالة على ثبوت خبرها لاسمها في الزمن الماضي نحو كان زيد فقيرا والثاني الدلالة على تحول اسمها من وصف الى آخر نحو وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة أي فصارت وصرتم ومنه كانت في البيت أي صارت مواعيد عرقوب مثلا لها بين الناس لشهرة اتصافها بالاخلاف ومواعيد جمع ميعاد كموازين في جمع ميزان لا جمع موعود لان المعنى ليس عليه ولان مفعولا صفة كمضروب ومقتول لا يكسر واما نحو مشائيم وملاعين فشاذ فان قلت انما يجوز ان يكون جمعا لموعود بمعنى الوعد قلت مجيء المصدر على مفعول اما معدوم أو نادر وجمع المصدر غير قياسي وعرقوب بضم أوله كعصفور وليس في العربية فعلول بالفتح الا صعفوق وخرنوب في لغية وهو علم منقول من عرقوب الرجل وهو ما انحنى فوق عقبها وعرقوب الوادي وهو منعطفه وهو رجل من العمالقة وهو عرقوب بن معبد بن زهير أحد بني عبد شمس بن ثعلبة أو عرقوب بن صخر على خلاف في ذلك

الطيف أحسن وصلا لان لذته تخلو عن الاثم والتنغيص والندم وحاصل معنى البيت لا تغتر بما حملتك على تمنيه منها أو بما كذبت عليك فيه من الوصل وما واعدتك به من ترك الهجر فان الاماني التي يتمناها الانسان والاحلام التي يراها في منامه سبب في الضلال وضياع الزمان بلا فائدة فمن تعلق بذلك فقد أتعب نفسه وشتت خاطره (قوله كانت مواعيد عرقوب الخ) أي صارت مواعيد عرقوب لها مثلا لشهرة اتصافها بالاخلاف فكانت بمعنى صارت كما في قوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة أي فصارت وصرتم ومواعيد جمع ميعاد كموازين جمع ميزان وعرقوب بضم العين واسكان الراء وضم القاف وبعدها واو وفي آخره باء موحدة وهو علم منقول من عرقوب الرجل وهو ما انحنى فوق عقبها أو من عرقوب الوادي وهو منعطفه واختلف في نسبه فقيل هو عرقوب بن معبد بن زهير وقيل عرقوب بن صخر وقد اشتهر هذا الشخص عند العرب بالخلاف

الوعد وكان من أمره انه وعد أخا له بيثرب ثمر نخلة وقال له ائتني اذا اطلع النخل فلما اطلع قال ائتني اذا أبلح فلما أبلح قال ائتني اذا أزهى فلما أزهى قال ائتني اذا أرطب فلما أرطب قال ائتني اذا صار تمرا فلما صار تمرا جزه من الليل ولم يعطه شيئا فضربوا به المثل في خلف الوعد فقالوا أخلف من عرقوب وتداوله العرب في شعرهم حتى قال علقمة الاشجعي وعدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب أخاه بيثرب قال التبريزي والناس يروون البيت بالثاء المثلثة والراء المكسورة وانما هو بالمثناة الفوقية والراء

المفتوحة موضع بقرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله أبو عبيدة والكلبي وقد خولفا في ذلك قال ابن دريد اختلفوا في عرقوب فقيل من الاوس فيصح على هذا أن يكون البيت بالثاء المثلثة والراء المكسورة وقيل من العماليق فيكون بالمثناة وبالراء المفتوحة لان العماليق كانت من اليمامة الى وبار و يترب هناك قال وكانت العماليق أيضا في المدينة اهـ وقال ابن دحية سميت المدينة يثرب باسم من نزلها من العماليق ٤٤ وهو يثرب بن عبيد ولا تسمى الآن يثرب لانه من مادة التثريب وأما قوله تعالى يا أهل يثرب فحكاية عمن قاله من المنافقين وقوله لها أي للمحبوبة وهو متعلق بكان على القول بان لها دلالة على الحدث وهو الصحيح أو هو حال مقدم من مثلا لانه كان صفة له فلما قدم عليه صار حالا على حد قوله * لمية موحشا طلل * أو هو خبر لكان ومثلا حال توقفت عليها فائدة الخبر كما في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين والمثل هو الذي حاكيت به شيأ آخر ويطلق على المثل بكسر الميم وسكون المثلثة يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه وعلى القول السائر وعلى النعت ومنه قوله تعالى وله المثل الاعلى وقوله عز وجل ذلك مثلهم في التوراة وقوله

وما مواعيدها الا الاباطيل

أي وما مواعيد سعاد الا باطلة لا حقيقة لها وهذا تأكيد لاخلافها الوعد فلم يكتف بضرب مواعيد عرقوب لها مثلا بل بعد ذلك جعل مواعيدها باطلة لا حقيقة لها فكانت أسوأ حالا في المطل والاخلاف وهذا على رواية وما مواعيدها الا الاباطيل وهي الرواية المشهورة و يروى وما مواعيده الا الاباطيل أي وما مواعيد عرقوب الا باطلة لا حقيقة لها وغرضه بذلك على هذه الرواية بيان صفة مواعيد عرقوب التي ضربها مثلا لها فبين انها باطلة لا حقيقة لها فتكون مواعيدها كذلك والاباطيل جمع باطل على غير قياس وهو ضد الحق وقد جرى الناظم رضي الله عنه في قصيدته على مذهب بعض المحبين من مناقشة المحبوب في المطل واخلاف الوعد وعدم الموافاة كما قال بعضهم يخاطب محبوبه

وكان من خبره انه وعد أخا له ثمر نخلة وقال ائتني اذا أطلع النخل فلما أطلع قال اذا أبلح فلما أبلح قال اذا أزهى فلما أزهى قال اذا أرطب فلما أرطب قال اذا صار تمرا فلما صار تمرا جده من الليل ولم يعطه شيأ فضربوا به المثل في الاخلاف فقالوا اخلف من عرقوب وقال علقمة الاشجعي

وعدت وكان الخلف منك سجية * مواعيد عرقوب أخاه بيترب

قال التبريزي والناس يروون يثرب في هذا البيت بالثاء المثلثة والراء المكسورة وانما هو بالمثناة وبالراء المهملة المفتوحة موضع بقرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قاله ابن الكلبي قلت وقاله أيضا أبو عبيدة وقد خولفا في ذلك قال ابن دريد اختلفوا في عرقوب فقيل هو من الاوس فيصح على هذا ان يكون بالمثلثة وبالمكسورة وقيل من العماليق فيكون بالمثناة وبالمفتوحة لان العماليق كانت منازلهم من اليمامة الى وبار ويترب هناك قال وكانت العماليق أيضا في المدينة اهـ وقال الحافظ أبو الخطاب بن دحية سميت المدينة يثرب باسم الذي نزلها من العماليق وهو يثرب بن عبيد وبنو عبيد هم الذين سكنوا الجحفة فاجحفت بهم السيول فسميت الجحفة ولا يجوز الآن ان تسمى المدينة يثرب لقول النبي صلى الله عليه وسلم يقولون يثرب وهي المدينة وكأنه كره هذا الاسم لانه من مادة التثريب وأما قوله تعالى يا أهل يثرب فحكاية عمن قاله من المنافقين اهـ ومن الغريب قول بعضهم ان عرقوبا جبل مظلل بالسحاب وانه لا يمطر أبدا فالاضافة في مواعيد عرقوب الى المفعول كأنه وعد بالمطر ولم يمطر أو الى الفاعل على المجاز كانه وعد الناظر اليه أن يمطر ولم يوف بذلك وعلى ما سبق فهو فاعل لا غير (قوله لها) تحتمل اللام ثلاثة أوجه أحدها أن تتعلق بكان على القول بأن لها دلالة على الحدث وهو الصحيح وقد استدل على صحة التعليق بها بقوله تعالى أكان للناس عجبا أن أوحينا اذ لا تتعلق اللام بعجبا ولا بأوحينا لامتناع تقدم معمول المصدر عليه وتقدم معمول الصلة على الموصول ولان المعنى ليس على الثاني واذا بطل تعلقها بهما تعين تعلقها بكان وفيه نظر لان المصدر هنا ليس في تقدير فعل وحرف مصدري اذ ليس فيه معنى الحدوث بل هو مثله في قولك لزيد معرفة بالنحو وذوق كما في الطب ولا يقدح ذلك في عمله في الظرف وان قدح في عمله في الفاعل والمفعول الصريح لان الظرف يعمل فيه رائحة الفعل وهذا الموضع قد وهم فيه كثير حتى انهم احتاجوا الى تقدير عامل للظرف في قوله تعالى لا يبغون عنها حولا وقول الحماسي

وبعض الحلم عند الجهـ * ـل للذلة اذعان

والثاني أن يكون حالا من مثلا على انه كان صفة له ثم قدم عليه على حد قوله

لمية موحشا طلل * الثالث أن يكون خبر الكان ومثلا حال توقفت عليها فائدة الخبر كما في قوله تعالى

تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين وعليهما فتعلقهما بمحذوف (قوله مثلا) المثل كل شئ حاكيت
به شيأ ومن ثم قالوا للصور المنقوشة تماثيل وهى جمع تمثال ويطلق على ثلاثة أمور أحدها
المثل بكسر الميم وسكون الثاء وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كما يقال شبه وشبه وشبيه
الثانى القول السائر الممثل مضربه بمورده وقد صنف العلماء فى هذا كتبا الثالث النعت
نحو ولله المثل الاعلى ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع الآية مثل الجنة
التى وعد المتقون مثلهم كمثل الذى استوقد نارا (قوله وما مواعيدها) الضمير للمرأة وروى
مواعيده أى مواعيد عرقوب (وقوله أباطيل) جمع باطل ضد الحق وهو جمع على غير قياس
واحده ونظيره حديث وأحاديث وعروض وأعاريض قال

*ارجو وآمل ان تدنو مودتها * وما اخال لدينا منك تنويل*

للرجاء معنيان أحدهما التأميل وهو المراد هنا ويستعمل فى الايجاب والنفى وقد اجتمعا فى
قوله تعالى وترجون من الله ما لا يرجون والثانى الخوف وذكر الفراء انه مختص بالنفى نحو
ما لكم لا ترجون لله وقارا أى ما لكم لا تخافون لله عظمة وقول ابى ذؤيب الهذلى يصف شخصا
يشتار عسلا وهو لا يبالى بلسع النحل

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها * وحالفها فى بيت نوب عواسل

وحالفها بالحاء المهملة أى خالطها والنوب النحل وهى جمع نائب كفاره وفره سميت نوبا
لسوادها وروى وخالفها بالخاء المعجمة وقيل لا تختص بالنفى بدليل وارجوا اليوم الآخر
وجوز ابن الخباز فى قول ابن معط يقول راجى ربه الغفور كونه بمعنى الآمل أو الخائف
والظاهر الاول لقرينة ذكر الغفور وأما الآية فتحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن يراد وافعلوا
ما ترجون به حسن العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب الثانى أن يكونوا أمروا بالرجاء
والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة هذا الشرط
الثالث أن يكون الرجاء بمعنى الخوف (وقوله وآمل) الامل هو الرجاء قيل وانما عطف عليه
لانه يكون فى الممكن والمستحيل والرجاء يخص الممكن قلت وانما هذا الفرق بين التمنى والرجاء
وانما المصحح للعطف اختلاف اللفظ نحو فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وقوله
أقوى وأقفر بعد أم الهيثم ومثله فى الاسماء انما أشكو بثى وحزنى الى الله أولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقوله *وألفى قولها كذبا ومينا* ولا
يعطف هذا النوع الا بالواو قال ابن مالك وقد تنوب أو عنها فى اللفظ فى قوله تعالى ومن
يكسب خطيئة أو اثما وفيه نظر لامكان أن يراد بالخطيئة ما وقع خطأ وبالاثم ما وقع عمدا فان
قلت هلا قدرت الجملة حالا من فاعل أرجو ليسلم من مخالفة الاصل فى العطف قلت ان سلمت
من ذلك وقعت فى مخالفة أصلين اذ الاصل فى الحال ان تكون مبينة لا مؤكدة والاصل
فى المضارع المثبت الخالى من قد اذا وقع حالا ان لا يقترن بالواو نحو ولا تمنن تستكثر ونحو
ونذرهم فى طغيانهم يعمهون وفى قوله هنا وآمل وقوله فيما سيأتى
وقال كل خليل كنت آمله وقوله *والعفو عند رسول الله مأمول* دليل على انه كما يقال
أمّلته بالتشديد فهو مؤمّل كذلك يقال أملته بالتخفيف فهو مأمول وقد سئل فى مدينة

وانت الذى أخلفتنى ما وعدتنى
وأشمت بى من كان فيك يلوم

وذهب بعض المحبين الى
استعذاب المطل والتسلى به
عن الوصل كما قال شرف الدين
ابن الفارض

عدينى بوصل وامطلى بنجازه
فعندى اذا صح الهوى حسن
المطل

حتى ان بعض المحبين يعد الوعد
والامانى سبب الحياة ولولا ذلك
لمات كما قال العفيف

لولا مواعيد آمال أعيش بها
لمت يا أهل هذا الحى من زمن

وكان ذلك يختلف باختلاف
رتب المحبين فى المحبة (قوله ارجو
وآمل الخ) لما وصفها بأوصاف
القطيعة والجفا من أول البيت
السابع وهو قوله أكرم بها خلة
الخ البيت الحادى عشر وهو
قوله فلا يغرنك ما منت الخ على
ما تقدم بيانه فى مواضعه أخذته
دهشة المحبة فذهل عما هى عليه
من ذلك فتعلق بالرجاء وجنح الى
الامل فقال ارجو وآمل الخ
اذ لا يليق بالشخص أن يقطع
رجاءه من مطلوبه وأن ييأس
من محبوبه فقد قيل من طلب
شيأ ناله أو كاد وربما كان غير
المرجو أقرب الى الحصول من
المرجو وقال الحسين بن على رضى
الله عنهما كن لما لا ترجوه
أرجى منك لما ترجوه فان
موسى عليه السلام ذهب الى
الطور ليقتبس نارا فلم يظفر بها
ورجع نبيا مرسلا ولله در القائل

السلام عن مسائل من جملتها هذه فكتب أبو نزار الملقب بملك النحاة انه لايجوز أن يقال مأمول الا أن يسمعه الثقة أمل بالتخفيف وكتب الامام أبو منصور الجواليقي انه لاريب فى جواز ذلك وان الائمة ردوه كالخليل وغيره ثم أنشد بيت كعب والعفو عند رسول الله مأمول وقول بعض المعمرين

المرء يامل أن يعيـ * ـش وطول عيش قد يضره

وكتب الامام أبو السعادات ابن الشجرى بالجواز أيضا وتعرض لابى نزار ونسبه الى الجهل ثم قال وقوله انه لايجوز أن يقال مأمول الا أن يسمعه الثقة أمل قول من لم يعلم انهم قالوا فقير مع انهم لم يقولوا فقر وانما يقولون افتقر أفتراه يمنع فقيرا لكون الثقة لم يسمعه فقر مع ان القرآن قد ورد به فى قوله تعالى انى لما أنزلت الى من خير فقير وليت شعرى ما الذى سمع هذا الرجل من اللغة حتى أنكر أن يفوته هذا الحرف بل ينبغى له اذا أمعن النظر فى كتب اللغة فلم يجده ثم سمع * والعفو عند رسول الله مأمول * أن يسلم لكعب و يذعن صاغرا انتهى ملخصا ومن الغريب ان هذين الامامين لم يستدلا على مجئ أمل بالبيتين المذكورين فى هذه القصيدة بل تكلف ابن الجواليقى وأنشد قول شاعر آخر وقول ابن الشجرى انه لم يسمع فقر اعتمد فيه على كلام سيبويه والاكثرين وذكر ابن مالك ان جماعة من أئمة اللغة نقلوا مجئ فقر وفقر بالضم والكسر وان قولهم فى التعجب ما أفقره مبنى على ذلك وليس بشاذ كما زعموا وفى قوله أرجو وآمل التفات عن الخطاب فى قوله فلا يغرنك الى المتكلم الذى بدأ به فى قوله فقلبى اليوم متبول وان كان الخطاب فى قوله فلا يغرنك لغيره فلا التفات فى واحد منهما (قوله ان تدنو) تنازعه الفعلان فاعمل الثانى وحذف مفعول الاول ولا يحسن أن يقال اعمل الاول وحذف معمول الثانى على حد قوله

بعكاظ يعشى الناظر يـ * ـن اذا هم لمحوا شعاعه

الاصل لمحوه لان ذلك ضرورة فلا يخرج عليه ماوجدت عنه مندوحة (وقوله ان تدنو) بالاسكان محتمل لوجهين أحدهما ان يكون أهمل ان المصدرية حملا على ما المصدرية كما قال

اذا كان أمر الناس عند عجوزهم * فلا بد أن يلقون كل ثبور

وكقراءة مجاهد لمن أراد أن يتم الرضاعة كذا قالوا ويمكن أن يخرج على انها عاملة وذلك بان يكون الاصل يتمون بواو الجماعة حملا على معنى من مثل ومنهم من يستمعون ثم حذفت النون للناصب والواو للساكنين والوجه الثانى انه أجرى الفتحة على الواو مجرى الضمة للضرورة قال المبرد وهو من أحسن الضرورات وقد جاء ذلك فى أخف من الواو وهى الياء كقول الاعشى

فآليت لا أرثى لها من كلالة * ولا من حفا حتى تلاقى محمدا

صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون أصله تلاقين على انه التفت من الغيبة الى الخطاب ويشهد له انه خاطبها فى البيت بعده بقوله

متى ماتناخى عند باب ابن هاشم * تراحى وتلقى من فواضله ندى

ولكنه يبعده ان الالتفات لايوجد فى جملة واحدة الا نادرا كقراءة الحسن اياك يعبد بل قد جاء اسكان الواو فى النثر كقراءة بعض السلف أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح بل قد جاء اسكان الياء فى النثر فى الاسم مع ان الياء أخف من الواو والاسم أخف من الفعل كقراءة

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا ويحتمل أن يكون الرجاء والامل وقعا منه على سبيل تعليل النفس وهراوتها كيلا يغلب عليها اليأس كما قيل

أعلل بالتقافى لعلى
أروح بالامانى الهم عنى
واعلم ان وصلك لا يرجى
ولكن لا أقل من التمنى

ثم ان جعل قوله فى البيت الحادى عشر فلا يغرنك خطابا لنفسه كان هناك التفات من الخطاب الى التكلم كما ان هناك التفاتا من التكلم الى الخطاب و يكون قد رجع الى الحالة الاولى التى هى التكلم وان جعل قوله فى البيت المذكور فلا يغرنك خطابا لغيره فلا التفات هنا كما لا التفات هناك والرجاء بالمد غلبة الظن بحصول الشئ تقول رجوت الشئ أرجوه اذا غلب على ظنك حصوله و يطلق الرجاء على الخوف ومنه قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا أى لا تخافون لله عظمة والامل هو الرجاء يقال أملت الشئ آمله بمد الهمزة وضم الميم واللام اذا رجوته فالعطف فى قوله وآمل من قبيل عطف الرديف والمصحح للعطف اختلاف اللفظين كما فى قوله تعالى فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا خلافا لمن جعله من عطف العام

جعفر بن محمد من أوسط ما تطعمون أهاليكم وقرئ أيضا وانى خفت الموالى من ورائى فاذكروا اسم الله عليها صواف بياء ساكنة جمع صافية أى خوالص لله (قوله اخال) بمعنى أظن وهما سيان فى نصب المفعولين وجواز سد ان وان وصلتهما مسدهما وجواز الالغاء للتوسط والتأخر واتحاد الفاعل والمفعول ضميرين متصلين لمسمى واحد والاعتراض فيهما بين حرف ومطاوبه ووجوب التعليق لاعتراض ماله صدر الكلام وحذف المفعولين اختصار الدليل واقتصار الافادة تجدد الفعل وحدوثه مثال نصبها المفعولين قوله

وخلت بيوتى فى يفاع ممنع * تخال به راعى الحمولة طائرا

اليفاع ما ارتفع من الارض والحمولة بالفتح الابل وغيرها مما يحمل عليه ومثال سد ما ذكر مسدهما قول الهذلى

فغبرت بعدهم بعيش ناصب * واخال انى لاحق مستتبع

وقول ابن دريد

ماخلت ان الدهر يثنينى على * صراء لا يرضى بها ضب الكدى

الصراء بالصاد المهملة الصخرة الصماء الملساء والكدى جمع كدية وهى الارض الصلبة والضباب مولعة بها ومثال الالغاء قوله

أبالاراجيز يا ابن اللؤم توعدنى * وفى الاراجيز خلت اللؤم والخور

كذا رواه النحويون وزعم الجاحظ ان الصواب والفشل وان القصيدة لامية والصواب انهما قصيدتان ومثال الاتحاد والاعتراض المذكورين قوله

ماخلتنى زلت بعدكم ضمنا * اشكو اليكم حموة الالم

الضمن كالزمن وزنا ومعنى والحموة بضم المهملة وتشديد الواو السورة ومن الاعتراض قوله وما أدرى وسوف اخال أدرى البيت ومثال التعليق قوله * واخال انى لاحق مستتبع * فيمن رواه بكسر الهمزة من انى ووجهه ان الاصل انى للاحق فعلق باللام ثم حذف لفظها وبقى حكمها ومثال حذف المفعولين ان يقال ازيد قائم فتقول خلت وفى المثل من يسمع يخل أى من يسمع خبرا يحدث له ظن وكسر همزة اخال فصيح استعملا الا شاذ قياسا وفتحها لغة أسد وهو بالعكس وحكم حرف المضارعة فى غير هذا الحرف ان يضم باجماع ان كان الماضى رباعيا نحو أدحرج وأكرم وتفتح فى لغة الحجازيين فيما نقص أو زاد كيضرب وينطلق ويستخرج وأما غيرهم فيكسر غير الياء فى ثلاث مسائل (احداها) فى يفعل بالفتح مضارع فعل بالكسر كعلمت تعلم بخلاف تذهب فان ماضيه مفتوح ويثق فان المضارع مكسور ومن قال تحسب بالفتح كسر ومن كسر فتح وقرئ ولا تركنوا وقال الشاعر

قلت لبوّاب لديه دارها * تيذن فانى حموها وجارها

أى لتأذن أمر الفاعل المخاطب باللام وحذفها وبقى عملها وكسر أوّل المضارع وسمعت بدويا يقول فى المسعى انك تعلم ما لا نعلم بكسر التاء والنون (الثانية) أن يكون الماضى مبدوأ بهمزة الوصل نحو ينطلق ويستخرج وقرئ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه واياك نستعين وامامن كسر فى نعبد فكانه ناسب بين كسر النونين (الثالثة) ان يكون مبدوا بتاء المطاوعة أو شبهها

على الخاص معللا له بأن الامل يكون فى الممكن والمستحيل والرجاء يخص الممكن ورد بأن الفرق المذكور انما هو بين التمنى والرجاء لا بين الامل والرجاء وقوله ان تدنو مودتها أى تقرب محبة سعاد فتدنو بمعنى تقرب والمودة خلاف العداوة وهو المحبة والضمير لسعاد وقد تنازع قوله ان تدنو الفعلان قبله فأعمل الثانى وأضمر فى الاول ضميره ثم حذف ولا يحسن أن يقال أعمل الاول وأضمر فى الثانى ثم حذف لان ذلك شاذ لوجوب أن يضمر فى الثانى جميع ما يحتاج اليه ولا يرد قوله

بعكاظ يعشى الناظريـ
ـن اذا هم لحوا شعاعه

والاصل لحوه ثم حذف الضمير لانه ضرورة وسكنت الواو من تدنوا اما لكونه أهمل أن المصدرية حملا على ما أختها كما فى قراءة بعضهم لمن اراد أن يتم الرضاعة برفع يتم ويمكن أن يكون الاصل يدنون بواو الجمع حملا على معنى من ثم حذفت النون للناصب واما لكونه أجرى الفتحة مجرى الضمة فى تقديرها على الواو للضرورة قال المبرد وهو من أحسن الضرورات بل قد جاء اسكان الواو فى النثر كقراءة بعض السلف أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح باسكان الواو وقوله

نحو تتذكر وتتكلم وكانهم جعلوا هذا الكسر عوضا عن كسر أول الماضى فى نحو نستعين وثانيه فى نحو تعلم وأما نحو تتكلم فكانهم حملوا تفعل على انفعل لانهما للمطاوعة نحو كسرته بالتشديد فتكسر وكسرته بالتخفيف فانكسر واعالم بحيز واكسر الياء لثقل الكسرة عليها ولكنهم جوزوه اذا تلاها واو ليتوصلوا به الى قلبها اياه نحو وجل بيجل (قوله لدينا) قيل لدى لغة فى لدن والصحيح انها مرادفة لعند وهو قول سيبويه فتكون للقرب الحسى نحو اذ القلوب لدى الحناجر ألفيا سيدها لدى الباب والمعنوى نحو قولك لديه فقه وأدب وتقلب ألفها ياء مع الضمير فى لغة الجمهور (قوله منك) بعد قوله مودتها فيه التفات من الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى اياك نعبد فان كان قوله أرجو وآمل التفاتا عن الخطاب فى قوله فلا يغرنك ففى البيت التفاتان (قوله تنويل) لك فى ارتفاعه وجهان (احدهما) ان يكون فاعلا اما بالظرف الاول أو الثانى أما على قول الاخفش والكوفيين انه لا يشترط فى اعمال الظرف الاعتماد فلا اشكال وأما على قول الجمهور ان ذلك شرط فعلى ان تكون الحال معترضة بين النافى والظرفين فان قلت هل يجوز ان يكون الظرفان تنازعاه فان أعملت الاول أضمرت فى الثانى اتفاقا وان اعملت الثانى اضمرت فى الاول عند البصريين وحذفت معموله عند الكسائى وأعملت فيه الاثنين عند الفراء كما تقول فى قام وقعد زيد قلت شرط صحة التنازع ان يكون بين العاملين ارتباط فلا يجوز نحو قام قعد زيد بغير عطف وهذا بمنزلته فان قلت فما الدليل على جواز ما زعمته من صحة الاعتراض بين النافى والمنفى قلت قول الشاعر

ولا أراها تزال ظالمة * تحدث لى قرحة وتنكؤها

وقد ثبت الاعتراض بين الحرف ومصحوبه فى كلمتى خلت والحال أنفسهما فالاول كما تقدم من قول الشاعر * ما خلتنى زلت بعدكم ضمنا * والثانى كقول زهير

وما أدرى وسوف اخال ادرى * أقوم آل حصن ام نساء

فان تكن النساء مخبآت * فحق لكل محصنة هداء

وفى البيت الاول دليل على ان القوم مختص بالرجال ونظيره قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال تعالى ولا نساء من نساء وكثير من الناس برفع النساء فى البيت توهما منهم أنه الاسم ومخبآت الخبر وانما الاسم ضمير آل حصن والنساء خبر ومخبآت حال أى فان تكن آل حصن النساء مخبآت فحق لهن ان يهدين الى أزواجهن كسائر المتزوجات والوجه الثانى أن يكون مبتدأ مخبرا عنه بالظرف الاول أو الثانى أو كلاهما وساغ الابتداء به حينئذ لتقدم النفى ولتقدم خبره ظرفا فاذا قدر الظرفان خبرين قدر لكل منهما متعلق يخصه واذا قدر الخبر الاول فالظرف الثانى اما متعلق به أو بمتعلقه المحذوف على الخلاف المشهور فى ان العمل للظرف أو للاستقرار واما حال فيتعلق بمحذوف وفى صاحب الحال وجهان أحدهما انه الضمير المستتر فى الظرف الاول لان الصحيح ان الظرف يتحمل ضميرا منتقلا اليه من الاستقرار المحذوف ولهذا أكد فى قول كثير

فان تك جثمانى بارض سواكم * فان فؤادى عندك الدهر أجمع

وزعم ابن خروف انه لا يتحمله الا بشرط التأخر عن المبتدا وزعم آخرون انه لا يتحمله مطلقا

تقدم

وما اخال لدينا منك تنويل

أى وما أظن عندنا من جهتك عطاء ونوال وايصال وصال فاخال بكسر الهمزة على الافصح بمعنى أظن وهما سيان فى العمل وسائر الاحكام ويجوز أن تكون اخال هنا عملة أو ملغاة أو معلقة اما الاعمال فجزم به بدر الدين بن مالك وعليه فجملة لدينا منك تنويل فى محل نصب لانها مفعول ثان والمفعول الاول ضمير الشأن والتقدير وما اخاله أى الحال والشان وبحث فيه بأن ضمير الشان خارج عن القياس فلا ينبغى الحمل عليه مع امكان غيره واما الالغاء فلان النافى لما تقدمها أزال عنها التصدر المحض فسهل الغاؤها وعليه تكون تلك الجملة لا محل لها لالغاء العامل وأما التعليق فعلى ان الاصل للدينا فعلق الفعل باللام ثم حذفت وبقى التعليق وعليه تكون تلك الجملة المذكورة فى محل نصب لانها سدت مسد المفعولين ولدى بمعنى عند وقلبت ألفه ياء لاضافته للضمير وتكون للقرب الحسى كما فى قوله تعالى وألفيا سيدها لدى الباب أى عند الباب والمعنوى كما فى قولك لديه فقه وأدب ومنك بكسر الكاف بمعنى من جهتك وفيه بعد قوله مودتها التفات من الغيبة الى الخطاب فان كان فى قوله

تقدم أو تأخر والصحيح الاول ومن ثم قال ابن جني في قول الشاعر

ألا يانخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام

الناس بناة ون هذا البيت على انه من تقديم المعطوف على المعطوف عليه وليس بلازم لجواز ان يكون العطف على ضمير الرحمة المستتر في عليك على حد قول بعضهم مررت برجل سواء والعدم ولا يرد عليه أن يقال تخلص من وجه ضعيف الى آخر ضعيف لان غرضه ان البيت محتمل فلا دليل عليه ولان العطف على الضمير المرفوع اسهل من تقديم المعطوف فانه لا يقع الا في الشعر ثم من زعم ان الظرف لا يتحمل ضميرا مطلقا ولا يتحمله مع التقدم لزم عنده ان يكون البيت من تقديم المعطوف والوجه الثاني من وجهي صاحب الحال انه نفس التنويل على ان الظرف كان في الاصل صفة له فلما تقدمه صار حالا منه وعامله على هذا الوجه أيضا الاستقرار المقدر لا الابتداء العامل في تنويل لان الحال انما يعمل فيها الفعل وشبهه أو معناه وانما جوزنا هذا الوجه بناء على صحة اختلاف عاملي الحال وصاحبها أو هو قول سيبويه ولهذا قال في قوله تعالى وان هذه أمتكم أمة واحدة ان أمة حال من أمتكم مع ان أمتكم معمول لان والحال معمولة للتنبيه أو للاشارة وقال في قول الشاعر * لمية موحشا طلل * ان موحشا حال من الطلل مع انه لا يجيز ارتفاع طلل على الفاعلية لعدم اعتماد الظرف واذا قدر الخبر الظرف الثاني كان الظرف الاول متعلقا به وجاز تقديمه عليه للاتساع في الظرف ونظير قولهم أكل يوم لك ثوب بتقدم الظرف على الجملة بأسرها ولا يجوز ذلك في الحال لا تقول جالسا زيد في الدار ونقل جماعة الاجماع على ذلك وان الخلاف انما هو في التوسط بين الظرف المؤخر وبين المخبر عنه فمنعه الجمهور لضعف العامل وأجازه الاخفش ومتابعوه تمسكا بقراءة الحسن والسموات مطويات بيمينه وقراءة آخرما في بطون هذه الانعام خالصة بنصب مطويات بالكسر وخالصة بالفتح وقيل الاجماع في المسئلة كقول الاخفش في فداء لك أبي ان فداء حال وكقول ابن برهان في هنالك الولاية لله الحق ان هنالك حال فان قلت أخبرني عن الحال في البيت أمعملة أم ملغاة أم معلقة قلت كل ذلك جائز اما الالغاء فعلى ان النافي لما تقدمها أزال عنها التصدر المحض فسهل الغاؤها كما سهل الغاء ظننت تقدم متى واني في متى ظننت زيد منطلق وقول الحماسي

كذاك أدبت حتى صار من خلقي * اني رأيت ملاك الشيمة الادب

أو على تقدير النافي داخلا على الجملة الاسمية وتقدير الحال معترضة بينهما كما تقدم واما التعليق فعلى ان الاصل للديناقعلق الفعل باللام ثم حذفت وبقي التعليق كما تقدم في قول الهذلي والخال اني لاحق فيمن كسر الهمزة واما الاعمال فجزم به ابن مالك بدر الدين وليس كذلك لما بيناه ولما نبين ووجهه ان يكون مفعولها الاول ضمير الشان محذوفا والاصل وما اخاله ومن حذف ضمير الشأن الحديث ان من أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون وحكاية الخليل ان بك زيد مأخوذ أي انه كذا قالوا وليس بمتعين في حكاية الخليل بل يجوز ان يكون التقدير انك وهو أولى لان ضمير الشأن خارج عن القياس لعوده على المتأخر ولتفسيره بالجملة فلا ينبغي الحمل عليه مع امكان غيره ولهذا كان الاولى في الضمير المنصوب بان من قوله تعالى

أرجو وآمل التفات عن الخطاب في قوله فلا يغرنك الى التكلم كان في البيت التفاتان والتنويل العطاء والمراد به هنا الوصل ولك في ارتفاعه وجهان احدهما ان يكون مبتدا الخبر عنه باحد الظرفين وساغ الابتداء به وان كان نكرة لتقدم النفي عليه وتقدم خبره الظرف وثانيهما ان يكون فاعلا باحد الظرفين على ماذهب اليه الاخفش والكوفيون من انه لا يشترط في اعمال الظرف الاعتماد فان قيل كيف ساغ له نفي حصول المودة بقوله

وما اخال لدينا منك تنويل

بعد رجائه وتأميله بقوله أرجو وآمل ان تدنو مودتها أجيب بأن نفي حصول التنويل من حيث بعدها كما أشار اليه في البيت الذي يليه وأجاب ابن هشام بأن المودة والتنويل شيا ن لا شئ واحد ولا يمتنع ان تودّه بقلبها وتمنعه من نوالها على انه قد تقدم انه انما قال أرجو وآمل ان تدنو مودتها لكونه أخذته دهشة المحبة فذهل عما هي عليه من الاوصاف فيحتمل انه رجع اليه عقله فتذكر أوصافها المخالفة للمودة فقال

وما اخال لدينا منك تنويل

وهذا يسميه أهل البديع بالرجوع لانه رجع الى كلامه السابق بالنقض كما في قول القائل

انه يراكم هو وقبيله ان يقدر عائدا على الشيطان لا ضمير الشان خلافا للزمخشرى ومما يؤيد ذلك قراءة بعضهم وقبيله بالنصب وضمير الشأن لا يتبع بتابع والاصل توافق القراءتين واعلم ان البيت مشتمل على أربع جمل الاولى أرجو وفاعله ولا محل لها لانها مستأنفة والثانية آمل وفاعله ولا محل لها لانها معطوفة على مالا محل له وقد مضى انه لا يحسن تقديرها حالية والثالثة الحال وفاعله وهى مستأنفة أيضا لا حالية لان المضارع المنفى بما كالمضارع المثبت فى وجوب تجرده من واو الحال كقوله

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبة * فمالك بعد الشيب صبا متيما

الرابعة لدينا منك تنويل ولا محل لها ان قدرت الحال ملغاة لانها حينئذ مستأنفة ومحلها النصب ان قدرت معملة أو معلقة لانها مفعول ثان على الاول وفى موضع المفعولين على الثانى قال ابن النحاس المتأخر أفتت زمنا أن القياس يقتضى جواز العطف على محل الجملة المعلق عنها العامل بالنصب ثم رأيت ذلك منصوصا عليه انتهى بمعناه وهذه مسئلة ظاهرة من قول النحويين ان المعلق غير عامل فى اللفظ وهو عامل فى المحل كلهم يقول ذلك وصرحوا أيضا بجواز العطف بالنصب وجاء السماع به كقول كثير

وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا * ولا موجعات القلب حتى تولت

فعطف موجعات بالنصب على محل ما البكا فان قلت كيف جاز ان ينفى ظن حصول التنويل بعدما أثبت رجاء دنو المودة قلت المودة والتنويل شيآن لا شئ واحد فلا يمتنع ان توده بقلبها وتمنعه من نوالها على انهما لو كانا شيأ واحدا لا يضر ذلك فان للشعراء طريقة مألوفة يعود أحدهم على ما قرره بالنقض ايذانا بالدهش والحيرة ويسمى ذلك فى علم البديع رجوعا ومنه قوله

قف بالديار التى لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

وقوله

فانك لم تبعد على متعهد * بلى كل من تحت التراب بعيد

وأما قوله

وقد زعموا ان المحب اذا دنا * يمل وان النأى يشفى من الصد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع * اذا كان من تهواه ليس بذى ود

فليس من ذلك خلافا لمن وهم وانما هو من باب التخصيص والتقييد وذلك ان صدر البيت الثانى لما اقتضى انه لا خير للمحب فى قرب الدار استدركه بما ذكر فى عجزه ولما اقتضى هذا العجز أن قرب الدار نافع بكل حال استدركه بما ذكر فى البيت الثالث قال

﴿أمست سعاد بارض ما يبلغها * الا العتاق النجيبات المراسيل﴾

(قوله أمست) يحتمل أمسى وجهين أحدهما ان تكون لتقييد ثبوت الخبر للاسم بزمن المساء وذلك على تفسير غداة البين بالغدوة والمعنى انها ارتحلت غدوة وأمست بارض بعيدة والثانى ان تكون بمعنى صارت كقوله

اليس قليلا نظرة ان نظرتها
ولكن قليل ليس منك قليل
فانه أولا استقل النظرة ثم تذكر ان ذلك ذهول منه حيث عد النظرة من محبوبه قليلا فقال ولكن قليل ليس منك قليل وحاصل معنى البيت انى مع اتصافها بالجفا واخلاف الوعد وعدم الوفاء بالعهد لا اقطع الرجاء من مودتها ولا ايئس من وصلها بل أرجو وآمل ان تقرب مودتها وان كان فى ذلك بعد (قوله أمست سعاد الخ) لما ذكر ما حملته عليه المحبة من الرجاء والامل بقوله

أرجو وآمل ان تدنو مودتها

اتبعه بذكر ان محبوبته صارت الى أرض بعيدة لا يوصله اليها الا النفائس من الابل القوية السريعة السير فقال أمست سعاد الخ أى صارت سعاد بأرض بعيدة فأمست بمعنى صارت كما هو الظاهر ويحتمل انها بمعنى دخلت فى وقت المساء فتكون تامة والمعنى دخلت فى وقت المساء بأرض بعيدة ويكون هذا مقابلا للغداة فى قوله

وما سعاد غداة البين اذ رحلوا

فكانه قال رحلت غدوة وأمست بأرض بعيدة وهذا اشارة لسرعة سيرها لانها سارت فى اليوم مسافة طويلة والمقصود بالحقيقة الاخبار ببعد محبوبته مع ان بعد الاحباب عذاب واذا كان المحب مع قرب الدار

لايشتفى غليله ولا يشفى عليله فكيف يصبر على البعاد أو يلذ له طيب الرقاد ولله در القائل

وقد زعموا ان المحب اذا دنا * يمل وان النأى يشفى من الصد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

وكيف يطيق البعد من يقول

وكدت وهو ضجيعى ان أقول له * من شدة الحب قد أبعدت فاقترب

أو من يقول

ومن عجب انى أحن اليهم * واسأل عنهم من رأى وهم معى
وتطلبهم عينى وهم فى سوادها * ويشتاقهم قلبى وهم بين أضلعى

والمراد بسعاد محبوبته المحدث عنها أولا وانما أعاد ذكرها بالاسم الظاهر لانه قصد استئناف نوع آخر من الكلام وهو وصف أرض سعاد بالبعد وذكر أوصاف ما يوصل اليها وقوله بأرض أى فى أرض فالباء بمعنى فى كما فى قوله تعالى وما كنت بجانب الغربى أى فى جانبه وقد بالغ فى بعدها حيث وصف الارض التى أمست بها سعاد بقوله لا يبلغها الا العتاق النجيبات المراسيل أى لا يبلغنى تلك الارض الا الابل الموصوفة بثلاث صفات محمودة فى الابل ووجه المبالغة فى البعد انه اختار الابل دون غيرها لان لها قوة على طول السير مع الاسراع لان لها طاقة على حمل الاثقال وناهيك فى الاخبار عن تبليغها المسافة البعيدة قوله تعالى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس والخيل وان كانت أسرع سيرا منها لكن فى المسافة القصيرة وقد أفاد هو انه لا يبلغها كل نوع من الابل بل لا يبلغها الا الابل الموصوفة بأنها العتاق النجيبات المراسيل وهذه الصفات ترجع اليها الاوصاف المحمودة فى الابل ومعنى يبلغها يوصلنى اليها وهو بالتضعيف من بلغ بالتضعيف أيضا فيتعدى لمفعولين والاصل لا يبلغنيها ثم حذف المفعول الاول ومعنى العتاق بكسر العين التى هى جمع عتيق الكرام الاصول سميت بذلك لانها عتقت من العيوب والمراد ما كان منها منسوبا الى نتاج فحل كريم كالعزيزية والشدقية والجزيلية نسبة الى عزيز وشدقم والجزيل وهى فحول كريمة ومعنى النجيبات التى هى جمع نجيبة القوية الخفيفة وقيل النفيسة الفاضلة فى نوعها وقيل الكرام الاصول فيكون على

أمست خلاء وأمسى أهلها ارتحلوا * أخنى عليها الذى أخنى على لبد

ومعنى أخنى أفسد لان الخنى الفساد والقبح والنقصان ولبد آخر نسور نعمان بن عاد لانه أعطى عمر سبعة انسر لان النسر يعمر طويلا (وقوله سعاد) اسم ظاهر أقيم مقام المضمر وذكره فى هذا البيت بعد ذكر ضميره فى البيت قبله أحسن منه فى قوله أول القصيدة متيم اثرها ثم قال وما سعاد وذلك لانه هنا قصد استئناف نوع آخر من الكلام وهو وصف أرض سعاد بالبعد وذكر ما يتصل بذلك من وصف الناقة * وقوله بارض الباء ظرفية مثلها فى وما كنت بجانب الغربى * وقوله يبلغها يحتمل وجهين أحدهما ان يكون منقولا بالتضعيف من بلغ فيتعدى حينئذ الى مفعولين كعرفته المسئلة والاصل ما يبلغنيها ثم حذف المفعول الاول والوجه الثانى ان يكون بمعنى يبلغها فيكون متعديا الى واحد وقد جاء فعل وفعل بمعنى القاصر والمتعدى فالاول كمشى ومشى قال

ودوية قفر تمشى نعامها * كمشى النصارى فى خفاف الارندج

الارندج واليرندج جلد أسود وهو معرب والثانى كقولك زلته وزيلته بمعنى فرقته ومنه فزيلنا بينهم أى فرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم فى الدنيا فان قلت لم جزمت بانه فعل مع انه يحتمل لفيعل كبيطر وقد أجاز أبو البقاء وغيره الوجهين قلت الصواب ما ذكرته لقولهم فى مصدره التزييل ولو كان فيعل لقالوا زيلة كبيطرة والضمير المتصل بيبلغ عائد الى الارض لانها مؤنثة بدليل ان الارض لله يورثها من يشاء وقولهم فى تصغيرها أريضة ولا يكون عائدا الى سعاد لان الجملة صفة لارض فلابد لها من ضمير يربطها بها ولا تكون مستأنفة لان الجار والمجرور حينئذ لا يصلح خبرا اذ جميع الناس كائنون بارض ومن هنا امتنع الاخبار بالزمان عن الجثة فى نحو قولك زيد فى يوم وصح اذا وصف الزمان بصفة مفيدة كقولك زيد فى يوم طيب والعتاق فاعل لفظا وبدل من الفاعل تقديرا اذ لابد من تقدير المستثنى منه أى ما يبلغها شئ وكذا كل استثناء مفرغ والاكثر مراعاة المحذوف ولهذا كثر ما جاء فى الا هند وندر ما جاءتنى الا هند والنجيبات جمع نجيبة وهى الكريمة من الخيل ويروى النجيات بالياء المشددة أى السريعات والعتيق من الابل والخيل وغيرهما الكريم الاصيل وعلى هذا فالعتيق والعتاق كالكريم والكرام وزنا ومعنى وفى الصحاح فرس عتيق أى رائع اه وعلى هذا فهو من قولهم وجه عتيق أى حسن كأنه عتق من جميع العيوب قيل ولهذا لقب أبو بكر الصديق رضى الله عنه عتيقا لحسن وجهه وقيل لقوله عليه الصلاة والسلام أبو بكر عتيق الله من النار رواه الترمذى وفيه فمن يومئذ سمى عتيقا وقيل لانه لم يكن فى نسبه شئ يعاب به قاله

هذا تأكيد لقوله العتاق وروى النجيات بتشديد الياء من غير باء موحدة ومعناها السريعات وعلى هذه الرواية يكون قوله
المراسيل بفتح الميم جمع مرسال بكسرها تأكيدا لان معناه السريعات من قولهم ناقة رسلة بفتح الراء وسكون السين اذا كانت
سريعة رفع اليدين في السير وحاصل معنى البيت ان محبوبته التي هي سعاد صارت بأرض بعيدة أو دخلت في المساء بأرض بعيدة
لا يوصله اليها الا الابل الكرام الاصول القوية ٥٢ السريعة لبعد مسافة ما بيني وبينها (قوله ولن يبلغها الخ) هذا البيت زيادة
تأكيد في بعد المسافة لانه ذكر
فيه انه لا يبلغه تلك الارض الا
الناقة الشديدة التي لا تكل
بالتعب ولا يضعف سيرها بالاعياء
وبلوح بذلك لناقته وقد أطنب
في مدحها وأمعن في وصفها في
تسعة عشر بيتا فوصفها في
هذا البيت بوصفين من أوصاف
الابل الجيدة فقال ولن يبلغها الخ
وفي بعض النسخ ولا يبلغها الخ
وفي نسخة وما يبلغها الخ وعلى
كل فهو معطوف على قوله
لا يبلغها الا العتاق الخ فكل
منهما صفة للارض وحينئذ
فالضمير عائد الى الارض لا الى
سعاد لانه لا بد من ان تشتمل
الصفة على ضمير يعود على
الموصوف فان قيل لو جعلنا الواو
للاستئناف صح رجوع الضمير
الى سعاد أجيب بأن في جعلها
للاستئناف خروجا عن اصلين
أحدهما نحوي وهو ان الاصل
في الواو العطف لا الاستئناف
وثانيهما بياني وهو ان تناسب
الضمائر اولى من تنافرها وقوله
الا عذافرة أي الا ناقة عذافرة
فهي صفة لموصوف محذوف
والعذافرة بضم العين وفتح الذال
وبعدها الف وبفتح الفاء والراء الناقة الصلبة العظيمة ويقال للجمل عذافر اذا كان كذلك وقوله فيها وفي نسخة في
لها أي في تلك الناقة أو لتلك الناقة وقوله على الاين أي مع الاين فعلى بمعنى مع كما في قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
والاين الاعياء والتعب قال أبو زيد وابن فارس ولا يبنى منه فعل وقد خولفا وقوله ارقال مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله أو فاعل
بالظرف لانه اعتمد على موصوف والارقال بكسر الهمزة واسكان الراء المهملة وقاف بعدها ألف ولام ضرب من السير سريع

مصعب بن الزبير وهذا هو المعنى الاول الذي قدمناه في تفسير العتيق من الابل والخيل
وغيرها واسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الله بن عثمان رضي الله عنهما والمراسيل جمع مرسال
مفعال من قولهم ناقة مرسلة اذا كانت سريعة وضع اليدين في السير ونظيره جمع مطعان
ومطعام ومجزاع على مفاعيل قال * مطاعين في الهيجا مطاعيم في القرى * وقال كعب في
هذه القصيدة لا يفرحون اذا نالت رماحهم * قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا
وانما تمتنع الصفة المبدوأة بالميم من التكسير في مسئلتين احداهما أن تكون على وزن
مفعول كمضروب وشذ نحو ملاعين ومشائيم والثاني أن تكون الميم مضمومة كمكرم
ومنطلق ويستثنى من هذه مفعل ومفعل المختصين بالمؤنث كمرضع ومكعب فيجوز
تكسيرهما قال الله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل وقال أبو ذؤيب

وان حديثا منك لو تبذلينه * جنى النحل في البان عوذ مطافل
مطافيل أبكار حديث نتاجها * يشاب بماء مثل ماء المفاصل

العوذ بذال معجمة جمع عائذ كحائل وحول والعائذ القريبة العهد بالنتاج من الظباء والابل
والخيل ويجمع أيضا على عوذان مثل راع ورعيان وحائر وحوران فاذا تجاوزت عشرة أيام
من يوم نتاجها أو خمسة عشر فهي مطفل وسميت بذلك لان معها طفلها وجمعها مطافل
والمطافيل بالياء اشباع كقوله * نفي الدراهيم تنقاد الصياريف * الشاهد في الصياريف فانه
جمع صيرف واما الدراهيم فانه جمع درهام لغة في درهم قال

لو كان عندي مائتا درهام * لابتعت دارا في بني حزام

والمفاصل قال الاصمعي منفصل الجبل من الرملة يكون بينهما رضراض وحصى صغار فان ماء
ذلك يكون صافيا اذا برق قال

* ولن يبلغها الا عذافرة * لها على الاين ارقال وتبغيل *

لك في يبلغها الوجهان السابقان وضميرها كضميرها في رجوعه الى أرض لا الى سعاد لان
يبلغها هذه معطوفة على تلك فهي مثلها في انها صفة لارض فلا بد من تحملها ضميرها فان
قلت قدر الواو للاستئناف وقد صح رجوع الضمير لسعاد قلت في هذا التقدير خروج عن
أصلين نحوي وبياني اما النحوي فلان الاصل في الواو العطف لا الاستئناف وأما البياني
فلان تناسب الضمائر أولى من تنافرها ولهذا قال الزمخشري في قوله تعالى ان اقذفيه في
التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له الضمائر كلها لموسى لما
يؤدي اليه رجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت من تنافر النظم فان قلت المقذوف

قال الجوهري هو نوع من الخبب وقال ابن الاثير هو فوق الخبب وقوله وتبغيل معطوف على ارقال والتبغيل بفتح التاء واسكان الباء وكسر الغين بعدها ياء ساكنة ثم لام ضرب من السير سريع أيضا فوق الخبب ودون الارقال فلو ترقى المصنف لقال تبغيل وارقال لان الارقال أقوى من التبغيل وانما يصنع كذلك لضرورة النظم وكانه شبيه بمشي البغال فلذلك سمي تبغيلا واعلم أن سير الابل في الاسراع على مراتب فاولها العنق بفتح العين والنون في آخره قاف ٥٣ وهو الذي يتحرك فيه عنق البعير وفي سائر مراتبه للناس اختلاف كبير والذي ذكره ابن أصبغ الازدي في ارجوزته ان اعلاه التشمر بفتح التاء المثناة فوق والشين المعجمة وضم العين المهملة المشددة وبعدها راء مهملة وهو غاية الطاقة في السير والارقال دونه في الرتبة والتبغيل فوق العنق ودون الارقال فيكون سير تلك الناقة مع الاعياء والتعب دائرا بين الارقال والتبغيل فاذا اشتد بها التعب والاعياء يكون غاية ما ينتهي اليه سيرها في قلة السرعة التبغيل واذا خف تعبها ترقت الى الارقال واما مع النشاط فيكون سيرها التشمر ولا تسير عنقا اصلا لقوتها على السير السريع جدا فاذا كان سيرها مع الاعياء والتعب على هذين الضربين من السريعين من السير فما ظنك بها اذا كانت في حال نشاطها وحاصل معنى البيت انه لا يبلغ تلك الارض الا ناقة موصوفة بصفتين محمودتين في الابل الاولى كونها عظيمة صلبة وهو المعنى بالعذافرة الثاني كونها لا تضعف بكثرة السير وهو المعنى بقوله لها على الاين ارقال وتبغيل فاذا كانت عظيمة صلبة سريعة السير مع الاعياء ومع عدمه بالاولى بلغ بها راكبها الى المدى البعيد في الزمن القصير

(قوله من كل نضاخة الذفرى الخ) لما وصف الناقة بوصفين في البيت الذي قبل هذا وهما كونها عظيمة صلبة وكونها لا تضعف بكثرة السير وصفها في هذا البيت بوصفين وهما كونها كثيرة عرق الذفرى وكونها عارفة بالطريق الطامس الاعلام الذاهب الآثار فقال من كل نضاخة الذفرى الخ والجار والمجرور خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي أي الناقة المذكورة او حال من العذافرة

في البحر والملقي الى الساحل هو التابوت قلت ما ضرك لو قلت هو موسى في جوف التابوت حتى لا يتنافر النظم اهـ فان قلت هلا اكتفى من الجملتين بضمير واحد اذا توسط الواو بينهما ومن شأنها ان تجمع بين الشيئين وتصيرهما كالشيء الواحد قلت انما تفعل الواو ذلك بين المفردات لا بين الجمل ألا ترى انه يجوز أن يقال هذان ضارب زيد وتاركه ويمتنع هذان يضرب زيدا و يتركه فان قلت فلم قال هشام بن معاذ النحوي الكوفي وهو من أئمتهم ان المسوغ للنصب في نحو زيد قام وعمرا أكرمته ان الواو للجمع مع انها بين جملتين كما ترى قلت هي مقالة تفرد بها وقد ردت عليه بما ذكرنا فان قلت فلم ساغ للجميع تقدير الجملتين كالجملة الواحدة مع الفاء حتى أجاز والذي يطير فيغضب زيد الذباب قلت لانها للسببية فما قبلها وما بعدها بمنزلة جملتي الشرط والجزاء وهما في حكم الجملة الواحدة ألا ترى انه يجوز زيد ان قام غضب عمرو ونحو زيد ان سافر غضب عمرو وأقام (قوله عذافرة) مهمل الاول مضمومه معجم الثاني وهي الناقة الصلبة العظيمة و يقال للجمل اذا كان كذلك عذافر وجمعهما عذافر بفتح أوله وألفه كألف مساجد وليست بالتي كانت في المفرد بل تلك محذوفة وقد اجتمع في هذا التكسير ما افترق في نحو كتب وفلك من التغيير بين اللفظي والتقديري (قوله على) هي ومجرورها حال وتتعلق بمحذوف وهي بمعنى مع مثلها في قوله تعالى الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم (قوله الاين) هو الاعياء والتعب قال أبو زيد ولا يبنى منه فعل وكذا قال ابن فارس وقد خولفا (قوله ارقال) مبتدأ أو فاعل بالظرف لانه قد اعتمد على موصوف وهو مصدر ارقل البعير وارقلت الناقة والارقال نوع من الخبب و يقال ناقة مرقل بغير تاء فاذا كثر واقالوا مرقال ومفعال من افعل قليل مثل معطاء ومهداء ومعوان (قوله وتبغيل) هو مشي فيه اختلاف بين العنق والهملجة وكأنه مشبه بسير البغال لشدته وهذا البيت تأكيد لما قبله في افادة بعد المسافة ومعناه ان هذه الارض لا يبلغها الا ناقة عظيمة صلبة سريعة العدو من صفتها انها اذا أعيت وكلت من السير سارت مع ذلك التعب هذين النوعين من السير فما ظنك بها اذا لم تكل به قال

* من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت * عرضتها طامس الاعلام مجهول *

(قوله من كل) قال عبد اللطيف بن يوسف من تبعيضية أو مبينة للجنس أي التي هي كل ناقة نضاخة اهـ والاول واضح وأما الثاني فقد يظهر انه أحسن وأبلغ لانه جعلها جميع هذا الجنس كما قالوا أطعمنا شاة كل شاة قال

وان الذي حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد

ولكن التحقيق انه لايجوز لانه لابدأن يتقدم المبينة شئ لايدرى جنسه فتكون من
مجرورها بيانا له كما فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان والذى تقدم هنا معلوم
الجنس وهى الناقة العذافرة ثم قوله فى تفسيرها أى التى هى كل ناقة نضاخة مشكل لان
المفسر عذافرة وهى نكرة والنكرة لاتفسر بالمعرفة وانما كان الصواب أن يقال هى نضاخة
ليكون المفسر جملة كما قالوا فى يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من
سندس ان المعنى من أساور هى ذهب وثيابا خضرا هى سندس والذى غره انهم يمثلون لمن
الجنسية غالبا بقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان ويقولون التقدير الذى هو الاوثان
وانما قدروه كذلك لان المفسر معرفة فقدروا تفسيره معرفة لان المبينة دائما تقدر كذلك
وتحتمل من وجها ثالثا أظهر مما ذكروهو أن تكون لابتداء الغاية أى عذافرة ابتداء
خلقها وايجادها من كل ناقة نضاخة يصفها بكرم الاصل وابتداء الغاية هو المعنى الغالب على
من حتى زعم المبرد وابن السراج والاخفش الصغير والسهيلى ان سائر ما ذكرها من المعانى
يرجع اليه وعلى الاوجه الثلاثة فيحتمل الظرف ثلاثة أوجه أحدها أن يكون رفعا بالتبعية
على انها صفة لعذافرة والثانى أن يكون رفعا بمباشرة العامل على انها خبر لهى محذوفة
والثالث أن يكون نصبا على الحال من عذافرة لانها قد اختصت بالوصف (قوله نضاخة)
صفة لمحذوف أى من كل ناقة نضاخة وفيه مبالغتان من جهتى الزنة والمادة اما الزنة فلانها
محولة من فاعل الى فعال للتكثير والمبالغة وأما المادة فلان النضخ بالخاء المعجمة أكثر من
النضح بالمهملة ولهذا قالوا النضح بالمهملة الرش وقالوا فى قوله تعالى نضاختان معناه فوارتان
بالماء هذا هو المعروف وعليه حذاق أهل الاشتقاق وان الواضع يضع الحرف القوى للمعنى
القوى والضعيف للضعيف وذلك كوضعه القصم بالقاف الذى هو حرف شديد لكسر الشئ
حتى يبين والفصم بالفاء الذى هو حرف رخو لكسر الشئ من غير أن يبين وعلى هذا تأول
الامام أبو يعقوب السكاكى قول عباد بن سليمان ان بين الحروف والمعانى تناسبا طبيعيا لما
رأى ان حمله على ظاهره موقع فى فساد ظاهر وذلك بادلة منها ان اللفظ يوضع للمتضادين
كالجون للابيض والاسود ومن المحال مناسبة شئ بطبيعته للشئ وضده وبنو من النضخ
بالمعجمة فعلا على فعل يفعل كسلخ يسلخ وذلك لاجل حرف الحلق هذا هو المعروف وهو قول
أبى زيد وقال الاصمعى لم يبن من هذه المادة فعل وأما النضح بالمهملة فلا خلاف فى بناء الفعل
منه وهو فعل بالفتح يفعل بالكسر على القياس وفى حديث المقداد توضأ وانضح فرجك وهذا
فى الحلق نظير نحت ينحت لان حرف الحلق يبيح توافق الماضى والمضارع فى الفتح ولا يوجبه
(وقوله الذفرى) بالمعجمة وهى النقرة التى خلف أذن الناقة والبعير وهو أول ما يعرق منهما
واشتقاقها من الذفر بفتحتين وهو الرائحة الظاهرة طيبة كانت أو غيرها ومن الاول قولهم
مسك أذفر ومن الثانى رجل ذفر أى له خبث ريح وأما الدفر باهمال الدال واسكان الفاء
فهو النتن خاصة ومنه قولهم دفرا له أى نتنا وللمرأة اذا سبت يادفار وقول عمر وادفراه وقولهم
فى كنية الدنيا وكنية الداهية أم دفر وأكثر العرب يقدر ألف الذفرى للتأنيث كألف
الذكرى فيقول هذه ذفرى أسيلة غير منونة وبعضهم يقدرها للالحاق بدرهم فينونها الا ان

ومن تبعيضية اومبينة للجنس
قال ابن هشام الاول اوضح لان
المعنى عليه ان تلك الناقة بعض
افراد ذلك الجنس والثانى
احسن لان المعنى عليه ان
تلك الناقة جميع هذا الجنس
على سبيل المبالغة ويحتمل وجها
ثالثا وهو ان تكون لابتداء
الغاية والمعنى عليه ان تلك الناقة
ابتداء خلقها واتخاذها من هذا
الجنس فيكون قصده ان يصفها
بكرم الاصل ويؤيد هذا الثالث
ان ابتداء الغاية هو المعنى الغالب
على من ونضاخة الذفرى صفة
لموصوف محذوف أى ناقة
نضاخة الذفرى واضافة نضاخة
للذفرى من اضافة الصفة
لمعمولها بعد تحويل الاسناد
والاصل نضاخة ذفراها ثم
حول الاسناد عن الذفرى الى
ضمير الناقة وانتصب على التشبيه
بالمفعول به ثم أضيفت الصفة
الى معمولها والنضاخة بفتح
النون وتشديد الضاد وبعدها
ألف وخاء ثم تاء التأنيث الكثيرة
السيلان يقال عين نضاخة
اذا كانت كثيرة الماء وكانت
فوارة ومنه قوله تعالى فيهما
عينان نضاختان أى فوارتان
وفيه مبالغتان من جهتى الزنة
والمادة اما الزنة فلانها محولة
من فاعل الى فعال للتكثير
والمبالغة واما المادة فلان
النضخ بالخاء المعجمة اعلى من
النضح بالحاء المهملة لان الاول

الرش الكثير والثانى القليل ولهذا قال حذاق أهل الاشتقاق ان الواضع يضع الحرف القوى للمعنى القوى والحرف الضعيف للمعنى الضعيف وذلك كوضعه القصم بالقاف الذى هو حرف شديد لكسر الشئ حتى أبين والفصم بالفاء الذى هو حرف رخو لكسر الشئ من غير ان يبان والذفرى بكسر الذال المعجمة وسكون الفاء وفتح الراء المهملة وفى آخره الف التأنيث فهى بزنة ذكرى وهى النقرة التى خلف اذن الناقة وهى اول ما يعرق منها واشتقاقها من الذفر بفتحتين ٥٥ وهى الرائحة الظاهرة طيبة كانت كرائحة المسك اوغير طيبة كرائحة النتن ومن الاولى قولهم مسك اذفر ومن الثانى قولهم رجل ذفر أى له خبث ريح وأما الدفر بالدال المهملة وسكون الفاء فهو النتن خاصة ثم ان الذفرى مفرد قائم مقام المثنى فأل فيها للجنس الصادق بالمتعدد اذ الناقة لها ذفريان لا ذفرى واحدة ونظيره قوله

الا ان عينا لم تجد يوم واسط
عليك بجارى دمعها الجود

وفى كلامهم عكسه وهو كون المثنى قائما مقام المفرد كقول بشر

على كل ذى ميعة سابح
يقطع ذوابهريه الحزاما

وانما له ابهر واحد واجاز الفراء ان يكون من هذا قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقوله اذا عرقت أى وقت ان عرقت بكسر الراء من باب طرب وهو ظرف لنضاخة ولا جواب لاذا ان جعلت مجردة عن معنى الشرط وان قدر فيها ذلك فما ملها شرطها والجواب محذوف والتقدير اذا عرقت فهى نضاخة الذفرى او الجواب مذكور وهو الجملة الاسمية

سمى بها ونظير الذفرى الدفلى بدال مهملة اسم لنبت مر ينوّن ولا ينوّن وجمعها ذفريات كحبليات وذفار كجوار وصحار وذفارى كصحارى وعذارى وليست ألف الجمع بالف المفرد لان تلك للتأنيث أو للالحاق وهذه منقلبة عن ياء ومحل الذفرى فى البيت نصب على التشبيه بالمفعول به وهذا النصب ناشئ عن رفع على الفاعلية والاصل نضاخة ذفراها ثم حوّل الاسناد عن الذفرى الى ضمير الناقة وانتصبت الذفرى على التشبيه بالمفعول به لانها سببية للموصوف وأنيبت أل عن الضمير ولو كانت الاضافة عن رفع كما زعم عبد اللطيف لزم اضافة الشئ الى نفسه وكذا البحث فى نحو حسن الوجه ونظائره ومما يدل على ذلك قطعا انك تقول مررت بامرأة حسن وجهها وحسنة الوجه فتذكر الصفة اذا رفعت وتؤنثها اذا خفضت فدل على انها فى حالة الخفض متحملة لضمير الموصوف كما انها كذلك اذا انصبت فقلت حسنة وجها وأما تأنيث الصفة هنا فلا دليل فيه لجواز أن يقال انه لاجل تأنيث الذفرى لا لتأنيث الموصوف (وقوله الذفرى) مفرد قائم مقام التثنية اذ الناقة لها ذفريان لا ذفرى واحدة ونظيره قوله

الا ان عينا لم تجد يوم واسط * عليك بجارى دمعها الجود

(وقول الآخر)

اذا ان انهمال الدمع ليس بمنته * عن العين حتى يضمحل سوادها

وفى كلامهم عكس هذا وهو انابة الاثنين عن الواحد كقول بشر

على كل ذى ميعة سابح * يقطع ذوابهريه الحزاما

وانما له أبهر واحد وقوله

فجعلن مدفع عاقلين امامنا * وجعلن امعز رامتين شمالا

أراد عاقلا وهو جبل وأجاز الفراء أن يكون من هذا ولمن خاف مقام ربه جنتان وأما قوله

اذا ما الغلام الاحمق الام ساقنى * باطراف أنفيه استمر فاسرعا

فيحتمل ان يكون من ذلك ويحتمل انه سمى المنخرين أنفين تسمية للجزء باسم الكل ويقال سفته أسوفه اذا شممته وفى النهاية لابن الخباز انهم قالوا مات حتف أنفيه وان من ذلك قول الشاعر * ياحبذا عينا سليمى والفما * وان أصله الفمان فاسقط النون للضرورة اه وكما استعملوا المفرد فى موضع التثنية كذلك استعملوا الجمع فى موضعها فقالوا رجل عظيم المناكب وغليظ الحواجب وقد اجتمعت انابة الواحد والجمع عن الاثنين فى قول الهذلى

فالعين بعدهم كان حداقها * سملت بشوك فهى عور تدمع

واضافة نضاخة الى الذفرى اضافة لفظية ولولا ذلك لم يجز اضافة كل اليها اذ لا تضاف كل

بعدها وتكون الفاء حذفت للضرورة كما فى قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها * والشر بالشر عند الله مثلان وكانه يصفها بشدة جهد نفسها فى السير حتى يصير العرق يسيل من ذفريها فان العرق لا يكون الامع أشتداد فى السير واهتمام به وناهيك ما وصف به ذفريها من النضخ الذى هو فى غاية الكثرة على ما تقدم تفسيره وقوله عرضتها طامس الاعلام مجهول أى همتها سلوك طريق مندرس العلامات مجهول المسالك فعرضتها بضم العين وسكون الراء وفتح الضاد بمعنى همتها ومنه قول حسان رضى الله

عنه وقال الله قد اعددت جندا * هم الانصار عرضتها اللقاء وذكر التبريزي وجهين في معنى عرضتها في البيت أحدهما انه من قولهم بعير عرضة للسفر أي قوي عليه ٥٦ والثاني ما يعرض ويمنع من الشيء ومنه قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم أي لا تجعلوا الحلف بالله معترضا مانعا لكم ولا مساغ لواحد من هذين المعنيين هنا وانما المعنى ماذكرناه كما قاله ابن هشام ومعنى طامس الاعلام مندرس العلامات وهو صفة لموصوف محذوف مع تقدير مضاف أي سلوك طريق طامس الاعلام كما أشرنا اليه في الحل وطامس اسم فاعل من طمس الطريق اذا درس وانمحت اعلامه والاعلام بمعنى العلامات جمع علم بمعنى العلامة ومجهول صفة طامس مؤكدة لان كل طامس مجهول ولهذا لم نجعله خبرا لان الخبر لا يكون مؤكدا وقصده بذلك وصفها بمعرفة الطريق الطامس الاعلام لكثرة اسفارها وسلوكها المفازات وهذا وصف شريف من أوصاف الابل فربما ضل الراكب عن الطريق لنوم أو غيره فيهلك فاذا كانت ناقته لها دراية بمعرفة الطريق نجت به من تلك المفازة وقد حكي أبو علي بن سيناء انه كان في ركب فضلوا عن الطريق في مفازة عظيمة كادوا يهلكون فيها فعمدوا الى بعير كان معه فالقوا زمامه على غاربه وارسلوه فسار بهم ومازال يقفو الطريق حتى خلص بهم الى المقصد الذي كانوا يقصدونه فسبحان الملهم وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة كثيرة العرق من ذفريها وذلك لا يكون الامع اشتدادها في السير وجهد نفسها فيه وانها عارفة للطريق المندرس العلامات المجهول المسالك لكثرة اسفارها وسلوكها المفازات

وأي واسم التفضيل الى مفرد معرفة ونظير هذا البيت بيت الكتاب

سل الهموم بكل معطي رأسه * ناج مخالط صهبة متعيس

فاضاف كل الى معطي رأسه لما كان نكرة لانه في نية التنوين والنصب ومعناه سل همومك بكل بعير تركبه ذلول منقاد سريع يضرب بياضه الى الحمرة (وقوله اذا) ظرف لنضاخة وان قدر فيها معنى الشرط فعاملها شرطها أو جواب محذوف أي اذا عرقت نضحت ذفرياها أو جواب مذكور وهو الجملة الاسمية بعدها على ان الفاء حذفت للضرورة كما في قوله

من يفعل الحسنات الله يشكرها * والشر بالشر عند الله مثلان

وقد حمل عليه أبو الحسن قوله تعالى ان ترك خيرا الوصية للوالدين والمختار قول غيره ان الجواب محذوف أي فليوص والدال على ذلك الوصية اذ هي في نية التقديم لانها على هذا التقدير مرفوعة بكتب لا بالابتداء واذا لم تقدر الجملة الاسمية في البيت جوابا فهي صفة ثانية للناقة المحذوفة أو مستأنفة (قوله عرضتها) أي همتها ومنه قول حسان رضي الله عنه

وقال الله قد أعددت جندا * من الانصار عرضتها اللقاء

وذكر التبريزي في تفسير عرضتها في البيت وجهين أحدهما انه من قولهم بعير عرضة للسفر أي قوي عليه وفلان عرضة للشر أي قوي عليه وجعلته عرضة لكذا اذا نصبته له والثاني ما يعرض ويمنع ومنه قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم أي لا تجعلوا الحلف بالله معترضا مانعا لكم أن تبروا ولا مساغ لواحد من هذين المعنيين هنا وانما المعنى على ما ذكرت ولا بد من تقدير مضاف أي معقود همتها أو ذو همتها ولولا هذا التقدير لم يصح الاخبار لان المبتدأ على هذا التقدير غير الخبر ونظيره هم درجات عند الله أي هم ذو درجات (وقوله طامس) اسم فاعل من طمس الطريق بفتح الميم ورفع الطريق يطمس ويطمس طمسا وطموسا اذا درس وانمحت اعلامه وهو صفة لمحذوف أي همتها طريق طامس الاعلام فان قلت اما يجوز أن يكون طامس فاعلا بمعنى مفعول كما قيل في ماء دافق وسر كاتم وعيشة راضية قلت لا لوجهين أحدهما ان الصحيح ان فاعلا لا يأتي بمعنى مفعول وأما ما أوردت فمؤول عند البصريين والبيانيين اما البصريون فتأولوه على النسبة الى المصادر التي هي الدفق والكتم والرضا كما ان اللابن والتامر والدارع والنابل نسبة الى اللبن والتمر والدرع والنبل وأما البيانيون فتأولوه على الاسناد المجازي وحقيقته دافق صاحبه وكاتم صاحبه وراض صاحبها والثاني ان ذلك لم تدع ضرورة اليه فان طمس يتعدى ولا يتعدى قالوا طمس الطريق بالرفع كما قدمنا وطمست الريح الطريق (قوله الاعلام) جمع علم وهو العلامة وقرئ وانه لعلم للساعة أي وان عيسى عليه السلام لعلامة على الساعة وأما قراءة الجماعة فوجهها تسمية ما يعلم به الشيء علما والكلام في اضافة طامس الى الاعلام كالكلام في اضافة نضاخة الى الذفرى (وقوله مجهول) صفة لطامس مؤكدة لان كل طامس مجهول ولهذا لم أقدره خبرا لان الخبر لا

(قوله ترمى الغيوب الخ) لما ذكر فى البيت الذى قبل هذا ان همتها سلوك الطريق المندرس العلامات المجهول المسالك بين فى هذا البيت وجه اهتمامها بذلك وهو انها فى غاية حدة البصر حتى انها بمجرد رمى بصرها الى الارض تدرك الطريق وتبين السبيل فقال ترمى الغيوب الخ أى ترمى تلك الناقة الغيوب والمراد برمى الغيوب ايقاع النظر عليها بسرعة فانه يشبه الرمى فى سرعة الوقوع على المحل والغيوب بضم الغين اما جمع غائب كشهود جمع شاهد او جمع غيب كفلوس جمع فلس لكن فى الثانى تجوز اذ الغيب فى الاصل مصدر غاب ثم اطلق على الغائب والمراد بالغيوب آثار الطريق التى غابت معالمها عن العيون وقوله بعينى مفرد لهق أى بعينين مثل عينى مفرد لهق فحذفت الصفة وهى لفظ مثل والمضاف بعدها والجار والمجرور متعلق بترمى والمفرد هو الثور الوحشى الذى انفرد عن انيسته وقد غلب عليه وصف المفرد كما غلب الاغن على الظبى فتى قيل مفرد انصرف للثور المذكور وانما شبه عينيها بعينيه لانه ألف البرارى والفلوات وخبرها بكثرة مروره فيها واعتاد الصبر على شدة الحر ولكونه من احد الوحوش نظرا خصه بالتشبيه به فى حدة النظر واعتبر حال تفرده عن أنيسته لانه حينئذ يكثر تحديقه للنظر و يقوى نشاطه وخفته ومعنى لهق بفتح الهاء وكسرها الابيض فان قيل لم خصه بالابيض مع انه لا مدخل للون فى تشبيه الناقة بالثور الوحشى فى تحديق النظر وحدته أجيب

لا يكون مؤكدا ولهذا قيل فى قوله

اذا ما بكى من خلفها انحرفت له * بشق وشق عندنا لم يحول

ان الظرف خبر ولم يحول جملة حالية مؤكدة وابتدئ بالنكرة لوقوعها تفصيلا ومثله الناس رجلان رجل أكرمته ورجل أهنته ولا يكون عندنا صفة ولم يحول الخبر لان الشق اذا كان عنده كان غير محول والخبر لا يكون مؤكدا بخلاف الحال قال

* ترمى الغيوب بعينى مفرد لهق * اذا توقدت الحزاز والميل *

(قوله الغيوب) اما جمع غائب كشاهد وشهود او غيب والاول أولى ولم أرهم ذكروا الا الثانى مع انه مجاز اذ الغيب فى الاصل مصدر غاب ثم أطلق على الغائب اطلاق الغور على الغائر فى قوله تعالى قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا وفعل يجمع على فعول ان صحت عينه كفلس وفرخ أو اعتلت بالياء كبيت وشيخ وضيف وسيف فان اعتلت بالواو فجمعه عليه شاذ كفوج وقوس استثقالا للضمتين فى صدر جمع وبعدهما واو ويجوز كسر أوله ليخف ويقرب من الياء وقرئ به فى السبعة فى نحو بيوت وعيون وغيوب وذكر الزجاج ان أكثر النحويين لا يعرفونه وانه عند البصريين ردىء جدا لانه ليس فى العربية فعول بالكسر واستدل الفارسى على جوازه بانه يجوز فى تصغير عين وبيت ونحوهما كسر الاول وممن حكى ذلك سيبويه مع ان فعيلا بالكسر ليس من أبنية التحقير وقوله بعينى مفرد أى بعينين مثل عينى ثور مفرد فحذف الصفة والمتضايفين بعدها أو أضاف الموصوف الى صفة المضاف اليه الثانى المحذوف ونظيره قول الآخر

ابيتن الا اصطياد القلوب * باعين وجرة حينا فحينا

أى بأعين مثل أعين ظباء وجرة ووجرة بفتح الواو واسكان الجيم موضع وانما شبه عينيها بعينى الثور الوحشى الذى أفرد عن أنثاه لانه حينئذ يكثر تحديقه ويقوى نشاطه وخفته وهذا تشبيه بليغ لترك أداة التشبيه وليس باستعارة لاشتماله على ذكر طرفى التشبيه ويقال ثور مفرد وفرد بالاسكان وفرد بالفتح وفرد بالكسر وفارد وفريد وفردان (وقوله لهق) هو بفتح الهاء وكسرها فان فتحت احتمل وجهين أحدهما أن يكون مقصورا من اللهاق وهو الثور الابيض قال * لهاق تلألؤه كالهلال * وقال اسامة الهذلى

والا النعام وحفانه * وطغيا مع اللهق الناشط

الحفان بفتح الحاء المهملة فراخ النعام وطغيا الصغير من بقر الوحش معجم الغين مهمل الطاء مضمومها عند الاصمعى مفتوحها عند ثعلب وعلى هذا التقدير فهو بدل من قوله مفرد بدل كل من كل بدل نكرة من نكرة والثانى أن يكون صفة من قولهم لهق بالكسر لهقا بالفتح فهو لهق ولهق بالفتح والكسر مثل يقق ويقق اذا كان شديد البياض وان كسرت كان وصفا

بان ذلك لمعنى آخر غير تحديق النظر وحدته وهو زيادة الحسن لان عين البقر الوحشى فى غاية السواد فاذا كان الثور من البقر الوحشى أبيض مع شدة سواد عينيه يكون فى غاية من الحسن وذكر بعضهم انه اذا كان أبيض كان أقوى فى النظر وعليه فوصف الثور الوحشى بالابيض له مدخل فى تشبيه الناقة به فى حدة البصر وقوله اذا توقدت الحزاز والميل أى وقت توقدهما واذا بمعنى وقت مجرد عن معنى الشرط وهو ظرف لترمى الغيوب الخ وان قدر فيه معنى الشرط فعاملها

شرطها والجواب محذوف دل عليه ماتقدم أى فهى ترمى الغيوب وعلى كل فلامفهوم له لانها اذا كانت حديدة البصر فى هذه الحالة لكون شدة الحر لاتقدح فى بصرها ولاتؤثر فى عينيها بل كانت همتها ما كانت عليه من استخراج المغيبات ومعرفة المسالك الخفيات فما ظنك بها فى غير هذه الحالة والمراد بالتوقد هنا اشتداد الحر تشبيها له بتوقد النار والحزاز بكسر الحاء المهملة وتشديد الزاى وفى آخره زاى أيضا هى الامكنة الغليظة الصلبة وهى جمع حزيز بفتح الحاء المهملة وكسر الزاى وفى آخره زاى أيضا وهو المكان الغليظ الصلب ويجمع فى القلة على أحزة كعزيز واعزة والميل بكسر الميم جمع ميلا بفتحها وهى العقدة الضخمة من الرمل وقيل المراد الميل الذى هو مد البصر وليس بشئ وعبارة التبريزى والميل من الارض معروف وليس فى عبارته ما يعين المراد وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة فى غاية حدة البصر حتى انها تبصر ما غاب من آثار الطريق عن العيون بعينيها الشبيهتين بعينى الثور الوحشى الابيض وقت اشتداد الحر فى الامكنة الغليظة الصلبة والرمال المتعقدة الضخمة حتى كأنها توقدت نارا وفى غير هذا الوقت من باب اولى (قوله ضخم مقلدها الخ) لما وصفها فى البيت قبل هذا بأنها فى غاية حدة البصر وصفها فى هذا البيت بأنها فى غاية الضخامة والقوة والحسن على ما يقتضيه تفسير كلامه الآتى فقال ضخم مقلدها الخ أى غليظ موضع القلادة منها فالضخم بفتح الضاد وسكون الخاء الغليظ وهو وصف من ضخم بضم الخاء ضخما بكسر الضاد وفتح الخاء مثل غلظ غلظا وزنا ومعنى ويقال ضخامة كشهامة ومقلدها بضم الميم وفتح القاف وتشديد اللام موضع القلادة من العنق والظاهر ان المراد به هنا جميع العنق تسمية للكل باسم الجزء ويؤيده قوله فى البيت الآتى غلباء فان المراد ضخم به غليظة العنق كما سيأتى قال ابن هشام وقد عيب على الناظم فى ذلك فقد قال الاصمعى هذا اخطأ فى الوصف وانما خير النجائب مايدق مذبحه وقال أبو هلال العسكرى فى كتاب الصناعتين من خطأ الوصف قول كعب بن زهير ضخم مقلدها لان النجائب توصف برقة المذبح وقد كرر هذا الوصف اذ قال فى البيت بعده غلباء على ماسيأتى ويجاب عن الناظم بما قاله بعضهم من ان الضخم يمكن تفسيره بالعظيم فى ذاته والحسن فى صفاته وهذا لاينافى رقة المذبح وقوله عبل مقيدها ويروى فعم مقيدها أى غليظ موضع القيد منها فالعبل

من لحق بالكسر كما ذكرنا وعلى هذين الوجهين فهو نعت وأجود الاوجه الاول لانه لامدخل للون فى تشبيه الناقة بالثور المفرد فى حدة النظر فاذا قدره مقصورا من اللهاق كان اسما وكانت افادته للون ضمنا واذا كان نعتا كانت افادته للون قصدا (وقوله الحزاز) بحاء مهملة وزاى معجمة مشددة وهو جمع حزيز بزايين المكان الغليظ الصلب كظلمان فى جمع ظليم وهو ذكر النعام ويجمع فى القلة على أحزة والميل جمع ميلاء وهى العقدة الضخمة من الرمل وقيل المراد الميل الذى هو مد البصر وليس بشئ وقال الخطيب التبريزى وعبد اللطيف البغدادى الميل جمع أميل وميلاء زاد التبريزى والميل من الارض معروف وليس فى كلامهما ما يبين المراد ولاضرورة لتكلفهما جعله جمعا للمذكر والمؤنث معا ﴿تنبيه﴾ اذا قيل بانه جمع فوزنه فعل بالضم ولكن أبدلت ضمته كسرة لتسلم ياؤه من الانقلاب واوا كما فى بيض وعيس واذا قيل بانه مفرد احتمل عند سيبويه وجهين أحدهما أن يكون كذلك والثانى ان يكون فعلا بالكسر على الظاهر وكذلك يجوز عنده فى نحو فيل وديك ان يكون فعلا أو فعلا وفى معيشة ان يكون مفعلة أو مفعلة وذلك لانه يوجب اعلال الضمة بقلبها كسرة حيث وقعت قبل ياء هى عين لئلا تنقلب تلك الياء ألفا أو لئلا تنقلب الياء واوا ويقول فى قول الشاعر

وكنت اذا جارى دعا لمضوقة * اشمر حتى ينصف الساق مئزرى

انه شاذ وكان قياسه مضيقة والمضوقة الامر الذى يشق وأبو الحسن يخالفه فى ذلك ويقول اذا بنى من العيش مفعلة بالضم قيل معوشة ويجعل المضوقة قياسا ويوجب فى نحو ديك وفيل ومعيشة ان يكون وزنها على الظاهر ويقول انما نقل الضمة فى هذا النحو فى باب الجمع كبيض وعيس وفى الصفة التى على فعلى كمشية حيكى وقسمة ضيزى ومعنى البيت ان هذه الناقة تشبه فى وقت توقد الارض وشدتها بعيون الثور الوحشى الفاقد لانثاه فى حدة النظر وخفة الجسم والنشاط فما ظنك بها فى غير هذا الوقت قال

﴿ضخم مقلدها عبل مقيدها * فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل﴾

(قوله ضخم) فيه ثلاث مسائل الاولى لغوية وهى ان ضخم بضم الخاء ضخما بفتحها وكسر الضاد مثل غلظ غلظا وزنا ومعنى ويقال أيضا ضخامة كشهامة والوصف منه

ضخم كشهم وضخم بكسر ففتح فتشديد على وزن مرادفه وهو خدب واضخم بوزن احمر واضخم بوزن ارزب وهو القصير وضخام بوزن شجاع وأنشد سيبويه لرؤبة بن العجاج

* ضخم يحب الخلق الأضخما * بهمزة مفتوحة مع التشديد وليس في الابنية افعل ولكنه شدد للوقف ثم ألحق ألف الاطلاق ووصل بنية الوقف ويروى الاضخما بكسر الهمزة والضخما بلا همزة فلا ضرورة وجمع الضخم والضخمة ضخام وجمع الضخمة أيضا ضخمات بالاسكان لانه صفة والضخامة في بيت رؤبة معنوية وهي علو الهمة وفي بيت كعب حسية وهي غلظ الرقبة * المسئلة الثانية اعرابية * يجوز في ضخم الرفع والنصب والجر فاما الرفع فعلى أربعة أوجه ان يكون خبرا عن مقلدها أو عن هي مضمرة أو صفة لعذافرة وعليهما فانما لم يؤنث لاسناده لمذكر وهو مقلدها نحو من هذه القرية الظالم أهلها والرابع ان يكون مبتدا وفاعله ساده سد الخبر وذلك على رأي أبي الحسن والكوفيين في اجازة قائم الزيدان من غير اعتماد وعلى غير الوجه الثالث من هذه الاوجه فقوله ضخم مقلدها جملة اما في موضع رفع صفة لعذافرة أو نصب على الحال أو خفض صفة لنضاخة أولا موضع لها على انها مستأنفة * واما النصب فاما باضمار أمدح أو على انه حال من عذافرة * وأما الجر فاما على انه صفة لنضاخة على لفظها أو لعذافرة على معناها اذ المعنى ولن يبلغها غير عذافرة كما تقول ما جاءني الا زيد وعمرو بخفض عمرو وأجازه ابن خروف وجماعة منهم ابن مالك تمسكا بأمرين أحدهما القياس على ما جاءني غير زيد وعمرو بالرفع حملا لغير على الا قال

لم يبق غير طريد غير منفلت * وموثق في حبال القد مجبوب

غير الاولى مرفوعة على الفاعلية والثانية مخفوضة صفة لطريد وروى رفعها بالحمل على معنى الا طريد وموثق مخفوض عطفا على طريد وروى رفعه عطفا على المعنى المذكور لا عطفا على غير لفساد المعنى والثاني ما ورد من قوله

وما هاج هذا الشوق الا حمامة * تغنت على خضراء سمر قيودها

فيمن خفض سمر صفة لحمامة والمراد بقيودها رجلاها لانها موضع القيود ولهذا يقول كعب فعم مقيدها وأجاب المانعون بانه لا يلزم من جواز حمل غير على الا جواز العكس لان الا أصل وبان سمر صفة لخضراء على ان المراد بقيودها عروقها النابتة في الارض أو صفة لحمامة ولكنه خفض لمجاورة المخفوض وهذا الوجه غلط لان المراد بخفض الجوار التناسب اللفظي ولا تناسب بين مفتوح ومكسور والوجه الاول بعيد لان العروق المستورة بالارض غير مشاهدة فلا يحصل بها تهييج للحب * المسئلة الثالثة أدبية * وهي ان المقلد موضع القلادة من العنق والمراد وصف الناقة بغلظ الرقبة وقد عيب ذلك فقال الاصمعي هذا خطأ في الوصف وانما خير النجائب ما يدق مذبحه وقال أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين من خطأ الوصف قول كعب بن زهير ضخم مقلدها لان النجائب توصف برقة المذبح اه وقد كرر هذا الوصف اذ قال في البيت بعده غلباء على ما سيأتي (قوله عبل مقيدها) اعرابه كاعراب ضخم مقلدها والعبل كالضخم وزنا ومعنى وفرس عبل الشوى أي غليظ القوائم وقد عبل بالضم عبالة كضخم ضخامة والانثى عبلة وجمعها عبال وجمع العبلة أيضا عبلات

بفتح العين وسكون الباء وباللام في آخره الغليظ وكذا الفعم بفتح الفاء وسكون العين وبالميم في آخره فهو بمعنى العبل ومقيدها بضم الميم وفتح القاف وتشديد الياء موضع القيد منها وهو قوائمها ويجوز في كل من ضخم وعبل أو فعم أوجه الاعراب الثلاثة اما الرفع فعلى انه خبر لهي مضمرة أو صفة لعذافرة أو على انه خبر مقدم وما بعده مبتدأ مؤخر او على انه مبتدا وما بعده فاعل سد مسد الخبر بناء على رأي أبي الحسن والكوفيين من عدم اشتراط الاعتماد وأما النصب فعلى انه مفعول لمحذوف تقديره امدح مثلا أو على انه حال من عذافرة وأما الجر فعلى انه صفة لنضاحة على لفظها أو لعذافرة على معناها لان المعنى غير عذافرة فقد أجاز ابن خروف وجماعة منهم ابن مالك ان تقول ما جاءني الا زيد وعمرو بخفض عمرو وعلى معنى ما جاءني غير زيد وعمرو وقوله في خلقها عن بنات الفحل تفضيل أي في خلقتها عن الاناث من الابل المنسوبة للفحل المعد للضراب تفضيل لها في الهيئة والقوة فخلقها بفتح الخاء وسكون اللام بمعنى الخلقة والمراد ببنات الفحل الاناث من الابل المنسوبة للفحل المعد للضراب وعن الداخلة على بنات الفحل بمعنى على وهي متعلقة بتفضيل ويصح ابقاؤها على بابها وتكون متعلقة بمحذوف تقديره متميزة أو ممتازة وفي خلقها خبر مقدم وتفضيل مبتدأ مؤخر وسوغ الابتداء به تقديم الخبر وهو جار ومجرور والوصف المستفاد من التنوين اى تفضيل جليل فيه تبجيل وهو

محتمل لان يراد منه انها مفضلة على غيرها فى عظم الخلقة والضخامة او فى حسن الخلقة والتكوين او فيهما معا فعلى الاول يكون فيه اشارة الى ان بين اجزائها تناسبا وهو من ٦٠ صفات المدح بخلاف ما اذا كان بعض اجزائها لا يناسب بعضا فى الضخامة فانه مما يذم به وعلى الثانى يكون فيه اشارة الى انها جمعت بين ضخامة العنق والقوائم التى هى دليل على قوتها على السير وبين حسن التكوين وعلى الثالث تكون جمعت بين الضخامة وعظم الخلقة وحسن التكوين والحاصل انه وصفها فى هذا البيت بثلاث صفات الاولى ضخامة العنق وذلك مؤذن بضخامة جميع هامتها وعظمها والثانية عظم قوائمها وذلك دليل على قوتها فى السير وطاقتها على ثقل الحمل والثالثة تفضيلها على غيرها فى عظم الخلقة أو فى حسن التكوين أو فيهما معا وقد اشتمل الشطر الاول من هذا البيت على أنواع من البديع أحدها الجناس بين مقلدها ومقيدها وهو جناس غير مستوفى لتخالف الكلمتين فى اللام والياء ويسمى مثل ذلك اذا تقارب مخرج الحرفين جناسا مضارعا نحو وهم ينهون عنه وينأون عنه وفى الحديث الخيل معقود فى نواصيها الخير واذا لم يتقارب مخرجها جناسا لاحقا نحو ويل لكل همزة لمزة ثانيها التسجيع وهو اتفاق الفقرتين فى الحرف الخاتم لهما ثالثها الترصيع وهو توازى كلمات السجع ومن بديع ما جاء فيه قول الحريرى فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه

بالاسكان ويروى فعم وهو كالضخم والعبل وزنا ومعنى وفعله بالضم كفعلهما ومصدره الفعامة والفعومة وافعمته ملأته وقالوا سيل مفعم بفتح العين على المجاز وهو عكس عيشة راضية وحقيقتها سيل مفعم بالكسر لانه مالئ لا مملوء وعيشة مرضية (وقوله مقيدها) أى موضع القيد منها وذلك أنها اذا كانت أطرافها غليظة كان ذلك أقوى لها على السير * وههنا مسائل * الاولى ان صيغة المفعول مما زاد على ثلاثة يأتى مصدرا نحو ومزقناهم كل ممزق أى كل تمزيق وزمانا كقوله * الحمد لله ممسانا ومصبحنا * أى وقت امسائنا واصباحنا ومكانا نحو رب أدخلنى مدخل صدق الآية جاء فى التفسير أن مدخل صدق المدينة ومخرج صدق مكة والسلطان النصير الانصار ومنه قول كعب مقلدها ومقيدها وزعم أبو الحسن ان اسم مفعول الثلاثى يأتى أيضا مصدرا ولكنه مسموع كقولهم ماله معقول ولا مجلود أى لا عقل ولا جلد * المسئلة الثانية * اشتمل هذا الشطر على أنواع من البديع أحدها الجناس وذلك فى مقلدها ومقيدها وهو جناس غير مستوفى اذ تخالفت الكلمتان فى الياء واللام ويسمى مثل ذلك اذا تقارب الحرفان جناسا مضارعا نحو وهم ينهون عنه وينأون عنه وفى الحديث الخيل معقود فى نواصيها الخير واذا لم يتقارب جناسا لاحقا نحو ويل لكل همزة لمزة ومما مثل به صاحب الايضاح لذلك قوله تعالى واذا جاءهم أمر من الامن وهو سهو اذ الراء والنون اما من مخرج واحد او من مخرجين متقاربين * النوع الثانى التسجيع وهو اتفاق القرينتين فى الحرف الخاتم لها والثالث الترصيع وهو توازن كلمات السجع ومن بديع ما جاء منه قول الحريرى فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه (قوله فى خلقها) البيت الخلق بمعنى الخلقة وعن بمعنى على وهى متعلقة بتفضيل وان كان مصدرا لانه ليس منحلا لأن والفعل ومن ظن ان المصدر لا يتقدمه معموله مطلقا فهو واهم وعلى هذا فاللام من قول الحماسى

و بعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان

متعلقة باذعان المذكور لا باذعان آخر مقدر قال

* غلباء وجناء علكوم مذكرة * فى دفها سعة قدامها ميل *

(قوله غلباء) أى غليظة الرقبة والذكر أغلب وجمعهما غلب ويكون فى الآدمى أيضا وقال أبو حاتم الغلب قصر العنق مع غلظه وقيل قصر وميل والذى يظهر لى انه مشترك بين الغليظ والمائل فالاول كما فى بيت كعب ولا يجوز ان يريد به القصر وحده ولا مع وصف آخر لئلا يتناقض مع قوله قدامها ميل فانه كناية عن طول عنقها كما سيأتى والثانى كقوله

مازلت يوم البين الوى صلبى * والرأس حتى صرت مثل الاغلب

ولا مدخل لمعنى الغلظ هنا وقد يستعار الغلب لغلظ غير العنق قال الله تعالى وحدائق غلبا أى انها غلبت الاشجار وفعل الاغلب غلب بالكسر يغلب بالفتح غلبا وفعل الغالب غلب بالفتح يغلب بالكسر غلبة وغلبا أيضا ومنه وهم من بعد غلبهم سيغلبون وأما قول الفراء وابن مالك ان

الاصل

(قوله غلباء وجناء الخ) قد وصف تلك الناقة فى هذا البيت بستة أوصاف الاول غلظ العنق وهو المعنى بقوله غلباء بفتح الغين

وسكون اللام وفتح الباء بعدها ألف التأنيث أى غليظة الرقبة ويقال للذكر اغلب وفعله غلب بكسر اللام يغلب بفتحها غلبا بفتحتين وأما غلب بفتح اللام يغلب بكسرها فكل منهما فعل الغالب قال تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون وجمع غلباء واغلب غلب بضم فسكون قال تعالى وحدائق غلبا أى غليظة الاشجار فهو مستعار من غلظ العنق لغلظ الاشجار ويطلق على قصر العنق وميل فيه ولا يصح ارادة ذلك هنا لئلا يتناقض مع قوله قدامها ميل فانه كناية عن طول العنق كما سيأتى وقد تكرر منه الوصف بعظم العنق فى بيتين متواليين على ما علمته من تفسير كلامه الثانى عظم الوجنتين وهو المعنى بقوله وجناء بفتح الواو وسكون الجيم وفتح النون بعدها ألف التأنيث أى العظيمة الوجنتين وهما ما ارتفع من الخدين وهذا الوصف ممدوح فى الابل بخلافه فى الخيل فان الممدوح فيها قلة لحم الخدين وقيل الوجناء الناقة الشديدة أخذا من الوجين وهو ما صلب من الارض وعلى هذا فالوجناء موافقة لمعنى العذافرة فان المراد بها الصلبة العظيمة على ما تقدم ٦١ الثالث كونها شديدة وهو المعنى بقوله علكوم بضم العين وسكون اللام وضم الكاف بعدها واو وفى آخره ميم فمعناه الشديدة وهو من الاوصاف المختصة بالابل ويستوى فيه المذكر والمؤنث ولا شك ان كونها شديدة هو أعلى أوصافها فلذلك تكرر وصفها به الرابع كونها عظيمة الخلقة وهو المعنى بالمذكرة بضم الميم وفتح الذال وتشديد الكاف المفتوحة وفتح الراء وفى آخره تاء التأنيث فالمعنى انها كالذكر من الاباعر فى عظم خلقتها وقد تكرر أيضا وصفها بكونها عظيمة الخلقة وقد يراد بالمذكرة ما هو أعم من عظيمة الخلقة فقد قال بعض الحكماء ان المذكر من الابل أحسن خلقا وأقل عبثا وأعز نفسا وأكرم عهدا وأدوم ودا واصبر على المكروه من الانثى

الاصل غلبتهم ثم حذفت التاء للاضافة كما فى قوله تعالى واقام الصلاة وقوله

ان الخليط اجدوا البين فانجردوا * وأخلفوك عدا الامر الذى وعدوا

فستغنى عنه (وقوله وجناء) أى عظيمة الوجنتين أى طرفى الوجه أو انها صلبة من الوجين وهو ما صلب من الارض (وقوله علكوم) أى شديدة ويختص بالابل ويستوى فيه الذكر والانثى ومثله العلجوم (وقوله مذكرة) أى انها فى عظم خلقها تشبه الذكر من الاباعر والكلمات الاربع صفات لعذافرة أو اخبار من هى محذوفة ويجوز نصبها وجرها على ما مر (وقوله دفها) بفتح الدال المهملة أى جنبها وفيه انابة الواحد عن الاثنين كما مر فى الذفرى (وقوله سعة) هو بفتح السين وكان القياس الكسر كالعدة والزنة والهبة ولكنهم ربما فتحوا عين هذا المصدر لفتحها فى المضارع كالسعة والضعة وهو مبتدأ مؤخر أو فاعل بالظرف لاعتماده على ما سبق من مخبر عنه أو موصوف (وقوله قدامها ميل) يصفها بطول العنق ويجوز فى قدامها النصب وهو الاصل والرفع على حد ارتفاعه فى قول لبيد بن ربيعة رضى الله عنه فى معلقته التى أولها

*عفت الديار محلها فمقامها *

فغدت كلا الفرجين تحسب انه * مولى المخافة خلفها وأمامها

الفرج والثغر موضع الخوف والمولى هنا الولى ومثله فان الله هو مولاه والمراد بمولى المخافة الموضع الذى يخاف منه وكلا اما ظرف لغدت وهو الارجح واما مبتدأ خبره ما بعده والجملة حال وخلفها اما بدل من مولى واما خبر عنه والجملة خبر لان واما خبر لمحذوف تقديره هما وقال حسان رضى الله عنه

نصرنا فما نلقى لنا من كتيبة * مدى الدهر الا جبرئيل امامها

الخامس كونها واسعة الجنبين وهو المعنى بقوله فى دفها سعة فان الدف بفتح الدال وتشديد الفاء الجنب والمراد جنباها جميعا فهو مفرد أريد به مثنى كما تقدم نظيره والسعة بفتح السين ضد الضيق وكونها واسعة الجنبين يستلزم كونها عظيمة الخلقة ففى هذا الوصف تأكيد للوصف قبله السادس كونها طويلة العنق وهو المعنى بقوله قدامها ميل فهو كناية عن طول العنق وقدام ضد خلف والميل بكسر الميم مد البصر وهو مقدر باربعة آلاف ذراع بالذراع الهاشمى وهو ذراع قدره بنو العباس حين خلافتهم ونسب الى بنى هاشم لكون بنى العباس منهم قال السيوطى وما وقع لبعض أصحابنا الشافعية من نسبته الى هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم نسب فيه الى الوهم ويحتمل انه أراد بقوله قدامها ميل كونها واسعة الخطوة جدا حتى كأنها تقدر ميل فعلى التفسير الاول يكون المصنف قد وصفها فى أول البيت بغلظ العنق وفى آخره بطوله فأكمل لها الوصفين وفيه من تمام حسنها ما لا يخفى وعلى التفسير الثانى يكون المصنف قد وصفها بسرعة السير التى هى المقصود الاعظم وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة غليظة الرقبة عظيمة الوجنتين أو صلبة شديدة عظيمة الخلقة كالذكر من الاباعر واسعة الجنبين طويلة العنق أو واسعة الخطوة

(قوله وجلدها من اطوم الخ) أى وهذه الناقة جلدها كأنه من جلد اطوم لنعومته وملاسته فالمعنى على التشبيه واختلف فى الاطوم بفتح الهمزة فقال التبريزى انها الزرافة وقال فى المحكم هى سلحفاة بحرية غليظة الجلد وقيل سمكة فى البحر يشبه بجلدها جلد البعير الاملس ويتخذ من جلدها الخفاف للجمالين ويخصف بها النعال وحملها على السلحفاة أولى لوجهين أحدهما ان استعمال الاطوم فيها أكثر حتى ان الجوهرى وكثيرا من أهل اللغة لم يذكروا استعمالها فى الزرافة وثانيهما ان ملاسة جلد السلحفاة أكثر فالتشبيه بها أبلغ والجزم بعضهم بان اطوم فى البيت بضمتين وهى الحصون وقال انه شبه جلدها بالحصون القوية وقال ابن العربى الاطوم القصور ولا يخفى ما فى ذلك من البعد وقوله لا يؤيسه طلح اى لا يذلله ولا يؤثر فيه قراد وفى نسخة التعبير بما بدل لا ويؤيسه بضم الياء المثناة التحتانية وفتح الهمزة وتشديد الياء المثناة التحتية المكسورة وضم السين المهملة يقال أيسه تأييسا ذلله وأثر فيه والطلح بكسر الطاء وسكون اللام فى آخره حاء مهملة هو القراد ويقال أيضا طليح بزيادة ياء وهذه الجملة اما خبر ثان للمبتدا وهو جلدها أو مستأنفة لبيان جهة التشبيه وقوله بضاحية المتنين اى فى الضاحية المنسوبة للمتنين فالباء بمعنى فى ويصح ان تكون بمعنى على والاضافة على معنى اللام وضاحية كل شئ ناحيته البارزة للشمس من ضحى يضحى اذا برز للشمس قال تعالى

والقوافى مرفوعة وانما استشهدت على جواز رفع الامام لان بعض العصريين وهم فيه وزعم انه لا يتصرف قال

﴿وجلدها من أطوم ما يؤيسه * طلح بضاحية المتنين مهزول﴾

أى ان جلدها قوى شديد الملاسة لسمنها وضخامتها فالقراد المهزول من الجوع لا يثبت عليها ولا يلترق بها (وقوله من أطوم) جزم التبريزى بان الاطوم الزرافة وان الجامع بينهما الملاسة وعلى هذا هو بفتح الهمزة ولا يتعين ما قاله بل يجوز ان يريد به السلحفاة البحرية وهذا أولى لوجهين أحدهما ان استعمال الاطوم بهذا المعنى كثير بخلاف استعماله بمعنى الزرافة فانه قليل حتى ان الجوهرى وصاحب المحكم وكثيرا من أهل اللغة لم يذكروه والثانى ان ملاسة جلد السلحفاة أكثر فالتشبيه بها أبلغ ولو انه قال مشبهة بجلد الزرافة لقوته وملاسته كان التخصيص بالزرافة متجها وفى المحكم الاطوم سلحفاة بحرية غليظة الجلد وقيل سمكة غليظة الجلد فى البحر يشبه بها جلد البعير الاملس ويتخذ منها الخفاف للجمالين ويخصف بها النعال وقيل الاطوم القنفذ والبقرة وقيل انما سميت بذلك على التشبيه بالسمكة لغلظ جلدها اه والتقدير وجلدها كجلد اطوم وجزم عبد اللطيف بان الاطوم فى البيت بضمتين وقال شبه جلدها بالحصون لقوته اه ولا خفاء بما فى تشبيه الجلد بالحصون من البعد ومما يزيده بعدا أنه قال من اطوم ولم يقل شبه اطوم ولا يحسن ان يقال جلدها من حصن أو قصر ومفرد الاطوم اطم بضمتين وهو الحصن المبنى بالحجارة وقيل كل بيت مربع مسطح وجمعه فى القلة آطام قال الاعشى

فلما أتت آطام جو وأهله * أنيخت فالقت رحلها بفنائها

والكثير الاطوم وقال ابن الاعرابى الاطوم القصور (وقوله يؤيسه) أى يذلله ويؤثر فيه يقال آس أيسا مثل سار سيرا بمعنى لان وذل وأيسه تأييسا أى لينه وذلله قال المتلمس * تطيف به الايام ما يتأيس * أى ما يتأيس ولا يتغير (وقوله طلح) فاعل يؤيسه وهو بكسر الطاء القراد ويقال أيضا طليح وأصل الطلح والطليح المعيى من الابل وغيرها قالت العرب راكب الناقة طليحان أى أحد طليحين أو راكب الناقة والناقة طليحان وقال الحطيئة يذكر ابلا وراعيها

اذا نام طلح اشعث الرأس خلفها * هداه لها أنفاسها وزفيرها

وجملة ما يؤيسه طلح اما خبر ثان لجلدها أو حال من ضمير الظرف أو مستأنفة لبيان جهة التشبيه على تقدير سؤال (وقوله ضاحية) اسم فاعل من ضحيت بالكسر تضحى بالفتح اذا برزت للشمس قال عمر بن أبى ربيعة

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت * فيضحى وأما بالعشى فيخصر

وقال الله تعالى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى (قوله المتنين) يريد به متنى ظهرها أى ما اكتنف صلبها عن يمين وشمال من عصب ولحم والمتن يذكر ويؤنث وأل فى المتنين خلف عن الضمير وضاحية المتنين مثل حسنة الوجه والمراد ما برز من متنها للشمس (وقوله مهزول) صفة لطلح وهذا البيت وقع فى شعر الشماخ واسمه معقل بن ضرار بن حرملة وهو صحابى مثل كعب رضى الله عنهما الا انه قال

* طلح بضاحية الصيداء مهزول * ونظير ذلك ان امرأ القيس قال

وقوفا

ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى أى لا تبرز للشمس والمراد بالمتنين ما اكتنف صلبها عن يمين وشمال من
عصب ولحم وهما تثنية متن بفتح الميم وسكون المثناة الفوقية وأل فى المتنين خلف عن الضمير على رأى من يجيز ذلك والمراد بضاحيه
المتنين ما برز من متنيها للشمس وانما خصها بالذكر لان القراد فى الشمس تقوى همته وتكثر حركته ويشتد امتصاصه للدم بخلافه
فى غير الشمس فانه تضعف همته وتقل حركته وينقص امتصاصه للدم من البرد وقد وصف جلدها بانه لا يؤثر فيه القراد الكائن فى
ضاحية متنيها فلأن لا يؤثر فيه فى البرد أولى وقوله مهزول صفة لطلح أى مهزول من الجوع واذا كان لا يستطيع التأثير فيه مع
شدة الجوع التى يكون فيها أشد انهماكا على امتصاص الدم وأكثر ٦٣ ولعا بذلك كان لا يؤثر مع الشبع من باب أولى
لانه مع الشبع لا ينهمك على امتصاص الدم ولا يكثر ولوعه به وحاصل معنى البيت ان جلد هذه الناقة فى غاية النعومة والملاسة فلا يؤثر القراد المهزول من الجوع فيما برز للشمس من ناحيتى صلبها عن يمين وشمال (قوله حرف الخ) أى هى حرف الخ فحرف خبر لمبتدا محذوف تقديره هى ويحتمل انه صفة لعذافرة والمعنى على التشبيه فالتقدير مثل حرف أو كحرف بملاحظة ان الكاف اسم بمعنى مثل ولا يحسن أن تضمر الكاف الحرفية لضعف حرف الجر أو انه جعلها نفس الحرف مبالغة والمراد بالحرف هنا حرف الجبل وهو القطعة الخارجة منه وتشبيهها به فى القوة والصلابة وأما احتمال ارادة حرف الخط وتشبيهها به فى الضمور والدقة فمنافيه ما تقدم من وصفها بعظيم الخلقة وسعة الجنبين وغير ذلك قال الشاعر

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وقال طرفة كذلك الا انه قال وتجلد لان قوافى معلقته دالية ودون هذا قول أبى نواس وهو
بنون مضمومة بعدها واو لا همزة كما يقول بعض من لا معرفة له لانه من ناس ينوس اذا تحرك
لقب بذلك لانه كان ذا ذؤابة تنوس على ظهره

فتى يشترى حسن الثناء بماله * ويعلم ان الدائرات تدور

وقال الاسود اليربوعى قبله

فتى يشترى حسن الثناء بماله * اذا السنة الشهباء أعوزها القطر

وهذا ونحوه محتمل للاخذ ولتوارد الخواطر قال

حرف أخوها أبوها من مهجنة * وعمها خالها قوداء شمليل

(قوله حرف محتمل) لاعرابين كونه خبر المحذوف أى هى وكونه صفة لعذافرة ومحتمل لمعنيين ارادة حرف الجبل وهو القطعة الخارجة منه أى انها مثله فى القوة والصلابة وارادة حرف الخط أى أنها مثله فى الرقة والضمور ومحتملة لثلاثة تقادير أحدها اضمار الكاف للمبالغة فى معنى التشبيه والثانى أن يكون جعلها نفس الحرف مبالغة وعليهما فلا ضمير فيها الثالث ان يؤول الحرف بصلبة على المعنى الاول ومهزولة على المعنى الثانى وعلى ذلك ففيه ضمير لانه قد أول بالمشتق فأعطى حكمه والاوجه الثلاثة فى نحو قولك زيد أسد (وقوله أخوها أبوها وعمها خالها) محتمل لمعنيين أحدهما التشبيه أى أن أخاها يشبه أباها فى الكرم وعمها يشبه خالها فى ذلك والثانى التحقيق وانها من ابل كرام فبعضها يحمل على بعض حفظا للنوع ولهذا النسب صور منها ان فحلا ضرب بنته فأتت ببعيرين فضرب أحدهما فأتت بهذه الناقة وقال الفارسى فى تذكرته صورة قوله أخوها أبوها ان أمها أتت بفحل فالقى عليها فأتت بهذه الناقة واما عمها خالها فيصح على النكاح الشرعى تزوج أبو أبيك بأم أمك فولد لهما غلام فهو عمك وخالك الا انه عم لاب وخال لام صورة أخرى تزوجت أختك من أمك أخاك من أبيك فولد لهما ولد فانت عم هذا الغلام أخو أبيه وخاله لانك أخو أمه من أمها اه ولا ينطبق تفسير

وحرف كنون تحت راء ولم يكن * بدال يؤم الرسم غيره النقط أى ورب ناقة كحرف الجبل فى الصلابة والشدة كنون فى الضمور
والدقة تحت رجل يضرب رئتها يقال رأيته اذا ضربت رئته ولم يكن يرافق فى سيره يقال دلى فى سيره اذا رفق يقصد رسم الدار حال
كونه قد غيره النقط بمعنى المطر وقوله أخوها أبوها من مهجنة وعمها خالها لما صدر البيت بقوله حرف وتقدم ان المراد تشبيهها به
فى القوة والصلابة اتبعه بذكر خلوص نسبها بقوله أخوها أبوها وعمها خالها وهو محتمل لان يكون المراد أن أخاها يشبه أباها فى
الكرم وان عمها يشبه خالها فى ذلك وعلى هذا فيكون فى ذلك اشارة الى انها موصوفة بكرم النسب وجودة الاصل ويحتمل أيضا
لان يكون المراد أن أخاها أبوها حقيقة وان عمها خالها كذلك وصور أبو على الفارسى قوله أخوها أبوها بأن ناقة أتت بفحل
فضربها فأتت بهذه الناقة فأخوها وهو ذلك الفحل أبوها وصور قوله وعمها خالها بان يضرب أبو أبيها أم أمها فتأتى ببعير فعمها وهو ذلك

البعير خالها وصورتهما معا أن يضرب بفحل بنته فتأتى ببعيرين فيضرب أحدهما أمه فتأتى بناقة فأحد البعيرين أخوها وأبوها وهو
الذى ضرب أمه فأتت بتلك الناقة فهو أخوها من أمها وأبوها والبعير الثانى عمها لانه أخو أبيها لابيه وأمه وخالها لانه أخو أمها
لابيها وعلى هذا يكون فى ذلك اشارة الى كمال قوتها وصلابتها وغاية كرمها ونجابتها لان البهائم الى قراباتها أشهى منها الى غيرها
ومتى كانت الشهوة أكمل كان الولد أقوى وأنجب فتقارب الانساب مدح فى الابل لانه فيها سبب للقوة والنجابة بواسطة كثرة
الشهوة فى القرابات بخلافه فى الآدميين ٦٤ فانه سبب للضعف لان شهوة الانسان انما تتحرك وتثور بالنظر واللمس للامر
الجديد الغريب اما المعهود الذى دام النظر اليه فلا تتحرك الشهوة ولا تثور بالنظر واللمس له ولذلك قال بعضهم

ان أردت الانجاب فانكح غريبا * والى الاقربين لا تتوصل
فانتقاء الثمار طيبا وحسنا * ثمر غصنه غريب موصل

وفى الحديث اغتربوا ولا تضووا والضوى بوزن الهوى هو الضعف والهزال فى الولد وذلك بتزوج القرابات والعرب تمدح بضد ذلك قال الشاعر

فتى لم تلده بنت عم قريبة * فيضوى وقد يضوى رديل الاقارب

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا والضاوى الشديد النحافة وقد أثبت لتلك الناقة كرم الاصل بقوله من مهجنة وهو صفة لحرف ومن بيانية أو تبعيضية فالمعنى هى ناقة مهجنة وبعض نياق مهجنة والمهجنة بضم الميم وفتح الهاء وتشديد الجيم المفتوحة وفتح النون وفى آخره
تاء التأنيث كريمة الابوين من الابل والهجائن كرائم الابل فالتهجين مدح فى الابل
وأما فى الآدميين فهو ذم لان معناه فيهم ان يكون الاب عربيا والام أمة فيقال للرجل حينئذ هجين وان كان الامر بالعكس قيل
رجل مقرف وفلنقس بوزن سفرجل أوله فاء ورابعه قاف قال الراجز العبد والهجين والفلنقس * ثلاثة فأيهم تلتمس وقال آخر
كم بجود مقرف نال العلى * وكريم بخله قد وضعه ثم وصفها بصفتين من صفات كرام الابل الصفة الاولى طول الظهر والعنق
وهو المعنى بقوله قوداء بفتح القاف وسكون الواو وفتح الدال وفى آخره ألف التأنيث وهى الطويلة الظهر والعنق وهى من صفات

(يمشى)

أبى على رحمه الله على ما ذكرت فى البيت لان الشاعر لم يصف الناقة باحد النسبين بل بهما معا
(وقوله من مهجنة) المهجنة الناقة الكريمة أى من ناقة مهجنة أو من نياق مهجنة والهجائن
كرام الابل واصل الهجنة غلظ الخلق كغلظ البراذين (وهنا تنبيه على أمرين) أحدهما
ان التهجين مدح فى الابل وذم فى الآدميين لان معناه فى الابل كرم الابوين وفى الآدميين
ان يكون الاب عربيا والام أمة يقال منه رجل هجين وان كان الامر بالعكس قيل رجل
مقرف وفلنقس بوزن سفرجل أوله فاء ورابعه قاف قال

العبد والهجين والفلنقس * ثلاثة فايهم تلتمس

وقال

كم بجود مقرف نال الغنى * وكريم بخله قد وضعه

يجوز فى مقرف الجر باضافة كم والنصب على التمييز حملا للخبرية على الاستفهامية كراهة
الفصل بين المتضايفين ومن الملح أن اعرابيا جاء الى ابن شبرمة القاضى فقال مسئلة فقال هات
فقال ان أبى مات وخلفنى وشقيقا لى وخط باصبعه فى الارض خطين متجاورين ثم قال وخلف
هجينا وخط خطا آخر بعيدا ثم قال ولم يخلف غيرنا فاقسم المال بيننا قال هو بينكم اثلاثا
فقال سبحان الله كانك لم تفهم المسئلة فقال أعدها على فاعادها فأجابه كالاول فقال أيرث
الهجين كما أرث قال نعم فقال لقد علمت والله أن خالاتك بالدهناء قليلة فقال لا يضرنى ذلك عند
الله شيأ الثانى ان تقارب الانساب مدح فى الابل لانه انما يكون فى الكرائم يحمل بعضها على
بعض حفظا لنوعها كما قدمناه وهو ذم فى الناس لانه فيهم سبب للضعف وفى الحديث اغتربوا
لا تضووا أى أن تزوج القرائب يوقع الضوى فى الولد والضوى بالضاد المعجمة بوزن الهوى
مصدر ضوى بالكسر يضوى بالفتح بمعنى الضعف والهزال ولذلك يمدحون بضد ذلك كقول
راجز ان بلالا لم تشنه أمه * لم يتناسب خاله وعمه وقول شاعر

فتى لم تلده بنت عم قريبة * فيضوى وقد يضوى رديل الاقارب

والجار والمجرور خبر عن الناقة لا عن أخوها لان الكلام ليس مسوقا له (قوله قوداء) هى
الطويلة الظهر والعنق والذكر أقود وجمعهما قود (قوله شمليل) الشمليل والشملال بكسر
أولهما وسكون ثانيهما والشملة بكسرهما وتشديد الثالث الخفيفة السريعة يقال شملل أى
أسرع واللام زائدة للالحاق بدحرج ولهذا لم تدغم لئلا يفوت موازنته للملحق به قال

الابل التى يتمدح بها والصفة الثانية الخفة والسرعة وهو المراد بقوله شمليل بشين معجمة مكسورة وميم ساكنة ولام مكسورة بعدها ياء وفى آخره لام أيضا وهى الخفيفة السريعة وهى من أحد الاوصاف فى الابل فان قيل قد تقدم وصفها بطول العنق فى قوله قدامها ميل وتقدم وصف الخفة والسرعة فى قوله النجيبات المراسيل على ما تقدم أجيب بأن الذى تقدم فى قوله قدامها ميل طول العنق فقط على أحد الاحتمالين فيه والذى ذكره هنا بقوله قوداء طول الظهر والعنق معا والشئ مع غيره غيره فى نفسه ووصف الخفة والسرعة الذى تقدم فى قوله النجيبات المراسيل راجع الى الوصف العام فى الابل والذى ذكره هنا بقوله شمليل الوصف المقصور على هذه الناقة المخصوصة وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة فى غاية الصلابة كريمة الاصل خالصة النسب طويلة الظهر والعنق خفيفة سريعة (قوله يمشى القراد عليها الخ) أى يمشى القراد على تلك الناقة والقراد بضم القاف واحد القردان كغلام واحد الغلمان وهو حيوان معروف يلزق بالدابة وقوله ثم يزلقه بضم الياء وكسر اللام من الازلاق وهو بوزن افعال من الزلق الذى هو نقيض ثبات القدم فالمعنى ثم يسقطه وثم هنا لمجرد الترتيب وليس فيها معنى التراخى كما فى قول الشاعر

كهز الردينى تحت العجاج * جرى فى الانابيب ثم اضطرب

اذ لا يتطاول مشى القراد عليها ويتراخى ازلاقه عنه كما انه لا يتأخر اضطراب الرمح عن زمن جريان الهز فى انابيبه وقوله منها أى عنها فمن بمعنى عن مثلها فى قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أى عن ذكر الله

ويؤيده انه روى عنها وخير ما فسرته بالوارد وقوله لبان فاعل يزلقه واللبان بفتح اللام هنا الصدر وقيل وسطه وقيل ما بين اليدين يكون للانسان وغيره وأما بكسر اللام فهو الرضاع يقال هو أخوه بلبان أمه ولا يقال بلبن أمه وبضمها هو الصمغ المسمى بالكندر وان زدت عليها الهاء فقلت لبانة كان معناها الحاجة قال ابن هشام كذا أطلقه الجوهرى وغيره وقيده صاحب المحكم من غير فاقة وقوله واقراب عطف على لبان والاقراب بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الراء وبعد الالف باء موحدة الخواصر وهى جمع قرب بمعنى الخاصرة كأبعاد جمع بعد والمراد بالجمع المثنى كما فى قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقوله زهاليل صفة لقوله لبان واقراب معا والزهاليل بفتح الزاى والهاء وبعد الالف لامان بينهما ياء الملس وهى جمع زهلول كعصفور وهو الشئ

﴿يمشى القراد عليها ثم يزلقه * منها لبان وأقراب زهاليل﴾

يعنى ان جلدها أملس لسمنها فالقراد لا يثبت عليها وهذا تأكيد لقوله وجلدها من أطوم البيت فلو ذكره الى جانبه لكان أليق والقراد واحد القردان كالغلام والغلمان وثم لمجرد الترتيب وليس فيها معنى التراخى مثلها فى قوله

كهز الردينى تحت العجاج * جرى فى الانابيب ثم اضطرب

اذ ليس المراد تطاول مشى القراد عليها وتراخى الازلاق عنه كما انه ليس المراد تأخر اضطراب الرمح عن زمن جريان الهز فى أنابيبه ومن هنا اما لابتداء الغاية واما بمعنى عن مثلها فى قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ويؤيده انه قرئ عن ذكر الله وتحتمل من فى الآية السببية أى من أجل ذكره لانهم اذا ذكر الله عندهم اشمأزوا وازدادت قلوبهم قسوة واللبان بفتح اللام ويكون بكسرها وبضمها ومعانيهن مختلفة فاما المفتوحها وهو المذكور فى البيت فقيل الصدر وقيل وسطه وقيل ما بين الثديين يكون للانسان وغيره وقيل الصدر من ذى الحافر فقط فعلى هذا يكون ذكره هنا استعارة كقوله

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتى * ولكن زنجى عظيم المشافر

وانما المشفر للبعير وأما المكسورها فهو الرضاع يقال هو أخوه بلبان أمه ولا يقال بلبن أمه واما المضمومها فهو الصمغ المسمى بالكندر فان زدت على المضموم هاء فقلت لبانة فهى الحاجة كذا أطلق الجوهرى وغيره وقال صاحب المحكم الحاجة من غير فاقة ولكن من همة والجمع لبان كحاجة وحاج ولبانات ومنه قول الاعشى ميمون بن قيس ويكنى أبا بصير وكان أعمى

هريرة ودعها وان لام لائم * غداة غد أم أنت للبين واجم

لقد كان فى حول ثواء ثويته * تقضى لبانات ويسأم سائم

الواجم الشديد الحزن حتى ما يطيق الكلام يقال منه وجم بالفتح وجوما فان زدت على لبان بالضم نونا بعد اسكان بائه فقلت لبنان فهو جبل فان حذفت النون من هذا فقلت لبنى فهى شجرة لها لبن واسم من أسماء النساء وكذلك مصغره ومنه قول عدى بن زيد

يا لبينى أوقدى نارا * ان من تهوين قد حارا

رب نار بت أرمقها * تقضم الهندى والغارا

الاملس فان قيل لم خص الصدر والخواصر بازلاق القراد دون غيرهما من سائر بدنها أجيب بان هذين الموضعين أخشن مايكون فى الناقة لماستهما الارض اذا بركت ومع ذلك يزلقان القراد لملاستهما ويفهم غيرهما بالطريق الاولى وحاصل معنى البيت ان تلك الناقة يمشى القراد عليها ولا يثبت بل يسقط لانها فى غاية الملاسة وذلك مما يستحسن فى أوصاف الابل وهذا البيت فى الحقيقة مؤكد لقوله وجلدها من اطوم فى البيت المتقدم فلو ذكره بجنبه لكان أولى كما قاله ابن هشام وقال بعضهم قد يقال الغرض من قوله وجلدها من اطوم الخ وصفها بالصلابة بحيث ان الطلح الذى هو القراد لا يؤثر فيه لصلابته وهذا قدر زائد على ماذكره فى هذا البيت وهو ملاسة جلدها بحيث يزلق القراد عنها (قوله عيرانة الخ) أى هى عيرانة الخ والعيرانة بفتح العين المهملة وسكون الياء وفتح الراء وبعد الالف نون ٦٦ وفى آخره تاء التانيث المشبهة عير الوحش اى حماره فى سرعته ونشاطه وصلابته وقوله قذفت بالنحض عن عرض أى رميت باللحم من كل جانب من جوانبها فقذفت بصيغة المجهول بمعنى رميت ويروى بالتشديد للتكثير كما روى بالتخفيف والنحض بفتح النون وسكون الحاء وبالضاد المعجمة اللحم حتى انه يروى باللحم بدل بالنحض وعن بمعنى من والعرض بضمتين أو بضم فسكون الجانب والمراد منه هنا العموم بقرينة سياق المدح لان النكرة فى سياق الاثبات قد تعم بالقرينة وقوله مرفقها عن نبات الزور مفتول أى مرفق تلك الناقة مصروف عما حوالى الصدر من الاضلاع وغيرها فتكون مصونة عن الضغط والزلق لبعد مرفقها عن اضلاعها فلا يصطك بها لخفتها ونشاطها ومرفقها مبتدأ ومضاف اليه ومفتول خبره وعن نبات الزور متعلق به والمرفق بكسر الميم وفتح الفاء وعكسه معروف وهو مما اقام فيه المفرد مقام المثنى لان لها مرفقين فالاضافة فى مرفقها للجنس الصادق بالمتعدد ونبات الزور ما يتصل بالصدر مما حوله من الاضلاع وغيرها فالزور بفتح الزاى الصدر وقيل وسطه وقيل غير ذلك كما فى القاموس والمفتول اسم مفعول من الفتل بالفاء وهو الصرف يقال فتل وجهه عنهم صرفه كما فى القاموس أيضا والحاصل انه وصف الناقة فى هذا البيت بثلاث صفات الصفة الاولى الصلابة بحيث انها تشبه عير الوحش فى صلابته وقوته فانه من أشد الحيوانات صلابة وقوة وهذا هو المعنى بقوله عيرانة وقد تكرر له وصف الناقة بالصلابة فى غير موضع الا انه بالفاظ مختلفة فلذلك حسن التكرار وقد يريد بذلك التأكيد فان هذا الوصف هو المقصود الاعظم من صفات الابل الصفة الثانية السمن وهو المعنى بقوله قذفت بالنحض عن عرض وقد تكرر له هذا الوصف أيضا لكنه بالفاظ مختلفة فاذا كانت سمينة ولا ينقص سمنها مع طول السير وشدته كانت فى غاية النفاسة التى تكون خارقة للعادة الصفة الثالثة تجافى مرفقها

العيرانة

عندها طى بورتها * عاقد فى الجيد تقصارا

تقضم بفتح الضاد المعجمة تأكل والغار نوع من الشجر له دهن والتقصار بكسر التاء قلادة ولبنى اسم امرأة ابليس وبها يكنى (وقوله وأقراب) أى خواصر ومفردها قرب بوزن القرب ضد البعد ولكن سمع فيه أيضا قرب بضمتين كما سمع فى عسر ويسر السكون والضم ولا نعلم ذلك مسموعا فى ضد القرب ومن أجاز فى نحو قفل قفل بضمتين أجاز ذلك فيه (قوله زهاليل) صفة للبان وأقراب معا ومعناها املس والواحد زهلول قال الشنفرى فى لاميته وتعرف بلامية العرب

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم * فانى الى قوم سواكم لأميل
فقد حمت الحاجات والليل مقمر * وشدت لطيات مطايا وأرحل
وفى الارض منأى للكريم عن الاذى * وفيها لمن رام القلا متعزل
ولى دونكم اهلون سيد عملس * وأرقط زهلول وعرفاء جيئل
هم الاهل لا مستودع السر ذائع * لديهم ولا الجانى بما جر يخذل

وهى من غرر القصائد كثيرة الحكم والفوائد واميل فى البيت الاول بمعنى فاعل كاعلم فى قوله تعالى هو أعلم بكم اذ أنشأكم ودونكم ظرف للاستقرار أو حال من اهلون وكان فى الاصل صفة له فعلى هذا فمعناه غيركم والسيد الذئب وعملس بوزن سفرجل من أسماء الذئب واشتقاقه من العملسة وهى السرعة والارقط النمر والعرفاء من صفات الضبع والجيئل من أسمائها فهو بدل من عرفاء ولا يجوز ان يعرب بيانا لانها علم وما قبلها نكرة وسيد وما بعده بدل تفصيل من اهلون وجاز جمع أهل بالواو والنون مع انها لما لا يعقل وهى الحيوانات المذكورة لانه أقامها مقام من يعقل فى الاهلية قال

﴿عيرانة قذفت بالنحض عن عرض * مرفقها عن نبات الزور مفتول﴾

همـاحوالى صـدرها وهو المعنى بقوله مرفقها عن نبات الزور مفتول على ماتقدم تفسيره فاذا كان مرفقها متجافيا عمـاحوالى صدرها كان ذلك أسلم لها فى السير عن التعب وابعد لها فيه عن العطب (قوله كأنما فات عينيها الخ) حاصله انه شبه وجهها بالبرطيل فى القوة والصـلابة والاسـتطالة والصورة فى الجملة على ماسيأتى فكأن أداة تشبيه وما اسم موصول بمعنى الذى وهى اسم كأن وجـملة فات صلة والعائد الضمير المستتر فى فات وعينيها مفعول ومذبحها معطوف على عينيها ومن خطمها بيان لما ومن اللحيين معطوف على من خطمها وبرطيل خبر كأن قال الاصمعى الوجه كله فائت ٦٧ العينين الا الجبهة فانها تكون فوقهما والمذبح والمنحر واحد والخطم بفتح الخاء المعجمة قال أبو عبيدة الانف ورد بأنه لا يختص بالانف لانه الموضع الذى يقع عليه الخطام فيشمل الانف وغيره ونظيره تسميتهم الموضع الذى يقع عليه الرسن مرسنا واللحيان بفتح اللام العظمان اللذان تنبت عليهما الاسنان السفلى من الانسان وغـيره من بقيـة الحيوانات والبرطيل بكسر الباء معول من حديد او حجر مستطيل والتشبيه بالاول فى القـوة والصـلابة وبالثانى فى الاستطالة والصورة فى الجـملة وحاصـل المعنى ان وجهها الذى بين عينيها ومذبحها وقد بينه بقوله من خطمها ومن اللحيين يشبه المعول من الحديد فى القوة والصـلابة أو الحجـر المسـتطيل فى الاستطالة والصورة فى الجملة وفى نسخة قاب بدل فات وقاب الشئ بقاف وباء موحدة قدره وعلى هذه النسخة فما كافة لكأن عن العمل وقاب مبتدأ مضاف لعينيها ومذبحها ومن فى قوله من خطمها ومن اللحيين للابتداء واضافة القاب للعينين والمذبح لادنى ملابسة والمراد قاب وجهها المنتهى الى عينيها وقاب عنقها المنتهى الى مذبحها وبرطيـل خبر المبتدا لكن على تقدير مضاف أى قدر برطيل بمعنى المعول من حديد بالنظر للوجه وبمعنى الحجر المستطيل بالنظر للعنق فهو على التوزيع وحاصل المعنى على هذه النسخة كأنما قدر وجهها المنتهى الى عينيها حال كونه مبتدأ من خطمها قدر معول من حديد فى القوة والصلابة وقدر عنقها المنتهى الى مذبحها حال كونه مبتدأ من اللحيين قدر حجر طويل فى الطول والصورة فى الجملة ولا يخفى ما فى ذلك من التكلف

العـيرانة بفتح العين المهـملة المشبهة فى صلابتها بعير الوحش قذفت أى رميت ويروى أيضا قذفت بالتشديد للتكثير والنحض بالحاء المهـملة والضاد المعجمة كاللحم وزنا ومعنى وامرأة نحيضة كثيرة اللحم ويروى قذفت باللحم والعرض بضم المهملتين وباسكان الثانيـة الجانب والناحية أى رميت باللحم من جوانبها ونواحيها وقال التبريزى العرض الاعـتراض يقول انها سمنت من اعـتراض كأنها تعترض فى مرتعها والزور قال التبريزى الصدر وقال عبـد اللطيف وسطه وقال الجوهرى اعـلاه ونباته ماحوله وما يتصـل به من الاضـلاع أى ان مرفقها جاف عن صدرها فهى لا يصيبها ضاغط ولا حاز والمفتول المدمج المحكم قال

﴿ كأنما فات عينيها ومذبحها * من خطمها ومن اللحيين برطيل ﴾

(ما) فى كأنما اسم بمعنى الذى موضعه نصب بكأن والخبر قوله برطيل وفات قال أبو عمرو معناه تقدم وقال الاصمعى الوجـه كله فائت العينين الا الجبهة وقال هو ما انقطع من المذبح وفات العينين ومذبحها منصوب بالعطف على عينيها والمذبح والمنحر واحـد والخطم قال أبو عبيد الانف ورد عليـه ذلك فانه لا يختص بالانف بل هو الموضع الذى يقع عليـه الخطام فيشمـل الانف وغيره ونظيره تسميتهم الموضع الذى يقع عليه الرسن مرسنا وقد يسـتعمل فى الآدمى كقول العجاج يصف امرأة

ازمان ابدت واضحا مفلجا * اغر براقا وطرفا ابرجا

ومقلة وحاجبا مزججا * وفاحما ومرسنا مسرجا

الابرج الذى بياضه محـدق بالسواد كله فلا يغيب من سواده شئ يقال منه امرأة برجاء بينـة البرج ورجل ابرج وجمعهما برج بوزن البرج واحد البروج ولم يسمع وصف الانف بالمسرج قبـل العجاج واختلف أهل اللغة فى معناه على ثلاثة أقوال أحـدها انه كالسراج فى البريق والثانى انه محسن من قولهم سرج الله وجهه أى حسنه ولم يذكر صاحب المحكم سواه والثالث انه كالسيف السريجى فى الدقة والاسـتواء وهو منسوب الى قين يقال له سريج ولم يذكر التبريزى غير هذا القول وقال الاصمعى ما كنت أعرف المسرج ولم أسمعه الا فى بيت العجاج فسألت عنه اعرابيا فقال تعرف السريجيات يعنى السـيوف فقلت نعم فقال ذلك أراد انتهـى وأرجح الاقوال من حيث الصناعة الثانى لان صـيغة المفعول لا تشـتق من أسمـاء الاعيان

(قوله تمر مثل عسيب النخل الخ) أى تمر الناقة ذنبا مثل جريد النخل فى الطول والغلظ وهذا من الصفات المحمودة التى تكون فى الابل فالفاعل ضمير يعود على الناقة وتمر بضم التاء مضارع أمر ومثل صفة لموصوف محذوف وهو المفعول وعسيب النخل جريده الذى لم ينبت عليه الخوص فان نبت عليه سمى سعفا واما عسيب فى قول امرئ القيس اجارتنا ان الخطوب تنوب * وانى مقيم ما أقام عسيب ٦٨ اجارتنا انا غريبان هاهنا * وكل غريب للغريب نسيب فان تصلينا فالقرابة بيننا وان تهجرينا فالغريب غريب فهو اسم جبل دفن عنده امرؤ القيس وقوله ذا خصل أى صاحب لفائف من الشعر فذا بمعنى صاحب وخصل بضم الخاء وفتح الصاد اللفائف من الشعر وهى جمع خصلة بضم الخاء وسكون الصاد وفى ذلك اشارة الى كونه كثير الشعر وهو من الصفات المحمودة فى الابل وقوله فى غارز اى على ضرع ففى بمعنى على والمراد من الغارز هنا الضرع وجعل التبريزى اصله من قولهم غرزت الناقة بفتح الراء تغرز بضمها اذا قل لبنها قال ابن هشام ومثله السيوطى ولا أدرى مامعنى هذا الاصل والجار والمجرور متعلق بتمر وقوله لم تخونه الاحاليل أى لم تنقصه مخارج اللبن لكون الناقة حائلا لا تحلب وذلك أقوى لها على السير فالمقصود نفى الضعف عنها فالاحاليل هى مخارج اللبن لانها جمع احليل وهو مخرج اللبن وهذا هو المراد هنا ويطلق أيضا على مخرج البول وتخونه بفتح التاء والخاء وتشديد الواو المفتوحة واصله تتخونه بتاءين

كالسراج وشذ نحو قولهم مدرهم ولا من أسماء النسب كالسريجى وانما نشتق من الفعل وأرجحها من حيث المعنى الاخير لانه تفسير بأمر يختص بالانف * واللحيان بفتح اللام العظمان اللذان تنبت عليهما اللحية من الانسان ونظير ذلك من بقية الحيوانات * والبرطيل بكسر الباء معول من حديد وأيضا حجر مستطيل وصفها بكبر الرأس وعظمه قال

* تمر مثل عسيب النخل ذا خصل * فى غارز لم تخونه الاحاليل *

(تمر) بضم المثناة من فوق مضارع أمر منقول بالهمزة من مر وفاعله ضمير الناقة ومثل صفة لمحذوف أى ذنبا مثل وعسيب النخل جريده الذى لم ينبت عليه الخوص فان نبت عليه سمى سعفا وأما عسيب فى قول امرئ القيس

اجارتنا ان الخطوب تنوب * وانى مقيم ما أقام عسيب
اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب
فان تصلينا فالقرابة بيننا * وان تهجرينا فالغريب غريب

فهو اسم جبل دفن عنده امرؤ القيس وذا صفة ثانية أو هو المفعول ومثل حال منه وكانت فى الاصل صفة له ثم تقدمت عليه والخصل جمع خصلة من الشعر وفى بمعنى على مثلها فى قوله تعالى فى جذوع النخل وقول الشاعر

بطل كان ثيابه فى سرحة * يحذى نعال السبت ليس بتوأم

والغارز معجم الطرفين والمراد به هنا الضرع وجعل التبريزى أصله من قولهم غرزت الناقة بالفتح تغرز بالضم اذا قل لبنها ولا أدرى ما معنى هذا الاصل وتخونه أصله تتخونه أى تتنقصه يقال تخوننى فلان حقى اذا تنقصه ومنه قول لبيد * تخونها نزولى وارتحالى * أى تنقص شحم هذه الناقة ولحمها وسئل ثعلب أيجوز ان يقال لما يؤكل عليه وهو الخوان بكسر الخاء وضمها انه انما سمى بذلك لانه يتخون ما عليه أى يتنقص فقال ليس ذلك ببعيد اه والمشهور انه معرب فلا اشتقاق له وجمعه اخونة وخون ويأتى التخوف بالفاء بمعنى التخون ومنه قوله تعالى أو يأخذهم على تخوف أى تنقص ويأتى التخون بمعنى التعهد وفى الحديث كان يتخوننا بالموعظة أحيانا مخافة السآمة علينا أى يتعهدنا بها ويأتى قريبا من معنى هذا التخول باللام وقد روى الحديث باللام ومعناه يأتينا بها شيأ بعد شئ من قولهم تساقطوا أخول أخول أى شيأ بعد شئ * والاحاليل بالحاء المهملة جمع احليل وهو مخرج البول ومخرج اللبن من الثدى ومخرجه من الضرع وهو المقصود هنا يعنى انها حائل لا تحلب وذلك أقوى لها على السير ونفى الضعف عن الناقة بنفيه عن ضرعها قال رحمه الله تعالى

حذفت احداهما فهو مضارع تخون بمعنى تنقص ومنه قول لبيد * تخونها نزولى وارتحالى * أى تنقص (قنواه) هذه الناقة نزولى عنها وارتحالى عليها وليس ببعيد ان يقال انما سمى ما يؤكل عليه خوانا بكسر الخاء وضمها لانه يتخون ما عليه اى يتنقص والتخوف بالفاء يأتى بمعنى التخون بالنون ومنه قوله تعالى او يأخذهم على تخوف أى تنقص ويأتى التخون بمعنى التعهد ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوننا بالموعظة مخافة السآمة أى يتعهدنا بها وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة

ممزن باعثل جريد النخل فى الغلظ والطول صاحب لفائف من الشعر لكونه كثير الشعر على ضرع لم تنقصه مخارج اللبن لكونها لا تحلب فيكون ذلك اقوى لها على السير كما علمت (قوله قنواء الخ) أى هى قنواء الخ والقنواء بفتح القاف وسكون النون وفتح الواو و بالمد المحدودبة الانف واشتقاقهما من القناوزن العصا وهو احديداب فى الانف ومنه قيل للرجل أقنى اذا كان محدودب الانف وقدعد الناظم هذا الوصف من الاوصاف المحمودة فى الابل لكن المنقول عن العرب ان القناعيب فى الابل كما هو عيب فى الخيل و يروى وجناء بدل قنواء و يلزم على هذه الرواية التكرار لتقدم هذا الوصف فى البيت الثامن عشر وهو قوله غلباء وجناء علكوم مذكرة الخ و يمكن دفع التكرار بانه تقدم تفسير الوجناء بمعنيين احدهما الصلبة والثانى العظيمة الوجنتين فيجوز أن يكون قصد هناك المعنى الاول وهو الصلبة لان كلامه هناك فى عظم خلقها والمناسب له الصلابة والقوة وقصد هنا المعنى الثانى وهو العظيمة الوجنتين لان كلامه هنا فى حسن الوجه والرأس والمناسب له عظم الوجنتين لا يقال يعكر على ذلك قوله وفى الخدين تسهيل لانا نقول المراد بالوجنتين طرفا الخدين فيجوز أن يكون الخدان اسيلين مسترسلين ٦٩ وطرفاهما عظيمين و يكون كل منهما معدودا من المحاسن وقوله فى حرتيها للبصير بها عتق مبين أى فى أذنيها للعارف بها كرم ظاهر فالحرتان بضم الحاء وتشديد الراء و بعدها تاء مثناة من فوق الاذنان وقدروى السكرى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما سمع هذا البيت قال لاصحابه رضى الله عنهم ماحرتاها فقال بعضهم عيناها وسكت بعضهم فقال عليه الصلاة والسلام هما اذناها والبصير بها معناه العارف بها بحيث يكون له معرفة بكرام الابل والعتق بكسر العين وسكون التاء على الصواب وان ضبطه السيوطى وتبعه الجل بفتح التاء وفى آخره قاف الكرم

❊قنواء فى حرتيها للبصير بها ❊ عتق مبين وفى الخدين تسهيل❊

(القنوا) مؤنث الاقنى واشتقاقهما من القناوزن العصاوهو احديداب فى الانف والحرتان الاذنان وقدروى العسكرى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما سمع هذا البيت قال لاصحابه ماحرتاها فقال بعضهم عيناها وسكت بعضهم فقال عليه الصلاة والسلام هما أذناها يقول اذا نظر البصير بالابل الى اذنها وسهولة خديها بان له عتقها أى كرمها ❊ و يروى وجناء بدل قنواء أى صلبة أو عظيمة الوجنتين وهذه هى الرواية التى جزم بها عبد اللطيف و يضعفها انه يلزم عليها تكرار لان هذا الوصف قد تقدم فى قوله غلباء وجناء علكوم البيت و يرجحها ماقيل ان القناعيب فى الابل والخيل ولذلك قال سلامة بن جندل يمدح فرسا

ليس باسفى ولا أقنى ولا سغل ❊ يسقى دواء قفى السكن مربوب

الاسفى بالسين المهملة و بالفاء الخفيف الناصية والسغل باهمال الاول واعجام الثانى مكسوره المضطرب الاعضاء وقيل المهزول والقفى بفتح القاف وكسر الفاء الشئ الذى يؤثر به الضيف والصبى والمراد بالدواء اللبن ووجه هذه التسمية انهم يضمرون الخيل بسقيها اياه والسكن أهل الدار وفى الحديث حتى ان الرمانة لتشبع السكن والمربوب المربى قال

❊(تخدى على يسرات وهى لاحقة ❊ ذوابل مسهن الارض تحليل)❊

الخدى والخديان والوخد ضرب من السير يقال خدى بالمعجمتين مفتوحتين يخدى بالكسر خديا وخديانا ووخد يخد ووخدا وخوّد يخوّد تخويدا استعملت فيه التقاليب الثلاثة بمعنى وليس

والمبين الظاهر فهو اسم فاعل من أبان بمعنى بان أى ظهر ولا يخفى ان قوله فى حرتيها خبر مقدم وعتق مبتدأ مؤخر ومبين صفة وللبصير متعلق بمبين و بها متعلق بالبصير وكأنه يصفها بحسن اذنيها بحيث اذا تأملهما من له معرفة بكرام الابل حكم عليها بأنها من النوق الكرام و يستحسن فى الابل طول الاذنين فانه مما يدل على كرمها وقوله وفى الخدين تسهيل أى وفى خديها سهولة ولين لا خشونة ولا حزونة وقيل أى وفى خديها انحدار لا نتوء فيهما اسيلان لا ارتفاع فيهما وهذا من الصفات المحمودة فى الابل وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة محدودبة الانف أو عظيمة الوجنتين على ماتقدم من الروايتين للعارف بالابل الكرام كرم ظاهر فى أذنيها لحسنهما وطولهما فاذا تأملهما من له معرفة بكرام الابل ادرك فيها الكرم والنجابة وفى خديها سهولة وليونة أو انحدار على ماتقدم من الخلاف فى معنى قوله وفى الخدين تسهيل (قوله تخدى على يسرات الخ) أى تسرع بقوائم خفاف فتخدى بمعجمة فمهملة كترمى بمعنى تسرع من خدى البعير يخدى اذا اسرع كما فى القاموس و يروى بمعجمتين بمعنى تسترخى من خذا يخذو اذا استرخى كما فى القاموس ايضا وهذا أبلغ فى المدح لانها مع استرخائها فى السير تلحق النوق السوابق فكيف لو أسرعت وعلى بمعنى الباء و يصح ان تكون على

حقيقتها باعتبار امتلاء الماشية على قوائمها واليسرات بفتحات القوائم الخفاف واشتقاقها من اليسر وهو حاصل مع الخفة حصولا أكمل وقوله وهى لاحقة أى والحال انها لاحقة بالنوق السابقة عليها أو بالديار البعيدة عنها فالواو واو الحال ويروى وهى لاهية أى وهى غافلة عن السير فهى تسرع فيه من غير اكتراث ومبالاة كأن ذلك صار سجية لها وقد فسر ابن هشام اللاحقة بالضامرة قال وضميرهى لليسرات لا للناقة لامرين أحدهما قوله ذوابل مسهن الارض تحليل وذلك من صفات القوائم خاصة ثانيهما انه ان لم يحمل على ذلك تناقض مع قوله قذفت بالنحض وقد يقال التناقض لازم لقوله فعم مقيدها لان معناه ان أطرافها غليظة ويجاب بان المراد بالفعومة ٧٠ غلظ الاعصاب والعظام وبالضمور رقة اللحم فلا تنافى واذا كانت قوائمها قليلة اللحم كانت أسرع للسير لانها لا تكون رهلة ولا مسترخية وقوله ذوابل بالتنوين للضرورة وهو خبر ثان أو حال أو صفة يسرات وان فصل بينهما بقوله وهى لاحقة لان الفصل بين الصفة والموصوف جائز وقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وهذا أوفق بما بعده من الجملة فانها صفة لها أيضا والذوابل جمع ذابل وهى الرمح الصلب اليابس والمعنى على التشبيه والتقدير وتلك اليسرات كالذوابل أى كالرماح الصلبة اليابسة وقوله مسهن الارض تحليل وفى نسخة وقعهن بدل مسهن أى مس تلك اليسرات للارض أو وقعهن على الارض شئ قليل غير مبالغ فيه لسرعة رفع قوائمها عن الارض فلا تمس الارض الا تحلة القسم كما يحلف الانسان ليفعلن هذا الشئ فيفعل منه اليسير ليتحلل به من القسم لكن هذا بحسب الاصل ثم كثر حتى قيل لكل شئ لم يبالغ فيه وفى الحديث لا يموت لاحدكم ثلاث من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم فهو كناية عن القلة وقال جماعة من المفسرين الا تحلة يمين القسم حقيقة وليس كناية عن القلة والمعنى ان النار لا تمسه الا بقدر ما يبر الله تعالى به قسمه لانه عز وجل يقول وان منكم الا واردها وفى هذا القول نظر لان هذه الجملة لا قسم فيها اللهم الا ان عطفت على الجملة التى أجيب بها القسم من قوله تعالى فوربك لنحشرنهم الآية قال ابن هشام وفيه بعد وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة تسرع فى السير بقوائمها والحال انها لاحقة بالنوق السابقة عليها أو ضامرة على ما تقدم كالرماح الصلبة الشديدة سريعة الرفع عن الارض كانها لا تمس الارض الا تحلة القسم فهى فى غاية الاسراع فى سيرها

واحد منها مقلوبا لاستكمال كل منها تصاريفه ومن ثم خطئ من قال فى جذب وجبذ ان أحدهما مقلوب من الآخر لقولهم جذب يجذب جذبا وجبذ يجبذ جبذا * واليسرات قال التبريزى القوائم والصواب قول الجوهرى انها القوائم الخفاف واشتقاقها من اليسر وهو حاصل مع الخفة حصولا أكمل واللاحقة الضامرة أى الخفيفة اللحم وضميرهى لليسرات لا للناقة لامرين أحدهما قوله ذوابل مسهن الارض تحليل وذلك من صفات القوائم خاصة والثانى انه ان لم يحمل على ذلك تناقض مع قوله قذفت بالنحض وقد يقال التناقض لازم له لقوله فعم مقيدها اذ معناه ان اطرافها غليظة ويجاب بان المراد بالفعومة غلظ الاعصاب والعظام وبالضمور قلة اللحم فلا تنافى واذا كانت القوائم قليلة اللحم لم تكن رهلة ولا مسترخية وذلك أسرع لرفع قوائمها او بسطها وروى عبد اللطيف لاهية بدل لاحقة ولا اشكال عليه والمعنى انها تسرع من غير اكتراث كأن ذلك سجية لها فهى تفعله وهى غافلة عنه والواو من قوله وهى اما زائدة فى أول الجملة الموصوف بها يسرات كما قال بعضهم فى قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيأ وهو شر لكم أو هى واو الحال وسوغ مجئ الحال من النكرة وهى يسرات عدم صلاحية الجملة للوصفية لاقترانها بالواو ومثله قوله تعالى أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها وقول الشاعر

مضى زمن والناس يستشفعون بى * فهل لى الى ليلى الغداة شفيع

ومن روى لاهية فالواو للحال لا غير وصاحبها الضمير فى تخذى وقوله ذوابل جمع ذابل وهو اليابس وهى خبر ثان أو خبر لمحذوف ويجوز نصبها حالا من ضمير لاحقة وجرها صفة ليسرات وانما نونت للضرورة كقوله * قواطنا مكة من ورق الحمى * (قوله مسهن الارض تحليل) اشارة الى سرعة رفعها قوائمها وذلك لان التحليل من تحلة اليمين فالمعنى ان مسهن الارض قليل كما يحلف الانسان على الشئ ليفعلنه فيفعل منه اليسير ليتحلل به من قسمه هذا اصله ثم كثر حتى قيل لكل شئ لم يبالغ فيه وفى الحديث لا يموتن لاحدكم ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم * وقال جماعة من المفسرين ان اليمين هنا على الاصل الذى هو القسم لا انه كناية عن القلة وذلك أن الله تعالى قال وان منكم الا واردها والمعنى ان النار لا تمسه الا بقدر ما يبر الله

تعالى به قسمه وفي هذا القول نظر لان الجملة لا قسم فيها اللهم الا ان عطفت على الجملة التي أجيب بها القسم من قوله فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم الى آخرها وفيه بعد قال

﴿سمر العجايات يتركن الحصى زيما * لم يقهن رؤس الاكم تنعيل﴾

(العجايات) والعجاوات بضم العين المهملة وبالجيم جمع عجاية وعجاوة وهي عند الاصمعي لحمة متصلة بالعصب المنحدر من ركبة البعير الى الفرسن وقال الجوهري العجايتان عصبتان في باطن يدي الفرس واسفل منهما هنات كالاظفار ويقال لكل عصب متصل بالحافر عجاية وقال التبريزي العجاية عصب قوائم الابل والخيل والزيم بكسر الزاي وفتح الياء المتفرقة أي انها لشدة وطئها الارض تفرق الحصى والاكم مخفف من الاكم بضمتين أي انها لا تحفى في سيرها فتفتقر الى النعل * وهنا ثلاث مسائل (الاولى) فعل بكسر الاول وفتح الثاني كثير في الاسماء كضلع وأما في الصفات فقال سيبويه لا نعلمه جاء صفة الا في حرف معتل يوصف به الجمع وهو قوم عدى انتهى وكذلك قال يعقوب لم يأت فعل في النعوت الا حرف واحد يقال قوم عدى اي غرباء أو أعداء قال

اذا كنت في قوم عدى لست منهم * فكل ما علفت من خبيث وطيب

وقال الاخطل

ألا يا اسلمي يا هند هند بني بكر * وان كان حيانا عدى آخر الدهر

يروى بالضم والكسر وقد أورد عليهما ألفاظ احدها زيم بمعنى متفرق كما في هذا البيت وفي قول الآخر

باتت ثلاث ليال غير واحدة * بذي المجاز تراعي منزلا زيما

اي متفرق النبات وذو المجاز سوق عظيمة كانت تقام في الجاهلية بمنى ومثلها عكاظ بالظاء المشالة ممنوعة الصرف كانت تقام بناحية مكة شرفها الله تعالى في كل سنة شهرا يتبايعون ويتناشدون الشعر ويتفاخرون وكذلك مجنة بفتح الميم موضع يقام به سوق على اميال من مكة في الجاهلية قال

وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

والثاني ماء صرى للذي طال مكثه روي بضم الصاد المهملة وكسرها كما روي عدى بهما اذا

(قوله سمر العجايات الخ) أي هي سمر العجايات الخ فهو خبر لمبتدا محذوف تقديره هي وهذا الضمير أعني هي عائد على اليسرات ويصح ان يكون قوله سمر العجايات صفة لليسرات والاضافة في سمر العجايات لفظية أي سمر عجاياتها فهي من اضافة الصفة لمعمولها والسمر جمع أسمر والسمرة لون يقرب من السواد ويصح ان تكون من اضافة المشبه به للمشبه أي عجاياتها كالسمر اي كالرماح السمر في الشدة والصلابة فان السمر من أوصاف الرماح والعجايات جمع عجاية أو العجاوات جمع عجاوة بضم العين وبالجيم في الجميع وبالياء أو الواو وهي الاعصاب المتصلة بالحافر وقيل اللحمة المتصلة بالعصب المنحدر من ركبة البعير الى الفرسن فشبه عصبها أو لحم قوائمها بالرماح السمر لقوته وصلابته (قوله يتركن الحصى زيما) أي يجعلن الحصى متفرقا فيتركن بمعنى يجعلن ولذلك تعدى لمفعولين وهما الحصى زيما وقيل زيما حال من الحصى وزيما بكسر الزاي وفتح الياء كعنب المتفرق والجملة صفة ليسرات فالضمير لهن ولشدة وطئها الارض تجعل الحصى متفرقا واعلم ان فعلا بكسر أوله وفتح ثانيه كثير في الاسماء كضلع وأما في الصفات فقال سيبويه لا نعلمه جاء صفة الا في حرف معتل يوصف به الجمع وهو قوم عدى اه وقد ورد عليه ألفاظ منها زيم كما في هذا البيت ومنها قيما في قراءة بعضهم دينا قيما ومنها سوى بكسر السين بمعنى مستو في قوله تعالى مكانا سوى وقوله لم يقهن رؤس الاكم تنعيل أي لم يق تلك اليسرات رؤس الروابي المرتفعة من الارض شد النعل على خفها لانها صلبة شديدة فلا تحفى في سيرها ولا ترق قدمها فلا تحتاج للتنعيل الذي يقيها رؤس الاكم وقد كانوا يشدون تحت خفافها قطعا من جلود لتقيها الحجارة فالضمير في لم يقهن لليسرات والجملة صفة لهن ويق مضارع وقى من الوقاية وهي الحفظ وفي بعض الروايات لم يبقهن من الابقاء ورؤس الاكم قيل منصوب بنزع الخافض أي عن رؤس الاكم والاصوب على رواية لم يقهن كونه مفعولا ثانيا اذ الوقاية تتعدى لمفعولين قال تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم والاكم بضم الهمزة وسكون الكاف مخفف اكم بضمتين جمع اكام ككتب جمع كتاب واكام جمع أكم بفتحتين كجبل وجبال واكم بفتحتين جمع اكمة كثمر جمع ثمرة وهي الرابية المرتفعة من الارض والتنعيل شد النعل على ظفر الدابة ليقيها الحجارة وانما خص الاكم التي هي الروابي بالذكر لانها تبقى بها الحجارة الخشنة ونحوها لقلة سلوكها فاذا كانت لا تحتاج لتنعيل لمثل ذلك فلغيره بالاولى وحاصل معنى البيت ان اعصاب قوائم هذه الناقة صلبة شديدة كالرماح السمر ولشدة وطئها الارض تجعل الحصى متفرقا ولصلابة خفافها لا تحتاج الى تنعيل يقيها الحجارة التي تكون في رؤس الاكم فلا تحفى ولا ترق قدمها بل هي صلبة شديدة

(قوله كأن أوب ذراعيها الخ) أى كأن سرعة تقلب يديها الخ فالاوب بفتح الهمزة وسكون الواو بعدها باء موحدة سرعة التقلب ويطلق على المكان والجهة يقال جاؤا من كل أوب أى من كل مكان وجهة وخبر كأن قوله فى البيت الحادى والثلاثين ذراعا عيطل نصف لكن على تقدير مضاف أى أوب ذراعى عيطل نصف فشبه سرعة تقلب يدى هذه الناقة فى السير بسرعة تقلب يدى امرأة عيطل نصف أى طويلة متوسطة فى السن فى اللطم على وجهها لشدة حزنها على ولدها ومن هذا ظهر أن فى البيت العيب المسمى بالتضمين ان فسر بكون البيت مفتقرا الى ما بعده افتقارا لازما فان فسر بتعلق قافية البيت الاول بأول البيت الثانى فليس فى البيت عيب وقوله اذا عرقت أى وقت ٧٢ عرقها لا للتعب ولا لاعياء لما تقدم من وصفها بالقوة والصلابة بل لشدة الحر وانما خص التشبيه بهذا الوقت لانها اذا كانت فى غاية الاسراع فى هذا الوقت فما بالك بها فى غيره والعامل فى اذا ما فى كأن من معنى التشبيه ولا جواب لها ان قدرت خالية عن معنى الشرط والا فالجواب مقدر وهل هى حينئذ منصوبة بفعل الشرط أو جوابه فيه خلاف مذكور فى كتب النحو وقوله وقد تلفع بالقور العساقيل أى والحال انه قد تلفع بالقور العساقيل قالوا واللام للحال وتلفع بفتح التاء المثناة من فوق وفتح اللام والفاء المشددة وبالعين المهملة فعل ماض معناه التحف واشتمل وهو من اللفاع كتلحف من اللحاف وتنقب من النقاب قال الشاعر

لم تتلفع بفضل مئزرها
دعد ولم تسق دعد فى العلب

والقور بضم القاف بعدها واو وفى آخره راء مهملة جمع قارة وهى الجبل الصغير والعساقيل بفتح العين والسين المهملتين وبعدهما ألف وكسر القاف بعدها ياء وفى آخره لام له معنيان أحدهما وهو المراد هنا السراب قال الجوهرى لم أسمع بواحده وثانيهما للاوب نوع من الكمأة وهى الكبار البيض التى يقال لها شحمة الارض وواحده عسقول وقد تحذف منه الياء للضرورة كما فى قوله ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر * كما انها قد تزاد للضرورة كما فى قوله تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة * نفى الدنانير تنقاد الصياريف فالصياريف أصله الصيارف جمع صيرف وزيدت الياء للضرورة وأما الدراهيم فجمع درهام لغة فى الدرهم ولا يخفى ان القور التى هى الجبال الصغار هى التى تتلفع بالعساقيل المراد به هنا السراب بمعنى انه يرى عليها كاللفاع الساتر

كان بمعنى الاعداء والثالث قيما فى قراءة بعضهم دينا قيما والرابع سوى بمعنى مستو فى قوله تعالى مكانا سوى ولا تكون هذه سوى الظرفية لان تلك ملازمة للاضافة ويصح ان تخلفها كلمة غير وقد اجيب عن سوى وصرى بأنهما اسمان للمستوى وللطويل المكث ثم وصف بهما بدليل قوله بقعة سوى ومياه صرى فلم يطابقا الموصوف فى التأنيث كما تقول مررت بأرض عرفج وأجيب عن قيم بأنه مصدر مقصور من القيام ولهذا أعلت عينه ولو كان غير مقصور منه لصح كما يقال حال حولا واستدرك الزبيدى قولهم ماء روى وهو خطأ لانه مصدر وصف به كما يقال رجل رضا * المسئلة الثانية * الاكم بضمتين جمع اكام ككتب جمع كتاب والاكام جمع أكم كالجبال جمع جبل والاكم جمع أكمة كالثمر جمع ثمرة ويجمع الاول وهو أكم على آكام كما يقال عنق واعناق ونظيره جمع ثمرة على ثمر كشجرة وشجر وجمع ثمر على ثمار كجبال وجمع ثمار على ثمر ككتب وجمع ثمر على أثمار كأعناق ذكرهما الجوهرى وحكى الثانى عن الفراء ولا أعرف لهما نظيرا فى العربية * المسئلة الثالثة * ذهب على رضى الله عنه ومن وافقه الى ان المراد بالعاديات الابل التى يحج عليها وان المراد بجمع المزدلفة لاجتماع الناس بها وذلك ان من عدا أهل مكة كانوا يقفون بعرفات لانها موقف الانبياء عليهم السلام وكان المكيون يقفون بمزدلفة ويقولون نحن خدام الحرم فلا نتجاوزه الى الحل فاذا أفاض الواقفون بعرفة اجتمعوا معهم فى مزدلفة فامر الله تعالى المكيين بالوقوف بعرفة بقوله تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس أى من عرفات وزعم الاكثرون ان المراد بالعاديات خيل الغزاة واستدلوا بثلاثة أمور أحدها ان الخيل هى التى تقدح النار بحوافرها اذا صادفت الحجارة بخلاف اخفاف الابل والثانى ان الضبح صوت يخرج من أجواف الخيل لا الابل والثالث ان النقع غبار أرض الحرب وأجيب بان الابل اذا أجهدت نفسها فى السير سمع لها صوت يشبه الضبح وثار لها غبار يشبه النقع ودفعت الحجارة بعضها فى بعض فأورت النار وبان الحجاج لما كانوا يدفعون من جمع فى أول النهار شبهوا بالمغيرين ولهذا كانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير واحتجوا بان السورة مدنية نزلت بعد وقعة بدر ولم يكن معهم فى تلك الوقعة الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد قال

* كأن أوب ذراعيها اذا عرقت * وقد تلفع بالقور العساقيل *

للاوب اربعة معان أحدها الرجع فهما مترادفان متوازنان ومثله فى المعنى الاياب ومنه ان الينا ايابهم والثانى المطر سموه بذلك كما سموه رجعا لانهم يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه اليها أو أراد التفاؤل له بالرجوع والاوب أولان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا قال الله تعالى والسماء ذات الرجع أى ذات المطر ومن ابيات ايضاح أبى على رحمه الله تعالى

رباه شماء لايأوى لقنتها * الا السحاب والا الاوب والسبل

الثالث سرعة تقلب اليدين والرجلين فى السير يقال منه ناقة أوب على فعول وهو مكتوب فى الصحاح بهمزتين وهو سهو والرابع المكان والجهة يقال جاؤا من كل أوب والمراد فى البيت المعنى الاول أو الثالث لا الثانى ولا الرابع وذراعيها مخفوض لفظا مرفوع محلا واذا عرقت كناية عن وقت الهاجرة أى كان رجع يديها أو سرعة تقلب يديها وقت اشتداد الحر والمشبه به مذكور فى قوله بعد ذلك ذراعا عيطل وانما خص التشبيه بهذا الوقت لان السراب انما يظهر عند قوة حر الشمس وتلفع اشتمل وهو من اللفاع كتلحف من اللحاف وتنقب من النقاب واللفاع ماي تلفع به أى يتلحف قال وضاح اليمن أو جرير

لم تتلفع بفضل مئزرها * دعد ولم تغذ دعد فى العلب

ويروى ولم تسق والقور جمع قارة قال

هل تعرف الدار بأعلى ذى القور * قد درست غير رماد مكفور

والقارة الجبل الصغير * والعساقيل معنيان أحدهما وهو المراد هنا السراب قال الجوهرى لم أسمع بواحده والثانى ضرب من الكمأة وهى الكمأة الكبار البيض التى يقال لها شحمة الارض فواحده عسقول وأما قوله

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

فأصله عساقيل كعصافير ولكن حذفت المدة للضرورة وعكسه بيت الكتاب

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة * نفى الدراهيم تنقاد الصياريف

أصله الصيارف جمع صيرف فاشبع الكسرة فتولدت الياء فأما الدراهيم فجمع درهام لغة فى الدرهم والواو واو الحال وعامل الحال ما فى كأن من معنى التشبيه كقوله

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

ويتعلق بهذا البيت مسائل احداها ان اذا ان قدرت خلية من معنى الشرط فعاملها الاوب أو ما فى كأن من معنى التشبيه ولا حذف والا فالجواب مقدر وهل هى حينئذ منصوبة بفعل الشرط أو فعل الجواب فيه خلاف تقدم الثانية فيه العيب المسمى بالتضمين وهو أن يكون البيت مفتقرا الى ما بعده افتقار الازما وقال قوم هو تعليق قافية البيت الاول بأول البيت الثانى وانشد الفريقان على ذلك قوله

هم وردوا الجفار على تميم * وهم اصحاب يوم عكاظ انى
شهدت لهم مواطن صالحات * أتيتهم بصدق الود منى

وقول الآخر

لا صلح بينى فاعلموه ولا * بينكم ما حملت عاتقى

لها فوقع القلب فى كلامه كما تقول ادخلت القلنسوة فى رأسى وعرضت الحوض على الناقة والمراد ادخلت رأسى فى القلنسوة وعرضت الناقة على الحوض وقد اختلف فى القلب فمن النحويين من خصه بالضرورة ومنهم من أجازه فى النثر ومن البيانيين من قبله فى الكلام الفصيح مطلقا ومنهم من رده مطلقا ومنهم من فصل فقال ان تضمن اعتبارا لطيفا قبل والا فلا وأشار المصنف بذلك الى شدة الحر لان قوة السراب وغلبته حتى صار كاللفاع للجبال الصغيرة لا تكون الا فى وقت شدة الحر واذا كانت فى غاية الاسراع فى هذا الوقت كانت فى غيره أولى بالاسراع وحاصل معنى البيت ان سرعة حركة يدى هذه الناقة فى السير كسرعة حركة يدى المرأة الطويلة المتوسطة فى السن فى اللطم على وجهها لشدة حزنها على ولدها فتكون فى غاية الاسراع فى وقت عرقها الشدة الحر وفى قوة السراب وغلبته حتى صار كاللفاع على الجبال الصغار

(قوله يوما يظل به الحرباء الخ) أى ان القور التى هى الجبال الصغار تلفعت بالسراب فى يوم يظل فيه الحرباء محترقا بالشمس فيوما ظرف لقوله تلفع وهو أولى من تعلقه باوب أو بما فى كأن من معنى التشبيه لانه فعل وهو أقوى فى العمل ولانه أقرب من غيره ويظل بفتح الظاء المعجمة مضارع ظل يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا ويكون بمعنى صار كما فى قوله تعالى ظل وجهه مسودا وهو المراد هنا فيظل بمعنى يصير وبه اى فى ذلك اليوم فالباء بمعنى فى والضمير عائد لليوم والحرباء بكسر الحاء حيوان يرى له سنام كسنام الابل يستقبل الشمس ويدور معها كيف دارت ويتلون ألوانا بحر الشمس ويكون فى الظل اخضر ويكنى اباقرة وكنية انثاه ام حنين ويصير وقت الهاجرة فى اعلى الشجر وبه يضرب المثل لانه يمسك ساق الشجر فلا يرسله الا ويمسك ساقا آخر كما قال القائل لا يشغلنك شئ فى زمانك عن ٧٤ حب الملاح وحاذر كلما عاقا وكن كأنك حرباء الهجير ضحى * لا يترك الساق الا ممسكا ساقا

ومصطخدا بكسر الخاء المعجمة وبالدال فى آخره أى محترقا بحر الشمس يقال اصطخد اذا اصطلى بحر الشمس وروى مصطخما بالميم فى آخره أى منتصبا قائما يقال اصطخم اذا انتصب قائما ويقال اصطخب بالباء بمعنى صاح كما فى قوله

ان الضفادع فى الغدران تصطخب

وصحف الاصمعى بيت ذى الرمة وهو قوله

فيها الضفادع والحيتان تصطخب

فقال تصطخب بخاء معجمة فقال له أبو على الاصبهانى أى صوت للحيتان يا أبا سعيد انما هى تصطحب بالمهملة أى تتجاور ووهم عبد اللطيف حيث قال والمصطخد منصوب لانه خبر أضحى ووجه الوهم انه ليس فى البيت اضحى وانما هو يظل

سيفى وما كنا بنجد وما * قرقر قمر الواد بالشاهق

وعلى التفسير الثانى لا يكون فى البيت عيب ومن أقبح التضمين قوله

وليس المال فاعلمه بمال * من الاموال الا للذى

يريد به العلاء ويمتهنه * لاقرب أقربيه وللقصى

فانه وقع بين الموصول وصلته وهما كالكلمة الواحدة ولم يذكر الخليل التضمين فى العيوب وذكره الاخفش * الثالثة فيه القلب اذ المعنى ان السراب صار للاكم مثل اللثام والاصل وقد تلفعت القور بالمساقيل فقلب كما قال النابغة الجعدى رضى الله عنه

حتى لحقناهم تعدى فوارسنا * كأننا رعن قف يرفع الآلا

أى يرفعه الآل وقد اختلف فى القلب فريقان النحويون والبيانيون أما النحويون فمنهم من خصه بالضرورة وزعم انه غنى عن التأويل وهذا فاسد اذ ما من ضرورة الا ولها وجه يحاوله المضطر نص على ذلك سيبويه ومنهم من خصه بالضرورة وشرط التأويل ومنهم من أجازه فى الكلام واحتج بقوله تعالى ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة والمفاتح لا تنهض بالعصبة متثاقلة بل العصبة هى التى تنهض بها متثاقلة وبقولهم ادخلت القلنسوة فى رأسى وعرضت الحوض على الناقة وأما البيانيون فاختلفوا فى كونه مقبولا فى الكلام الفصيح فقبله قوم مطلقا ورده قوم مطلقا وفصل بعضهم فقال ان تضمن اعتبارا لطيفا قبل والا فلا فمن الاول قول رؤبة بن العجاج

ومهمه مغبرة أرجاؤه * كأن لون أرضه سماؤه

أى كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه فعكس التشبيه للمبالغة ومن الثانى قوله

فديت بنفسه نفسى ومالى * وما آلوك الا ما أطيق

قال رضى الله عنه

(يوما يظل به الحرباء مصطخدا * كأن ضاحيه بالشمس مملول)

والجملة صفة ليوما وقوله كأن ضاحيه بالشمس مملول اى كأن الحيوان الضاحى فى ذلك اليوم بمعنى البارز للشمس فيه أو كان الضاحى من الحرباء بمعنى البارز للشمس منه خبز معمول بالملة بفتح الميم قد أنضجته النار بشدة حرها فالضاحى بمعنى البارز للشمس كما تقدم ورأى ابن عمر رجلا محرما قد استظل فقال اضح لمن أحرمت واضح بكسر الهمزة وفتح الحاء كما ذكره الاصمعى وغيره وهو الصواب لانه من ضحى وان رواه المحدثون بفتح الهمزة وكسر الحاء قال الرياشى رأيت أحمد بن المعذل بالذال المعجمة فى الموقف وقد ضحى للشمس وهى شديدة الحر فقلت له هذا أمر قد اختلف فيه فلو أخذت بالتوسعة فانشد

ضحيت له كى أستظل بظله * اذا الظل أضحى فى القيامة قالصا فوا أسفى ان كان سعيى باطلا * ووا حزنى ان كان حجى ناقصا

ووهم عبد اللطيف حيث جعل القائل اضح لمن أحرمت له النبى صلى الله عليه وسلم وانما هو ابن عمر والضمير فى ضاحيه عائد لليوم أو للحرباء والاضافة بمعنى فى على الاول وبمعنى من على الثانى ومملول اسم مفعول من مللت الخبز بفتح الميم أمله بضمها من باب

يوماظرف لقوله تلفع أو للاوب أو لما فى كأن من معنى التشبيه أى ان التشبيه حاصل فى ذلك اليوم فاذا قدرت اذاظرفا للاوب أو لكأن لم يجز كون يوما ظرفا العاملهما اذلا يتعلق ظرفا مكان ولا ظرفا زمان بعامل واحد الا على سبيل التبعية فان أردت ذلك فقدر يوما بدلا من اذا والتعلق بالفعل أولى لقربه ولقوته فى العمل ويظل بالفتح مضارع ظللت بالكسر ويقال ظل يفعل اذا فعل نهارا وبات يفعل اذا فعل ليلا قالت امرأة

أظل أرعى وأبيت أطحن * والموت من بعض الحياة أهون

وتكون بمعنى صار كقوله تعالى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وهو المراد هنا والحرباء ذكر أم حبين وهو حيوان برى له سنام كسنام الجمل يستقبل الشمس ويدور معها كيفما دارت ويتلون ألوانا بحر الشمس وهو فى الظل أخضر ويكنى أبا قرة وبه يضرب المثل فى الحزامة لانه يلزم ساق الشجرة فلا يرسله الا ويمسك ساقا آخر قال أبو دواد

انى أتيح له حرباء تنضبة * لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

وجمع الحرباء حرابى والانثى حرباءة وألف حرباء للالحاق بقرطاس فلذلك ينون وتلحقه الهاء ومثله العلباء ويقال أصخد الحرباء بالصاد والدال المهملتين والخاء المعجمة اذا اتصلى بحر الشمس ويقال أيضا اصطخد وهو افتعل أبدلت تاؤه طاء كاصطبر ويقال اصطخم بالميم بمعنى انتصب قائما وبروى هنا مصطخما ويقال اصطخب بالباء بمعنى صاح قال

* ان الضفادع فى الغدران تصطخب * وصحف الاصمعى بيت ذى الرمة

* فيها الضفادع والحيتان تصطخب * فقال تصطخب بخاء معجمة فقال له أبو على الاصفهانى أى صوت للحيتان يا أبا سعيد انما هو تصطحب بالحاء المهملة أى تتجاور والجملة صفة ليوما وضاحيه ما ضحى منه للشمس أى برز وظهر قال الله تعالى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى أى لا تبرز للشمس ورأى ابن عمر رضى الله عنهما رجلا محرما قد استظل فقال له اضح لمن أحرمت له اضح بكسر الهمزة وفتح الحاء كذا ضبطه الاصمعى وغيره وأما المحدثون فيفتحون الهمزة ويكسرون الحاء من أضحى والصواب الاول وانه من ضحى قال الرياشى رأيت أحمد بن المعذل فى الموقف وقد ضحى للشمس وهى شديدة الحر فقلت له هذا أمر قد اختلف فيه فلو أخذت بالتوسعة فانشد

ضحيت له كى أستظل بظله * اذا الظل أضحى فى القيامة قالصا
فوا أسفا ان كان سعيى باطلا * ووا حزنا ان كان حجى ناقصا

أحمد بن المعذل بالذال المعجمة بصرى مالكى عالم زاهد وهو أخو عبد الصمد بن المعذل الشاعر المشهور ووقع لعبد اللطيف هنا وهمان أحدهما انه جعل القائل اضح لمن أحرمت له النبى صلى الله عليه وسلم وانما هو ابن عمر رضى الله عنهما والثانى أنه قال والمصطخم منصوب لانه خبر أضحى وليس فى البيت أضحى وانما هو خبر يظل وقوله مملول اسم مفعول من مللت الخبزة فى النار بالفتح أملها بالضم ملا اذا عملتها فى الملة بفتح الميم والملة الرماد الحار عند الاكثرين وقال أبو عبيد هى الحفرة نفسها وعلى القولين يعلم فساد قولهم أطعمنا ملة والصواب خبز ملة ويقال لذلك الخبز مملول ومليل أيضا ويقال من السآمة مللت بالكسر

ردبردا اذا عملته فى الملة بفتح الميم كما علمت وهى الرماد الحار عند الاكثرين وقال أبو عبيدة هى الحفرة نفسها وعلى القولين يعلم فساد قولهم أطعمها ملة والصواب خبز ملة وأما الملة بكسر الميم فالدين والشريعة ويقال من الملل بمعنى السآمة مللت بالكسر أمل بالفتح ملا وملالا وملالة وملة بالفتح فالملة بالفتح مشتركة وحاصل معنى البيت ان الجبال الصغار تلفعت بالسراب فى يوم يصير فيه الحرباء محترقا بالشمس كان البارز للشمس فى ذلك اليوم أو من ذلك الحيوان خبز معمول بالملة بفتح الميم وقد علمت تفسيرها

(قوله وقال للقوم الخ) أى وقد قال للقوم الخ فهو معطوف على تلفع الواقع حالا فيكون حالا أيضا وقوله حاديهم أى سائق ابلهم بالحداء وهو الغناء تنشيطا للابل على السير وهو فاعل بقال ومقول القول قوله فى آخر البيت قيلوا والمراد ان الحادى الذى من شأنه ان ينشط الابل على السير قال للقوم الذين هم أصحاب الابل قيلوا من شدة الحر اشفاقا على الابل وقوله وقد جعلت ورق الجنادب يركضن الحصى أى والحال انه قد أخذت وشرعت 76 الورق من الجنادب أو الجنادب الورق يركضن الحصى بأرجلهن من شدة الحر فلا يمكنهن التمكن عليه لكونه محمى بالحر ولا الطيران عنه لاعيائهن بتأثير الحر فيهن فالواو للحال وقد للتحقيق وجعلت بمعنى أخذت وشرعت والاضافة فى ورق الجنادب على معنى من أو من اضافة الصفة للموصوف والورق بضم الواو جمع أورق كحمر جمع أحمر والاورق هو الاخضر الذى يضرب الى السواد وقيل الورقة لون يشبه لون الرماد والجنادب جمع جندب بضم الدال وقد تفتح وهو ضرب من الجراد وقيل هو الجراد الصغير وانما يكون هذا الصنف فى القفار الموحشة القوية الحرارة البعيدة من الماء ومعنى يركضن الحصى يحركن الحصى بأرجلهن لقصد النزول بسبب الاعياء عن الطيران من شدة الحر فالركض التحريك بالرجل ومنه ركض الدابة أى تحريكها فى جنبها برجليه لتسير ثم كثر حتى جعل بمعنى حملها على السير مطلقا ومن الاصل قوله تعالى اركض برجلك وقوله قيلوا أمر من قال يقيل قيلولة وهى الاستراحة فى وقت شدة الحر وان لم يكن نوم ومنه قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا فالمعنى هنا استريحوا فى وقت شدة الحر وحاصل معنى البيت ان هذا اليوم من شدة حره كان الحادى الذى من شأنه ان ينشط الابل على السير قال للقوم والحال انه قد جعلت ورق الجنادب يحركن الحصى بأرجلهن قيلوا من شدة الحر فى القفار الموحشة البعيدة من الماء لان ورق الجنادب لا تكون الا فى تلك الاماكن فتكون هذه الناقة مع سيرها فى الحر الشديد لها صبر على العطش فى القفار الموحشة مع ضعف غيرها بعدها

أمل بالفتح ملا وملالا وملالة وملة بالفتح أيضا فالملة مشتركة وأما الملة بكسر الميم فهى الدين والشريعة والمعنى ان الآكام تلفعت بالسراب فى يوم يظل الحرباء فيه محترقا بالشمس كأن ما برز منه للشمس مملول كما تمل الخبزة فى النار قال

﴿وقال للقوم حاديهم وقد جعلت * ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا﴾

الواو عاطفة على قوله وقد تلفع فمحل المعطوف نصب بما نصب الحال المعطوف عليها والواو فى قوله وقد جعلت واو الحال وعامل الحال فعل القول أو قوله حاديهم وقال عبد اللطيف هذا البيت معطوف على قوله وقد تلفع والواو للحال فى الموضعين انتهى وهو منقول من كلام التبريزى وفيه تناقض ظاهر والورق جمع أورق وهو الاخضر الى السواد وانما يكون هذا الصنف فى القفار الموحشة القوية الحرارة البعيدة من الماء ويقال أرق بالهمزة لان الواو مضمومة ضمة لازمة ومثله وجوه واجوه ووقتت واقتت وقولنا لازمة احترازا من نحو هذا دلوا وأما الورق فى بيت الكتاب وهو أول بيت فيه وهو للعجاج

* قواطنا مكة من ورق الحمى * فجمع ورقاء وأصل الحمى الحمام فحذف الميم الثانية ثم قلبت الالف ياء وقيل بل حذفت الالف للضرورة كما تحذف الالف الممدودة فاجتمع مثلان فابدل الثانى ياء كما قالوا فى فلا وربك لا وربيك ثم كسر الميم للمناسبة ولتصحيح الروى وقيل غير ذلك والجنادب جمع جندب بضم الدال أو جندب بفتحها وهن ضرب من الجراد وقيل هى الجراد الصغير ونونه عند سيبويه زائدة اذ ليس عنده فى الكلام فعلل بضم أوله وفتح ثالثه وأثبت ذلك الاخفش فى جخدب وطحلب وألفاظ أخر فعلى قوله النون أصل ويركضن يدفعن وفى حديث الاستحاضة هى ركضة من الشيطان ومن هذا الاصل قالوا ركض الدابة يركضها ركضا لان معناه دفعها فى جنبيها برجليه لتسير ثم كثر ذلك حتى جعل بمعنى حملها على السير وان لم تدفع بالرجلين ولا غيرهما وقولهم ركضت الدابة بفتح الراء والضاد بمعنى عدت عده فى اللحن الجوهرى والحريرى وغيرهما وقالوا الصواب ركضت على بناء ما لم يسم فاعله وقال ابن سيده فى المحكم ركض الدابة يركضها وركضت هى وأباها بعضهم انتهى والصواب عندى الجواز لقولهم ركض الطائر ركضا اذا أسرع فى طيرانه قال * كأن تحتى بازيا ركاضا * وقال سلامة بن جندل يبكى على فراق الشباب

ان الشباب الذى مجد عواقبه * فيه نلذ ولا لذات للشيب

ولى حثيثا وهذا الشيب يتبعه * لو كان يدركه ركض اليعاقيب

اليعاقيب جمع يعقوب وله معنيان أحدهما ذكر القبج بفتح القاف واسكان الباء الموحدة

(قوله شد النهار الخ) أى كان ذلك وقت ارتفاع النهار فشد بفتح الشين المعجمة وتشديد الدال المهملة المفتوحة بمعنى الارتفاع فهو مصدر جعل ظرفا على تقدير مضاف وهو وقت يقال جئتك شد النهار أى وقت ارتفاعه وهو مبالغة فى شدة الحر وهو اما ظرف لاوب أو لقيلوا أو بدل من يوما فى قوله يوما يظل به الحرباء الخ وقوله ذراعا عيطل نصف خبر كأن فى قوله كأن أوب ذراعيها الخ على تقدير مضاف كما قدمناه أى كأن أوب ذراعى هذه الناقة فى هذه الحالات ٧٧ أوب ذراعى امرأة طويلة فى السن بين الشابة والكهلة وما أحسن قول الحماسى

لا تنكحن عجوزا ان دعيت لها
واخلع ثيابك منها ممعنا هربا
وان أتوك وقالوا انها نصف
فان أمثل نصفيها الذى ذهبا

واغا وصفها بالطول فى قوله عيطل وبالتوسط فى السن فى قوله نصف لان الطويلة تكون أطول ذراعا والمتوسطة فى السن تكون فى حين استكمال قوتها وبلوغ أشدها وحينئذ تكون أسرع فى الحركة وأمكن فى القوة وقوله قامت أى تلك العيطل النصف تلطم وجهها لشدة حزنها على ولدها وقوله فجاوبها نكد مثاكيل أى فتسبب عن قيامها للطم انه جاوبها فى اللطم نسوة لا يعيش أولادهن ويفقدن أولادهن كثيرا فالفاء للسببية والنكد بضم النون وسكون الكاف وبالدال المهملة جمع نكداء كحمر جمع حمراء وهى التى لا يعيش لها ولد والمثاكيل بفتح الميم وبعد الثاء المثلثة ألف ثم كاف مكسورة بعدها ياء ثم لام جمع مثكال بكسر الميم وسكون المثلثة وبعد الكاف ألف ثم لام وهى كثيرة الثكل بوزن قفل وبفتحتين وهو فقدان المرأة ولدها كما فى المختار وحاصل معنى البيت ان ذلك كان وقت ارتفاع النهار وهو مبالغة فى شدة الحر وسرعة حركة ذراعى هذه الناقة كسرعة حركة ذراعى امرأة طويلة متوسطة فى العمر قامت تلطم وجهها الحزنها على ولدها فجاوبها نسوة لا يعيش أولادهن ويفقدن أولادهن كثيرا فيشتد فعلها ويقوى ترجيع يديها عند النياحة لرؤية حزن غيرها على أولادهن وشدة لطمهن

بعدها جيم وهو الحجل بفتحتين والثانى العقاب وهو غريب ذكره بعضهم وأنشد عليه قوله

عال يقصر دونه اليعقوب * لان الحجل لا يوصف بالعلو فى الطيران وقول الفرزدق

يوما تركن لابراهيم عافية * من النسور عليه واليعاقيب

لان الحجل لا تنزل على القتلى ومعنى يركضن الحصا يقفزن عليه فيندفع بعضه الى بعض وجملة يركضن الحصا خبر لجعل ومعناه شرع كقوله

وقد جعلت اذا ما قمت يثقلنى * ثوبى فأنهض نهض الشارب الثمل

كذا أنشده النحويون ورد ذلك بعضهم وقال الصواب نهض الشارب السكر واستدل بان بعده

وكنت أمشى على رجلين معتدلا * فصرت أمشى على أخرى من الشجر

والصواب انهما قصيدتان فكل من الانشادين صحيح وقيلوا أمر من القائلة والجملة محكية بالقول قال

*شد النهار ذراعا عيطل نصف * قامت فجاوبها نكد مثاكيل*

شد النهار ارتفاعه يقال جئتك شد النهار وفى شده وكذلك شد الضحى قال عنترة

فطعنته بالرمح ثم علوته * بمهند صافى الحديدة مخذم

عهدى به شد النهار كأنما * خضب البنان ورأسه بالعظلم

المخذم بكسر الميم واعجام الخاء والذال القاطع والعظلم بكسر العين وبالظاء المعجمة شجر الكتم بفتحتين وهو الذى يصبغ به الشيب وغيره أى عهدته وقت ارتفاع النهار وقد تخضب رأسه وصدره بدمه واصله عند أبى عبيدة أشد النهار فحذفت الهمزة وزعم فى الاشد من قوله تعالى حتى اذا بلغ أشده انه جمع لاشد على حذف الزيادة وهو شد واستشهد بقولهم شد النهار فعلى هذا اشد واشد مثل قولهم للمرعى أب وأوب وهذا أحد قولى السيرافى وقال سيبويه واحدتها شدة كنعمة وأنعم وقال أبو الفتح جاء على حذف التاء كما فى نعمة وأنعم وقال المازنى جمع لا واحد له وهو الثانى من قول السيرافى وانتصاب شد النهار على الظرفية على حذف شئ فان كان الشد اسما للارتفاع كما هو المشهور فالمحذوف مضاف اى وقت ارتفاع النهار ويكون من باب قولهم جئتك صلاة العصر وان كان أصله أشد كما زعم أبو عبيدة فهو موصوف أى وقتا أشد النهار (وقوله ذراعا) خبر لكأن كما قدمنا وهو على حذف مضاف اذ المعنى كأن أوب ذراعيها فى هذه الحالات أوب ذراعى عيطل والعيطلة الطويلة والنصف التى بين الشابة والكهلة وما احسن قول الحماسى

لا تنكحن عجوزا ان دعيت لها * واخلع ثيابك منها ممعنا هربا

(قوله نواحة الخ) أي هي نواحة الخ فنواحة بالرفع خبر مبتدا محذوف تقديره هي ويصح ان يكون بالجر على انه صفة لعيطل وبالنصب على انه مفعول لفعل محذوف تقديره أعني ولا يحسن تقديره امدح لانه غير مناسب للمقام والنواحة بفتح النون وتشديد الواو بعدها ألف ثم حاء مهملة وفي آخره تاء التأنيث كثيرة النوح على ميتها فنواحة صيغة مبالغة تقتضي كثرة النوح وقوله رخوة الضبعين أي مسترخية العضدين فتكون أسرع حركة من غيرها فرخوة بكسر الراء وسكون الخاء المعجمة وفتح الواو وفي آخره تاء التأنيث بمعنى مسترخية ومعنى الضبعين بسكون الباء العضدان وهو مثنى ضبع بسكون الباء وهو العضد وجمعه اضباع على غير قياس كفرخ وأفراخ وأما الضبع بضم الباء فهو الحيوان ٧٨ المعروف وجمعه ضباع كسبع وسباع وقوله ليس لها لما نعى بكرها الناعون معقول أي ليس لتلك المرأة حين أخبرها الناعون بموت أول أولادها عقل لان أول أولادها أعز عليها من غيره وقد نعاه لها المخبرون بموته النادبون له ولم تمرضه فتسلى بتمريضه فهي مع استرخائها وسرعة حركة يديها وكثرة نياحتها ليس لها من العقل رادع يردعها ولا زاجر يزجرها ولا تحس بالاعياء والتعب فكانت نياحتها حينئذ أشد وكذلك هذه الناقة في سيرها ويؤكد ذلك قوله في البيت السادس والعشرين وهي لاهية على احدى الروايتين كما تقدم هناك فالضمير في لها يعود على المرأة الموصوفة بالصفات المذكورة ولما بمعنى حين فهي ظرف كما ذهب اليه الفارسي وقيل حرف وجود لوجود ونعى بمعنى أخبر بالموت يقال نعى ينعى نعيا مثل سعى يسعى سعيا اذا أخبر بالموت فالنعي بسكون العين خبر الموت ومثله النعي بكسر العين وتشديد الياء يقال جاء نعي فلان ونعيه أي خبر موته كما في المختار وبكرها بكسر الباء وسكون الكاف هو أول أولادها ذكرا كان أو أنثى واما البكر بفتح الباء فهو الفتى من الابل والانثى بكرة والناعون هم المخبرون بالموت النادبون له وهو جمع ناع كعافون جمع عاف ويكسر على نعاة كقضاة قال جرير نعى النعاة أمير المؤمنين لنا * يا خير من حج بيت الله واعتمرا والمعقول هنا بمعنى العقل فهو أحد المصادر التي جاءت على مفعول كمعسور وميسور ومفتون قال الله تعالى بأيكم المفتون أي الفتنة وحاصل معنى البيت ان هذه المرأة كثيرة النوح على ميتها مسترخية العضدين فيداها سريعتان في الحركة ولما أخبرها الناعون بموت أول أولادها لم يبق لها عقل فلا تحس بالاعياء والتعب فكذلك هذه الناقة لا تحس بأعياء ولا تعب في سيرها

وان أنوك وقالوا انها نصف * فان امثل نصفيها الذي ذهبا

وتصغير النصف نصيف بغير هاء لانها صفة وجمعها انصاف ويقال ايضا رجل نصف ورجال انصاف وحكى يعقوب نصفون ايضا وهو غريب لان مؤنثه لا يقبل التاء ويكون النصف جمع الناصف وهما كالخادم والخدم وزنا ومعنى والنوق النكد التي لا يعيش لهن ولد والواحدة نكدى وفي المحكم النكد من الابل الغزيرات اللبن وقيل هي التي لا يبقى لها ولد قال الكميت

ووحوح في حضن الفتاة ضجيعها * ولم يك في النكد المقاليت مشخب

انتهى ويظهر لي ان اصله للغزيرات اللبن ولهذا وصف النكد بالمقاليت وهي جمع مقلات وهي التي لا يعيش لها ولد وكل مقلات نكدى لكثرة لبنها لانها لا ترضع اذ لا ولد لها والتاء في المقلات اصل وليست للتأنيث واشتقاق المقلات عندي من القلت بفتح القاف واللام وهو الهلاك وفي الحديث المسافر وماله على قلت الا ما وقى الله وقال الشاعر

لو علمت ايثاري الذي هوت * ما كنت منها مشفيا على القلت

وهو مصدر قلت بالكسر يقلت بالفتح والمثاكيل جمع مثكال وهي الكثيرة الثكل أي التي مات لها أولاد كثيرة والمعنى كأن ذراعي هذه الناقة في سرعتها في السير ذراعا هذه المرأة في اللطم لما فقدت ولدها وجاوبها نساء فقدن اولادهن لان النساء المثاكيل اذا جاوبنها كان ذلك أقوى لحزنها وانشط في ترجيع يديها عند النياحة لمساعدة أولئك لها ونظير هذا البيت قول المثقب العبدي

كأنما اوب يديها الى * حيزومها فوق حصا الفدفد

نوح ابنة الجون على هالك * تندبه رافعة المجلد

الحيزوم والحزيم وسط الصدر وما يشد عليه الحزام والمجلد بكسر الميم قطعة من جلد تكون في يد النائحة تلطم به وجهها اقال

﴿نواحة رخوة الضبعين ليس لها * لما نعى بكرها الناعون معقول﴾

(قوله تفرى اللبان الخ) أى تقطع تلك المرأة صدرها بأنامل أصابع كفيها فلذهاب عقلها صارت تقطع صدرها بأناملها فالجملة صفة أخرى للمرأة الموصوفة بتلك الصفات وتفرى بفتح التاء من فرى يفرى و بضمها ٧٩ من أفرى يفرى يقال فريته وأفريته بمعنى واحد كما فى القاموس وقال الكسائى أفريت الاديم قطعته على جهة الافساد وفريته قطعته على جهة الاصلاح فمعناهما مختلف واللبان بفتح اللام وهو الصدر وال فيه نائبة عن الضمير والاصل لبانها أى صدرها وبكفيها متعلق بتفرى وهو على تقدير مضافين والاصل بأنامل أصابع كفيها فاندفع ما أورد عليه من ان الفرى بأنامل الاصابع لا بالكفين وقوله ومدرعها مشقق عن تراقيها رعابيل أى والحال ان قميصها مشقوق كثيرا عن عظام صدرها قطع كثيرة فالمدرع بفتح الميم وسكون الدال وفتح الراء وبالعين هو القميص وكذلك الدرع وهو مذكر كالقميص وأما درع الحديد فمؤنثة كالحلقة والمشقق المشقوق كثيرا وعن تراقيها متعلق بمشقق والتراقى جمع ترقوة بفتح التاء على وزن فعلوة وهى عظام الصدر التى تقع عليها القلادة والرعابيل كعصافير القطع جمع رعبول كعصفور وهو القطعة من الشئ ومنه رعبلت اللحم اذا قطعته وجزأته ولا يخفى ان قوله مشقق خبر اول ورعابيل خبر ثان و يصح ان يكون صفة لمشقق وحاصل معنى البيت ان هذه المرأة

نواحة مبالغة فى النائحة اسم فاعل من ناحت المرأة تنوح نوحا ونياحا وهى بالخفض صفة لعيطل او بالرفع خبر لهى محذوفة او بالنصب بتقدير امدح او اعنى والاوجه الثلاثة فى قوله رخوة وعلى الخفض فانما جاز ان تقع صفة للنكرة لان اضافتها لفظية كحسن الوجه والرخوة المسترخية والضبع بسكون الباء العضد وجمعه أضباع على غير قياس كافراخ وازناد واجمال فى قوله تعالى وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن واما المضموم الباء فالحيوان المعروف وقد يخفف وهو للانثى وجمعه ضباع كسبع وسباع واسم الذكر ضبعان كسرحان وجمعه ضباعين كسراحين ولما عند سيبويه حرف فانه قال اما لو فلما كان سيقع لوقوع غيره واما لما فهى للامر الذى وقع لوقوع غيره فجمع بينها وبين لو فى الذكر وقال ابن السراج ظرف بمعنى حين وتبعه تلميذه الفارسى وتبعه تلميذه ابن جنى وأبو طالب العبدى و بكر الام بكسر الباء اول أولادها ذكرا كان أو أنثى و يقال للام بكر وللولد أيضا قال

يا بكر بكرين ويا خلب الكبد * اصبحت منى كذراع من عضد

اى يا بكر أبوين بكرين يثبت له بهذا الوصف الصلابة والقوة ومن مجيئه ذلك فى الابل قول أبى ذؤيب الهذلى مطافيل ابكار حديث نتاجها * تشاب بماء مثل ماء المفاصل

والمراد بماء المفاصل مياه تجرى فى مواضع صلبة بين الجبال وذكر لى بعض الطلبة انه اقام مدة يسأل عن معناه فلم يجد من يعرفه وهو مشهور واما البكر بفتح الباء فهو الفتى من الابل والانثى بكرة والجمع بكار وبكارة والناعون جمع ناع وأصله الناعيون فاستثقلت الضمة على الياء المكسور ما قبلها فحذفت فالتقى ساكنان فحذفت الياء لالتقائهما ثم ضمت العين لاجل واو الجمع ومثله القاضون والرامون و يكسر على نعاة قياسا وسماعا قال جرير

نعى النعاة أمير المؤمنين لنا * يا خير من حج بيت الله واعتمرا

والمعقول العقل وهو احد المصادر التى جاءت على صيغة مفعول ومثله المعسور والميسور والمفتون فى قوله تعالى بأيكم المفتون أى الفتنة قاله الاخفش والفراء وأنكر سيبويه مجيء المصدر بزنة مفعول وتأول قولهم دعه من معسوره الى ميسوره على انه صفة لزمان محذوف أى دعه من زمان يعسر فيه الى زمان يوسر فيه وقولهم ماله معقول على معنى ماله شئ يتعقل و يلزم من انتفاء الشئ المتعقل انتفاء العقل كما يلزم من انتفاء المضروب انتفاء الضرب واما الآية فقيل الباء زائدة فى المبتدا (ومعنى البيت) ان هذه المرأة كثيرة النوح مسترخية العضدين فيهما اسرعة الحركة فلما أخبرها الناعون بموت ولدها لم يبق لها عقل فاقبلت تشقق باظافيرها منحرها وصدرها ومدرعها وتدقها بيدها كما سيأتى فى البيت بعده قال

﴿تفرى اللبان بكفيها ومدرعها * مشقق عن تراقيها رعابيل﴾

تفرى تقطع ويكون فى الذوات كهذا البيت وفى المعنى كقول زهير

ولانت تفرى ما خلقت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

تقطع صدرها بأناملها لذهاب عقلها وقميصها مشقوق كثيرا عن عظام صدرها قطعا كثيرة فلما كانت هذه المرأة مسلوبة العقل صارت لا تحس بما تلاقى من الالم فى بدنها وما تفسده من ثيابها والمراد من تشبيه الناقة بهذه المرأة فى الحالة المذكورة ان الناقة

صارت مسلوبة الادراك فلا تحس بما تلاقى من مشاق السير وهذا آخر ماذكره الناظم من أوصاف الناقة والله أعلم (قوله تسعى الوشاة الخ) هذا شروع فى القسم الرابع من أقسام الغزل وهو المتعلق بغير المحب والمحبوب بسببهما كما تقدم وتسعى مضارع سعى بمعنى وشى يقال سعى به الى السلطان اذا وشى ٨٠ او مضارع سعى اذا اسرع فى سيره ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا اتيتم الصلاة فلا تأتوها وانتم تسعون أى وانتم تسرعون فى سيركم او مضارع سعى اليه اذا أتاه ومنه قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله والوشاة جمع واش كغزاة جمع غاز وهم الذين يوشون بين المحب والمحبوب ليفسدوا بينهما سموا وشاة لانهم يشون الحديث اى يزينونه ويحسنونه أخذا من الوشى الذى هو تزيين الثياب وتحسينها وقوله جنابيها أى جنابى سعاد المتقدم ذكرها والجنابان تثنية جناب بفتح الجيم وهو فناء الشئ بكسر الفاء وماقرب من محلة القوم ويروى حواليها بدل جنابيها وهو جمع حول بمعنى جهة فالمعنى تسعى الوشاة فى جهاتها بالافساد بينه وبينها وتنفيرها عنه وهذا قد ابتلى به كثير من المحبين فيمن يحبونه فقل ان يظفر الانسان بمن يحبه الا احسد عليه وتطرقت عيون الوشاة اليه فاستمالوه عنه وان كان الصادق فى المحبة لا يصرف قلبه عمن يحبه اعراض ولا اصدود ولم تزل الناس قديما وحديثا على ذم الوشاة والتحذير منهم ولله در القائل

عندى لكم يوم التواصل دعوة
يامعشر الجلساء والندماء
اشوى كبود الحاسدين بها وأ[illegible]
سنة الوشاة واعين الرقباء وقال بعضهم

لا تسمعن من الحسود مقالة * لو كان حقا مايقول الواشى

نحن

أى ولا نت تقطع الذى تقدره فى نفسك ويجوز فى حرف المضارعة الفتح والضم يقال فريته وافريته بمعنى وقال الكسائى افريت الاديم قطعته على جهة الافساد وفريته قطعته على جهة الاصلاح واللبان بفتح اللام الصدر قال عنترة

فاز ورمن وقع القنا بلبانه * وشكا الى بعبرة وتحمحم

وال فيه نائبة عن الضمير والباء للاستعانة مثلها فى كتبت بالقلم ومدرع المرأة ودرعها قميصها وهو مذكر كالقميص واما درع الحديد فمؤنث كالحلقة يقال فى الاول درع سابغ وفى الثانى سابغة ومشقق أى مشقوق شقا كثيرا والتراقى جمع ترقوة بفتح التاء والعامة يضمونها وهو خطأ ووزنها فعلوة وهى عظام الصدر التى تقع عليها القلادة والرعابيل بالمهملتين القطع من رعبلت اللحم اذا قطعته وجزأته قال * ترى الملوك حوله مرعبله * ويقال ثوب رعابيل أى قطع وجاء فلان فى رعابيل أى فى أطمار وأخلاق والمعنى انها تضرب صدرها بكفيها مشققة الدرع تلهفا على ولدها ورعابيل صفة لمشقق أو خبر ثان والجملة الفعلية صفة أخرى لعيطل تابعة ان كان ماقبلها تابعا أو مقطوعة بالرفع والنصب سواء قدر ماقبلها تابعا أو مقطوعا أو حال من ضمير نواحة والجملة الاسمية حال أما من فاعل تفرى فان كان تفرى حالا من ضمير نواحة فالحالان متداخلان واما من ضمير نواحة فهما مترادفان والصحيح جوازه وعن متعلقة بمشقق كما تقول تشقق الكمام عن الثمرة ونظيره فى احد الوجهين ويوم تشقق السماء بالغمام قيل الباء بمعنى عن وقيل باء الآلة مثل كتبت بالقلم والمعنى مختلف قال

* تسعى الوشاة جنابيها وقولهم * انك يا ابن ابى سلمى لمقتول *

تسعى من قولهم سعى به الى السلطان سعاية اذا وشى به أو من قولهم سعى سعيا اذا عدا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون أو من قولهم سعى اليه اذا أتاه ومنه فاسعوا الى ذكر الله والوشاة جمع واش كالرماة والغزاة والقضاة والواشى اسم فاعل من وشى به يشى وشاية ووشيا اذا سعى به سموا بذلك لانهم يشون الحديث أى يزينونه ومنه سمى الوشى وشيا والجناب بفتح الجيم الفناء بكسر الفاء وماقرب من محلة القوم وجمعه اجنبة مثل قذال وأقذلة وطعام واطعمة يقال أخصب جناب القوم وساروا اجنابيه أى ناحيتيه وأما قولهم فرس طوع الجناب فانه بكسر الجيم ومعناه سهل القياد ومثل الجناب بالفتح الجنابة والجنبة معناهما أيضا الناحية يقال نزل جنبة الوادى أى ناحية منه قال الفرزدق

فبتن جنابتى مطرحات * وبت أفض مغقود الختام

وانتصاب جنابيها على الظرفية المكانية لانه مبهم لانه بمعنى الناحيتين وهذا مبهم ولا يخرجه عن الابهام اختصاصه بالاضافة كما تقول جلست مكان زيد وقعدت موضعه وزيد مكان عبد الله وموضعه وفى أمثلة سيبويه هما خطان جنابتى أنفها بالتأنيث وأورده فى صنف المبهم والابهام فيه ظاهر كما ذكرنا ونظره سيبويه بقول الاعشى

وقد ورد الكتاب والسنة بذم السعاية والمشى بالنميمة وافساد ما بين الاحبة قال تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا

ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وانما سماه الله تعالى فاسقا لانه لما نم ومشى فى السعاية خرج عن ان يكون ثقة ولذلك عتب انسان على شخص فى كلام نقل عنه فقال من أخبرك به قال الثقة قال لو كان ثقة ما نم وقد ذمه الله تعالى ونهى عن طاعته بقوله ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم ووعده بالويل فى قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة وقال صلى الله عليه وسلم أبغضكم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وهذا مرض قد ابتلى به كثير من الناس فيصير فيه طبعا مركبا وغريزة ثابتة فلا يستطيع ان يسمع حديثا الا نقله ولا مجلسا الا حكاه كما قيل

تراه يلتقط الاخبار مجتهدا * حتى اذا ما وعاها زارق ما لقطا

ووشى واش برجل الى ذى القرنين فقال ان شئت سمعنا منك ما تقول فيه على ان نسمع منه ما يقول فيك وان شئت عفونا عنك فقال العفو ولا أعود وقد جرت العادة بان من ٨١ قال لك قال عليك ومن نقل حديث غيرك اليك نقل حديثك الى غيرك وقوله وقولهم انك يا ابن أبى سلمى لمقتول عطف على قوله تسعى الوشاة الخ من قبيل عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية فالواو للعطف وجعلها بعضهم واو الحال وقولهم باشباع الميم ويروى وقيلهم باشباع الميم أيضا والقيل مصدر كالقول يقال قال قولا وقيلا ومقالا ومقالة وعلى كل فهو مبتدأ خبره جملة قوله انك لمقتول وهى عين المبتدا فى المعنى فلا تحتاج الى رابط وجملة النداء اعتراضية بين اسم ان وخبرها والمراد من ابن أبى سلمى كعب بن زهير بن أبى سلمى فقد نسبوه لجده الذى هو أبو سلمى كما فى قوله صلى الله عليه وسلم انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب وسلمى بضم السين على وزن حبلى قال علماء الحديث وليس فى العرب سلمى بضم السين غيره واللام من لمقتول

لام الابتداء وفائدتها زيادة التأكيد ومعنى مقتول متوعد بالقتل لانه صلى الله عليه وسلم أمر بقتله وأهدر دمه حيث قال من لقى كعبا فليقتله وغرضهم بذلك ارجافه وتخويفه وتضييق سبيل النجاة عليه فقد انتقل من ذكر سعى الوشاة بينه وبينها الى ذكر تخويفهم له بالقتل الذى أوعده به النبى صلى الله عليه وسلم حين أهدر دمه قبل اسلامه والحاصل ان أمر الوشاة معه يرجع الى مقصدين الاول سعيهم بينه وبينها لتنفيرها عنه وهو المعنى بقوله تسعى الوشاة جنابيها أو حواليها الثانى ارجافهم له وتخويفهم اياه واظهار الشماتة به وهو المعنى بقوله وقولهم انك يا ابن أبى سلمى لمقتول فلم يكف كعبا ما لاقاه من صد محبوبته وبعدها عنه بحيث صارت الى أرض لا يبلغها الا الناقة التى وصفها بالصفات السابقة بل تضاعف غمه وكثر همه لكون الوشاة يسعون بينه وبينها ويبعدون عنه وصلها ويخوفونه بالقتل ويشمتون به

نحن الفوارس يوم الحنو ضاحية * جنبى فطيمة لا ميل ولا عزل

وفطيمة جبل وقيل امرأة قعدت مع بناتها وقاتل قومها عنها ولم تختص الجنبتان باضافتهما الى الجبل أو المرأة بل هو باق على ابهامه لان أصله الابهام وانما عرض له الاختصاص فى التركيب بخلاف المسجد والدار مما لا ينطلق على كل موضع بل هو بأصل وضعه لمعين مخصوص ويروى حواليها وهو بمعنى جنابيها يقال قعدوا حوله وحواله وأحواله وحوليه وحواليه قال الله تعالى فلما أضاءت ما حوله وقال الشاعر * وأنا أمشى الدألى حوالكا * وقال آخر * ماء رواء ونصى حوليه * وفى الحديث اللهم حوالينا ولا علينا والعامل محذوف أى اللهم أنزل المطر حوالينا ولا تنزله علينا وقال امرؤ القيس

فقالت سباك الله انك فاضحى * ألست ترى السمار والناس أحوالى

ولم يسمع أحوال بهذا المعنى الا فى هذا البيت وضمير جنابيها أو حواليها لسعاد التى ذكر انه لا يبلغه أرضها الا العتاق المراسيل التى وصفها أى ان الوشاة يسعون اليها بوعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه وجملة تسعى الوشاة حواليها مستأنفة للتخلص للمدح أو حال من سعاد أى فارقت والحال ان الوشاة يسعون حولها وقوله وقولهم الواو للحال وما بعدها مرفوع بالابتداء والجملة بعده خبر وهى نفس المبتدا فى المعنى فلا تحتاج الى رابط ويروى بنصب ما بعد الواو على انه مصدر ناب مناب فعله مثل سبحان الله ومعاذ الله بمعنى أسبحه وأعوذ به أى يسعون ويقولون والواو على هذا واو العطف ويضعف ان تكون واو الحال حتى يقدر ان الاصل وهم يقولون لتكون الواو داخلة على الجملة الاسمية ويروى وقيلهم رفعا ونصبا يقال قال قولا وقالا وقيلا ومقالا ومقالة وفى كتاب الوقف والابتداء لابى حاتم السجستانى فى قوله تعالى وقيله يا رب انتصب قيله على المصدر وقد روى الاصمعى وغيره قول كعب رضى الله عنه وقولهم منصوبا على تقدير ويقولون قولهم ولا يجوز أن تقرأ الآية الكريمة الا بالنصب وأما من جر أو رفع فقوله بظن وتخليط انتهى ملخصا وهذا تخليط منه وجنون فان

(قوله وقال كل خليل الخ) عطف على قوله وقولهم انك الخ فهو من عطف الجملة الفعلية على الجملة الاسمية لانها ترجع فى المعنى الى الفعلية فالتقدير وقالوا انك الخ وقال كل خليل الخ فلما سمع الوعيد من الوشاة جاء لاخلائه الذين كان يأملهم للشدائد ويستجير بهم فقالوا له ماذكر يأسا من سلامته وخوفا من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ان آووه ونصروه لانه صلى الله عليه وسلم أهدر دمه واذن فى قتله لكل من لقيه ولفظة كل هنا للمبالغة كما فى قولهم اعرض كل الناس عن فلان والخليل من الخلة بالضم وهى صفاء المودة ويكون من الخلة بالفتح وهى الحاجة كما فى قول زهير وان أتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالى ولا حرم واما الخلة بالكسر فهى النبت المعروف ٨٢ ومقام الخليل مقام قبول محض ولذلك قال ابن الفارض

اخلاى أنتم أحسن الدهر أم أسى * فكونوا كما شئتم فانى أنا الخل

وجملة قوله كنت آمله صفة لخليل فهى فى محل جر أو صفة لكل فهى فى موضع رفع والاول أولى لان لفظة كل انما تدخل لافادة العموم فالمسند اليه فى الحقيقة مخفوضها والمراد كنت آمل خيره وأترجى اعانته لى فى المهمات لان الذوات لا تؤمل وجملة قوله لا الهينك بلا النافية وفى رواية لالهينك بلام القسم فى محل نصب مقول القول والتوكيد على الرواية الاولى ضرورة بخلافه على الرواية الثانية فانه مقيس والمعنى على الرواية الاولى لا اشغلنك عما أنت فيه من الخوف والفزع بأن أسهله عليك وأسليك فاعمل لنفسك فانى لا أغنى عنك شيأ وعلى الرواية الثانية والله لاجعلنك مشغولا عنى فلا تطلب منى نصرة ولا معونة والهينك بضم الهمزة من ألهى بمعنى شغل قال تعالى ألهاكم التكاثر أى شغلكم وجملة قوله انى عنك مشغول فى موضع التعليل لما قبله فان كان عمرا التعليل على طريق الاستئناف فان مكسورة الهمزة وان كان على اضمار لام التعليل فانه مفتوحة الهمزة أى لانى مشغول عنك بأمور نفسى فلا تطلب منى نصرة ولا معونة وعنك جار ومجرور متعلق بمشغول وحاصل معنى البيت ان كل صديق كان يرجوه لشدائده ويخبأه لوقت مصائبه قال له لا اشغلنك عما أنت فيه أو لاجعلنك مشغولا عنى على الروايتين السابقتين لانى مشغول عنك بامور نفسي والمشغول لا يشغل

القراءة بالجر ثابتة فى السبعة وهى قراءة حمزة وعاصم ووجهت بالعطف على الساعة وباضمار مضاف أى وعنده علم الساعة وعلم قيله وهما بعيدان وباضمار فعل القسم وحرفه ويكون ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم ولا يتعين فى قراءة النصب ماذكر من كونه مصدرا بل يجوز أن يكون على النصب بعد اضمار حرف القسم ويتم حينئذ توجيه القراءتين وان يكون عطفا على مفعول مذكور وهو سرهم ونجواهم أو محذوف معمول ليكتبون أو ليعلمون أى يكتبون ذلك ويكتبون قيله أو يعلمون الحق وقيله أو على محل الساعة وفيه بعد وأما الرفع فقراءة شاذة وهى على الابتداء ومابعده الخبر أو على الابتداء والخبر محذوف أى قسمى أو يمينى مثل أيمن الله ولعمر الله وقوله يا ابن أبى سلمى جملة معترضة بين اسم ان وخبرها ونسب بنوته لجده كقوله عليه الصلاة والسلام أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب وسلمى بضم السين قال التبريزى وليس فى العرب سلمى بالضم غيره وقوله لمقتول أى لصائر الى القتل ومثله انك ميت وانهم ميتون وفى الحديث من قتل قتيلا فله سلبه قال

وقال كل خليل كنت آمله * لا الهينك انى عنك مشغول

لما سمع هذا الوعيد التجأ الى اخوانه الذى كان يأملهم ويرجوهم فتبرؤا منه يأسا من سلامته وخوفا من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمة كل هنا للمبالغة كما تقول اعرض الناس كلهم عن فلان ومثله ولقد أريناه آياتنا كلها وكان ومعمولاها صفة لخليل فموضعها خفض أو لكل فموضعها رفع والاول أولى لان كلا انما تدخل لافادة العموم والمسند اليه بالحقيقة مخفوضها ومن ثم كان ضعيفا قوله

وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

من وجهين أحدهما استعمال الا صفة مع امكان الاستثناء وانما يحسن ذلك عند تعذره كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقولهم لو كان معنا رجل الا زيد لغلبنا اذ الاستثناء من النكرة انما يجوز اذا كانت عددا نحو له عندى عشرة الا واحدا أو موصوفة بصفة تفيد التعيين نحو جاءنى رجال جاؤك الا واحدا منهم أو كانت فى غير الايجاب نحو ماجاءنى رجل الا زيدا ولا يجوز فيما عدا ذلك لا يقال جاءنى رجال الا زيدا ولا جاءنى رجل الا

(قوله فقلت خلوا سبيلي الخ) أي فقلت للاخلاء اتركوا طريقي لاذهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأمثل بين يديه فخلوا بمعنى اتركوا لانه فعل أمر من التخلية بمعنى الترك والسبيل كالطريق وزنا ومعنى فلما أيس من نصرة أخلائه وتحقق انهم لا يغنون عنه شيأ أمرهم ان يخلوا طريقه ليذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمثل بين يديه لانه تحقق انه صلى الله عليه وسلم يقبل من جاء اليه تائبا ولا يطالب بما كان قبل الاسلام فان أخاه قد كتب اليه كتابا يخبره بذلك كما تقدم ذكره وكان ذلك قد شاع عنه صلى الله عليه وسلم في قبائل العرب فأدركته العناية الالهية لينال السعادة الابدية وشرح الله صدره للاسلام وهداه الى الصراط المستقيم وقوله لا ابا لكم باشباع الميم ذم لهم لكونهم لم يغنوا عنه شيأ ووجه كون ذلك ذما انه كناية ٨٣ عن الخسة لان نفي النسب وجهله يستلزم خسة المنفي عنه أو مدح لهم على سبيل التهكم والاستهزاء ووجه كون ذلك مدحا انه كناية عن عدم النظير لانه لو كان له أب لكان له نظير عادة وهو أخوه فكلمة لا ابا لكم تستعمل للمدح والذم ثم ان لا نافية للجنس وابا اسمها منصوب بالالف لكونه مضافا للكاف واللام زائدة لتأكيد معنى الاضافة فهي مقحمة بين المتضايفين وبحث في ذلك بانه اذا كان مضافا للكاف تعرف بالاضافة فلا تعمل فيه لا لكونها لا تعمل الا في النكرات وأجيب بأن زيادة اللام بين المتضايفين جعلت الاضافة كالعدم وقيل ان اللام أصلية والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للاب وانما لم ينون حملا للشبيه بالمضاف على المضاف وعلى كل من هذين القولين فالخبر محذوف وقيل ان الجار والمجرور هو الخبر وعلى هذا فاسم لا مفرد مبني ولكنه جاء على لغة من يقول ان أباها وأبا أباها * قد بلغا في المجد غايتاها وقوله فكل ما قدر الرحمن مفعول أي لان كل شئ قدره الرحمن من حياة أو موت أو غيرهما مفعول لا محالة فالفاء للتعليل وما نكرة موصوفة بمعنى شئ والجملة بعدها صفة ومفعول خبر كل فتيقن ان ما قدره الله له أو عليه لا بد ان يستوفيه لا محيد عنه ولا براح له عن استيفائه توفيقا لمذهب أهل الحق ومنهج الصدق قال تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر وقال تعالى وكان أمر الله قدرا مقدورا وقد أخرج أبو داود من حديث عبادة بن الصامت انه قال لابنه يا بني انك لا تجد طعم حقيقة الايمان حتى تعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما خلق الله القلم قال اكتب قال يا رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة من مات على غير هذا

عمرا والثاني انه وصف كلا وكان حقه ان يصف مخفوضها لانه المقصود والخليل فعيل من الخلة بالضم وهي الصداقة ويكون الخليل بمعنى الفقير من الخلة بالفتح وهي الحاجة وفي ذلك يقول زهير وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

وجوز واذلك في قولهم في حق أبينا ابراهيم عليه الصلاة والسلام خليل الله ان يكون بمعنى فقير الله وقوله آمله أي آمل خيره أو معونته لان الذوات لا تؤمل وقوله لا ألهينك الجملة نصب بالقول ولا نافية فالتوكيد بالنون ضرورة أو جائز في النثر على الخلاف المتقدم بخلاف التوكيد بعد لا الناهية فانه قياس ويجوز كون لا ناهية على حد قولهم لا أرينك هاهنا فالتوكيد مثله في قوله فلا يغرنك ما منت وما وعدت وقد مضى شرحه ومعنى لا ألهينك لا أشغلنك عما أنت فيه بأن أسهله عليك وأسليك فاعمل لنفسك فاني لا أغني عنك شيأ يقال لهيت عنه الهى مثل خشيت أخشى اذا انشغلت عنه بغيره وفي الحديث اذا استأثر الله بشئ فاله عنه أي تشاغل عنه وتغافل وكان ابن الزبير اذا سمع المؤذن لها عن كل ما يحضرنه فاذا أردت تعديته أدخلت عليه همزة النقل فقلت ألهيته عنه أي شغلته عنه ومنه ألهاكم التكاثر ومشغول اسم مفعول من شغله يشغله بالفتح فيهما لاجل حرف الحلق وعنك متعلق به وان ومعمولاها اما بدل من لا ألهينك كقوله تعالى أمدكم بما تعلمون أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون وقول الشاعر * أقول له ارحل لا تقيمن عندنا * واما في موضع التعليل فان كان على طريقة الاستئناف كسرت ان كما في وجه الابدال وان كان على اضمار اللام فتحت وقد مضى هذا مشروحا في شرح قوله * ان الاماني والاحلام تضليل * قال

* فقلت خلوا سبيلي لا ابا لكم * فكل ما قدر الرحمن مفعول *

لما يئس من نصرة اخلائه أمرهم ان يخلوا طريقه ولا يحبسوه عن المثول بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فيمضي فيه حكمه فان نفسه قد أيقنت ان كل شئ قدره الله تعالى فهو واقع وخلوا أمر من التخلية وهي الترك والسبيل والطريق متفقان في المعنى وفي الوزن وفي الجمع على فعل وفي جواز تخفيف عين الجمع بالاسكان والصراط مثلهما الا في الوزن ويجوز في

الثلاثة التذكير والتأنيث ومن أدلة تأنيث السبيل قوله تعالى ولتستبين سبيل المجرمين فى قراءة ابن كثير وابن عامر وأبى عمرو وحفص بتأنيث الفعل ورفع السبيل واما استدلال كثير من أهل اللغة والتفسير بقوله تعالى قل هذه سبيلى فغلط لان المراد هذه الطريقة التى أنا عليها سبيلى وليست الاشارة للسبيل ولو صح هذا الاستدلال لصح الاستدلال على ان الرحمة مذكرة بقوله تعالى قال هذا رحمة من ربى ومن أدلة تذكيره قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ولا دليل فى قراءة أبى بكر والاخوين ليستبين بالتذكير وسبيل بالرفع لان التأنيث المجازى يجوز معه تذكير الفعل المسند الى ظاهر (وقوله لا ابالكم) لا نافية للجنس واباا سمها وهو معرب والكاف والميم مضاف اليه واللام زائدة لتأكيد معنى الاضافة فلا تتعلق بشئ وأقحمت بين المتضايفين كما أقحمت بينهما فى قوله

يابؤس للحرب التى * وضعت أراهط فاستراحوا

فى معتد بها من وجه دون وجه اما وجه الاعتداد فان اسم لا التبرئة لا يضاف الى المعرفة وهذه اللام مزيلة لصورة الاضافة واما وجه عدم الاعتداد فهو ان ما قبلها معرب بدليل ثبوت الالف وانما يعرب اسم لا اذا كان مضافا أو شبيها بالمضاف هذا قول سيبويه والجمهور ويشكل عليه قولهم لا أبالى ولا يجوز ان تعرب الاسماء الستة بالاحرف اذا كانت مضافة للياء وذهب هشام وابن كيسان وابن مالك الى ان اللام غير زائدة وانها ومجرورها صفة للاب فيتعلق بكون محذوف مرفوع أو منصوب وانهم نزلوا الموصوف منزلة المضاف لطوله بصفته ولمشاركته للمضاف فى أصل معناه اذ معنى أبوك وأب لك شئ واحد ويشكل عليه ان الاسماء الستة لا تعرب بالحروف الا اذا كانت مضافة وانهم يقولون لا غلامى له فيحذفون النون ويجاب عنه بان شبيه الشئ جار مجراه وعلى القولين فيحتاج الى تقدير الخبر وذهب الفارسى وابن يسعون وابن الطراوة الى ان اللام غير زائدة وانها ومجرورها خبر فيتعلق بكون محذوف مرفوع وان اسم لا مفرد مبنى ولكنه جاء على لغة من يقول

ان أباها وأبا أباها * قد بلغا فى المجد غايتاها

ويرده أمران أحدهما أن الذى يقول جاءنى أباك بعض العرب والذى يقول لا أبا لزيد جميع العرب والثانى قولهم لا غلامى له بحذف النون (واعلم) ان قولهم لا أباله كلام يستعمل كناية عن المدح والذم ووجه الاول أن يراد نفى نظير الممدوح بنفى أبيه ووجه الثانى أن يراد انه مجهول النسب والمعنيان محتملان هنا اما الثانى فواضح لانهم لما لم يغنوا عنه شيأ أمرهم بتخلية سبيله ذا مالهم وأما الاول فعلى وجه الاستهزاء (وقوله فكل) الفاء للتعليل والمعلل الامر وما بينهما اعتراض وما بمعنى شئ أو بمعنى الذى وعائد الصلة أو الصفة محذوف وهو مفعول قدر (والرحمن) معناه الواسع الرحمة وهل هو صفة غالبة ملتحقة بالاعلام كالدبران والعيوق أو صفة محضة كالغضبان الاول اختيار الاعلم وابن مالك وعليه فهو فى البسملة بدل والرحيم صفة له أى للرحمن لا صفة لله لانه لا يتقدم البدل على النعت والثانى قول الجمهور وعليه فهو والرحيم صفتان وحينئذ يصح ايراد السؤال المشهور وهو ان يقال

فليس منى وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة والحاصل ان كعبا أدركته العناية الالهية من وجهين الاول قوة عزمه على لقاء النبى صلى الله عليه وسلم والمسير اليه كما يشير اليه قوله فقلت خلوا سبيلى لا ابالكم والثانى ركونه الى القدر واعترافه بوقوعه لا محالة كما أشار الى ذلك بقوله

فكل ما قدر الرحمن مفعول

(قوله كل ابن أنثى الخ) كل مبتدأ خبره محمول وابن مضاف اليه والمراد بالابن ما يشمل البنت وان كان لفظ الابن لا يقع في اللغة الا على الذكر واقتصر على نسبته للانثى لان لحوقه بها قطعي بخلاف لحوقه بالرجل فانه ظني ولان بعض الافراد لا أب له كعيسى عليه السلام وقوله وان طالت سلامته عطف على محذوف والتقدير ان قصرت سلامته وان طالت والجملتان في محل نصب على الحالية من ضمير محمول أي مستويا قصر سلامته وطولها لان الجملة الشرطية يجوز ان تقع حالا اذا شرط فيها الشئ ونقيضه نحو لأضربنه ان ذهب وان مكث والذي سوغ حذف الجملة الاولى التي هي ان قصرت انه اذا ثبت الحكم على تقدير طول سلامته فثبوته على تقدير قصر سلامته من باب أولى على حد زيد وان كثر ماله بخيل وان وصلية فلا جواب لها وقيل الجواب محذوف

٨٥

لم يبدئ بالوصف الابلغ وانما المألوف ان يختم به فيقال عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض ولذلك أجوبة مذكورة في موضعها افال

* كل ابن أنثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول *

يقول اذا كان كل من ولدته أنثى وان عاش زمنا طويلا سالما من النوائب فلا بد له من الموت فم الجزع يا نفس وبم تفرحون أيها الشامتون ومنه

اذا ما الدهر جرّ على أناس * كلاكله أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

وللآلة ثلاثة معان أحدها النعش ذكره الجوهري وأنشد عليه هذا البيت وما أحسن قول الشاطبي رضي الله عنه ملغزا في النعش

أتعرف شيأ في السماء نظيره * اذا سار صاح الناس حيث يسير

فتلقاه مركوبا وتلقاه راكبا * وكل أمير يعتليه أسير

يحض على التقوى ويكره قربه * وتنفر منه النفس وهو نذير

ولم يستزر عن رغبة في زيارة * ولكن على رغم المزور يزور

الثاني الحالة وعليه حمل التبريزي وغيره هذا البيت والحالة والآلة متقاربان أحرفا متماثلان وزنا ومعنى قال

قد أركب الآلة بعد الآله * واترك العاجز بالجداله

الثالث الاداة التي يعمل بها (والحدباء) تأنيث الاحدب ومعناها هنا قيل الصعبة وقيل المرتفعة ومنه الحدب من الارض وقيل انه من قولهم ناقة حدباء اذا بدت حراقيفها لان الآلة التي يحمل عليها تشبه الناقة الحدباء في ذلك واصل الحدب الميل ومنه قولهم لمن عطف على شخص حدب عليه بكسر الدال أي مال اليه وانخفض له والظرفان معمولان لخبر كل وربما يسبق الى الخاطر تعلق يوما بطالت وهو فاسد في المعنى وما بين المبتدا والخبر معترض وجواب

لدلالة خبر المبتدا عليه أي ان قصرت سلامته وان طالت فهو محمول على حد قوله تعالى وانا ان شاء الله لمهتدون ويوما ظرف لمحمول مقدم عليه أي محمول في يوم وليس متعلقا بطالت لفساد المعنى عليه وعلى آلة جار ومجرور متعلق بمحمول وحدباء من معانيها الضيقة ومن معانيها ايضا المرتفعة ومنه الحدب من الارض أي المرتفع منها والمراد بالآلة الحدباء هنا النعش سمي بذلك لضيقه أو لارتفاعه على القولين المذكورين في معنى الحدباء وقيل لصعوبة سبب مرتقاه وهو الموت وقيل اخذا من قولهم ناقة حدباء اذا بدت جوانبها لان النعش كذلك والظاهر انه سمي بذلك تشبيها بالرجل الاحدب لان العرب لم تكن تعرف الاسرة المعمولة من الخشب وانما كانوا يأخذون عصيا يربعونها تربيعا مستطيلا وينسجون وسطها بالحبال ثم يحملون عليها موتاهم والعرب في البوادي على ذلك الى الآن وهذه الآلة اذا وضع عليها الميت وثقل على الحبال برزن عن العصي من جهة السفل فاشبهت الرجل الاحدب في بروز ظهره وما أحسن قول الشاطبي ملغزا في النعش أتعرف شيأ في السماء يطير * اذا سار صاح الناس حيث يسير فتلقاه مركوبا وتلقاه راكبا * وكل امير يعتليه اسير يحض على التقوى ويكره قربه * وتنفر منه النفس وهو نذير ولم يستزر في رغبة عن زيارة * ولكن على رغم المزور يزور وحاصل معنى البيت ان كل مولود وان طالت سلامته من العوارض والآفات فلا بد من وروده حياض الموت وحمله الى الرمس وهو تراب القبر فالموت لا مخلص منه بالفرار ولا امتناع منه بالتحصن فم الجزع يا صاحب الفزع وبم تفرحون ايها الشامتون ولله در من قال وقل للشامتين بنا افيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

(قوله انبئت ان رسول الله الخ) وروى نبئت ان رسول الله الخ وهو بمعناه وكل من انبئت ونبئت بصيغة المجهول ونائب الفاعل مفعول أول وان ومعمولاها اسدت مسد الثاني والثالث لان كلا من انبأ ونبأ يطلب ثلاثة مفاعيل وترك ذكر الفاعل لانه لا يتعلق بتعيينه غرض ولان مقام الاستعطاف يناسبه تعريض الخبر بالوعيد كان تقول وروى كذا الا تحقيقه وقوله اوعدني أي بالقتل وقد تقدم ان اوعد في الشر ووعد في الخير ولذا قال بعض فصحاء العرب في دعائه يامن اذا وعد وفى واذا اوعد عفى وقوله والعفو عند رسول الله مأمول أي والحال ان العفو والصفح مرجو ومطموع فيه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اعاد ذكر رسول الله لاظهار التعظيم وللاشعار بالتفخيم ففي ذكر صريح اسمه ماليس في ضميره من التعظيم والتفخيم ولان فيه تكرار الاعتراف بالرسالة وهو مستجلب للعفو ومقتض للرضاء وروى انه صلى الله عليه وسلم لما سمع هذا البيت قال العفو عند الله مأمول اشارة الى ان أصل العفو الذي عنده من عند الله فهو الاصل وجميع ماتقدم توطئة لهذا البيت فان غرضه من القصيدة الاستعطاف واسترضاؤه عليه الصلاة والسلام واستجلاب اخلاقه الكرام وكان صلى الله عليه وسلم من ابعد الناس غضبا واسرعهم رضاء والاحاديث بحلمه صلى الله عليه وسلم واردة والاخبار والآثار بعفوه وصفحه متواترة ففي حديث عائشة وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمات الله تعالى فينتقم لذلك ٨٦ وجيء اليه صلى الله عليه وسلم برجل فقيل له هذا أراد ان يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلط علي وتصدى له صلى الله عليه وسلم غورث بن الحرث في بعض الغزوات وهو صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون فلم يتنبه صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم بالسيف في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فعفا عنه فجاء الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وجاء زيد بن شعبة قبل اسلامه يتقاضاه صلى الله عليه وسلم دينا كان عليه فجذ ثوبه اخبرت بمنكبيه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ عليه القول ثم قال انكم يابني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا كنا الى غير هذا أحوج منه تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم بقي من اجله ثلاث وأمر عمر يقضيه من ماله و يزيده عشرين صاعا لما روعه فكان ذلك سبب اسلامه الى غير ذلك من الاحاديث الصحيحة والاخبار المتواترة وقد تقرر ان العفو والصفح من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتخلق بخلقه والتمسك بسنته أمر مندوب اليه ومرغب فيه تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقد أمر الله تعالى بالعفو والصفح في قوله وليعفوا وليصفحوا وقال عز وجل فمن عفى واصلح فاجره على الله فينبغي للانسان العفو والصفح خصوصا عن صديقه فان الهفوات قد تعرض في المودات المستقيمة كما تعرض الامراض للاجسام السليمة وقد قال بعض الحكماء لاصديق لمن أراد صديقا لاعيب فيه ولله در القائل حيث يقول اقل ذا الود عثرته وقفه * على سنن الطريق المستقيمه ولا تسرع بمعتبة اليه * فقد يهفو ونيته سليمه وبالجملة فالناس لايسلمون من الهفوات ولذلك قيل من رام سليما من هفوة فقد رام من الدهر خلاف ماهو عليه (قوله فقد اتيت رسول الله الخ) عطف على انبئت الخ أي فقد جئت رسول الله حال كوني معتذرا له والحال ان العذر عند رسول الله مقبول فالواو للحال قال بعضهم والعذر عند خيار الناس مقبول * واللطف من شيم السادات مأمول

وهذا البيت اعني قوله فقد أتيت رسول الله الخ غير موجود في أكثر النسخ ولذلك لم يكتب عليه أكثر الشراح

الشرط محذوف سد مسده خبر ماقبله ومثله وانا ان شاء الله لمهتدون والواو من قوله وان قال جماعة واو الحال والصواب انها عاطفة على حال محذوفة معمولة للخبر والتقدير محتمل لوجهين أحدهما ان يكون الاصل محمول على آلة حدباء على كل حال وان طالت سلامته فيكون من عطف الخاص على العام والثاني ان يكون الاصل ان قصرت مدة سلامته وان طالت كما تقول آتيك ان أتيتني وان لم تأت ويجوز للجملة الشرطية ان تقع حالا اذا اشترط فيها الشئ ونقيضه نحو لاضربنه ان ذهب وان مكث والذي سوغ حذف الشرطية الاولى ان الثانية أبدا منافية لثبوت الحكم والاولى مناسبة لثبوته فاذا أثبت الحكم على تقدير وجود المنافي دل ثبوته على تقدير المناسب من باب أولى ودل هذا على ذلك المقدر ومتى اسقطت الواو من هذا البيت ونحوه فسد المعنى قال

﴿أنبئت أن رسول الله أوعدني * والعفو عند رسول الله مأمول﴾

جميع ماتقدم توطئة لهذا البيت فان غرضه من القصيدة التنصل والاستعطاف ومعنى انبئت

اخبرت خبرا صادقا و يروى نبئت وهو بمعناه و ترك ذكر الفاعل هنا لامرين احدهما انه لا يتعلق بتعيينه غرض ومثله اذا قيل لكم تفسحوا واذا قيل انشزوا واذا حييتم بتحية والثانى ان مقام الاستعطاف يناسبه ان لا يحقق الخبر بالوعيد بل ان يؤتى به ممرضا كما يقال روى كذا وأن وصلتها اما على تقدير الباء وهو الاصل مثل انبئهم باسمائهم نبؤنى بعلم واما سادة مسد المفعولين على تضمين انبأ ونبأ معنى اعلم وأرى والوعد فى الخير والايعاد فى الشر ولهذا قال بعض فصحاء العرب فى دعائه يامن اذا وعد وفى واذا أوعد عفا قال الشاعر

وانى اذا أوعدته أو وعدته ✽ لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

وما احسن قول ابن الفارض

متى أوعدت أولت وان وعدت لوت ✽ وان أقسمت لا تبرئ السقم برت

وانما يستعمل وعد فى الشر مقيدا كقوله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا وفى البيت اعادة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لاظهار التفخيم والتعظيم ولهذا أتى بعند ولم يات بمن لان عند أدل على التفخيم ولتقوية الرجاء لانه قد ثبت وتواتر ان الصفح من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لا يجزى بالسيئة السيئة ولكنه يعفو ويغفر ففى ذكر صريح اسمه ما ليس فى الضمير ولان فيه تكرار الاعتراف بالرسالة الذى هو مقتض للعفو ومستجاب للرضا ويذكر انه عليه الصلاة والسلام لما سمع هذا البيت قال العفو عند الله قال

﴿مهلا هداك الذى اعطاك نافلة الـ ✽ ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل﴾

هذا البيت ومابعده تتميم للاستعطاف والاستعطاف فيه من جهات احداها ما اشتمل عليه من طلب الرفق به والاناة فى أمره بقوله مهلا واصله امهالا وهو مصدر نائب عن فعله وحذف زائداه الهمزة والالف والثانى الدعاء له فى قوله هداك الذى فانه خبر لفظا ودعاء معنى ومثله غفر الله لك وصلى الله على محمد وهو ابلغ من صيغة الطلب والثالث التذكير بنعمة الله عليه ليكون ذلك ادعى الى العفو شكرا للنعمة ووجه اشتماله على التذكير بالنعمة امران أحدهما ان معنى هداك الله زادك هدى فاقتضى ذلك هدى سابقا وطلب هدى متجدد والثانى ان فى قوله نافلة القرآن اشارة الى ان الله أنعم على رسوله عليه الصلاة والسلام بعلوم عظيمة علمه اياها وجعل الكتاب زيادة له على تلك العلوم وهذا أحسن ما ظهر لى فى تفسير قوله تعالى ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن أى زيادة على العلم الذى أحسنه أى أتقن معرفته والذى دل على ارادة ذلك قوله نافلة القرآن اذ النافلة العطية المتطوع بها زيادة على غيرها ومنه قيل لما زيد على الفرض من العبادات نافلة وقال الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ولهذا أيضا سمى ابن الابن نافلة قال الله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة والرابع الاقرار بالتنزيل وما اشتمل عليه من المواعظ والتفصيل والخامس التذكير بما جاء فى التنزيل من قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين روى انها لما نزلت سأل رسول الله صلى الله عليه

(قوله مهلا هداك الخ) هذا البيت ومابعده تتميم للاستعطاف وقد التفت عن الغيبة فى البيت السابق الى الخطاب فى هذا البيت واصل مهلا امهل على امهالا فهو مصدر نائب عن فعله وحذف زائداه وهما الهمزة والالف ومعنى هداك الله زادك هدى فاقتضى ذلك هدى سابقا وهدى لاحقا وقيل المراد هداك الله للصفح والعفو عنى فيكون فى الحقيقة داعيا لنفسه وعلى كل فالجملة خبرية لفظا انشائية معنى وهو ابلغ من صيغة الطلب وقوله الذى أعطاك نافلة القرآن أى الله الذى أنزل عليك نافلة هى القرآن فالاضافة للبيان وسماه نافلة لانه زائد على العلوم النبوية التى أعطاه اياها وجعل القرآن زيادة له على تلك العلوم اذ النافلة العطية المتطوع بها زيادة على غيرها ولذلك قيل لما زاد على الفرائض من العبادات نافلة قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك وفى ذلك اعتراف بانزال القرآن من عند الله وانه ليس شعرا ولا كهانة كما زعم كفار قريش وهذا من تمام الاسلام الذى يحقن الدم ويصون عن القتل وقوله فيه أى فى القرآن وفى نسخة فيها أى فى النافلة وقوله مواعيظ وفى نسخة مواعيد وكلاهما بالتنوين للضرورة وقوله وتفصيل بالصاد المهملة أى تبيين ما يحتاج اليه من أمر المعاش والمعاد واحكام الاصول والفروع للعباد والجملة صفة للقرآن أو لنافلة القرآن أو مستأنفة كأنه قيل ما فيه أو ما فيها فقال فيه او فيها مواعيظ وتفصيل وفى ذلك تذكير بما جاء فى التنزيل كقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين روى انه لما نزلت هذه الآية سأل صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام عنها فقال لا أدرى حتى أسأل فمضى ثم رجع فقال يا محمد ان ربك يأمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك

(قوله لا تأخذني بأقوال الوشاة الخ) هذا البيت من تتمة الاستعطاف والتلطف في القول فلا وان كانت ناهية بحسب وضعها لكن المراد منها التضرع والتذلل والمعنى لا تستبح دمي بسبب أقوال الوشاة الساعين بيني و بينك بالافساد والكذب والبهتان فتعبيره عنهم بالوشاة بضم الواو والذين هم جمع واش وقد تقدم انه هو الذي يسعى بين المحب ومحبوبه بالافساد اشارة الى كذبهم وتعريضا لذمهم اذ السعاية والمشي بالنميمة وافساد ما بين الاحبة خصوصا بالزور والبهتان أمر مذموم شرعا ومرفوض عقلا وقوله ولم أذنب أي والحال انى لم أذنب ذنبا أكون مؤاخذا به لان الله هدانى للايمان والايمان يجب ما قبله من الذنب أو لم أذنب الذنب الذى قيل عنى كله وغرضه بذلك التبرى من الذنب والتنصل منه لان عدم الاعتراف بالذنب يدل على الرهبة

وسلم جبريل عنها فقال لا أدرى حتى اسأل فمضى ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق رضى الله عنه امر الله نبيه بمكارم الاخلاق قيل وليس فى التنزيل آية أجمع لمكارم الاخلاق منها قيل والمراد بالقرآن القراءة وليس بشئ وانما المراد الكتاب المنزل على الرسول المكتوب فى المصاحف المنقول عنه نقلا متواترا والاضافة فى نافلة القرآن مثلها فى اخلاق ثياب أو بمعنى فى على تقدير مضاف اى نافلة فوائد القرآن او المضاف مقحم كاقحامه فى قول لبيد

تمنى ابنتاى ان يعيش أبوهما * وهل انا الا من ربيعة أو مضر

فان حان يوما ان يموت ابوكما * فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرء الذى لا صديقه * اضاع ولا خان الصديق ولا غدر

الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

أى ثم السلام عليكما و يجوز نصب القرآن على ان يكون حذف التنوين من نافلة ليس للاضافة بل لالتقاء الساكنين كما فى قول أبى الاسود

فالفيته غير مستعتب * ولا ذاكر الله الا قليلا

وتكون نافلة حينئذ اما حالا تقدمت واما مفعولا ثانيا والقرآن بدل وقوله تفصيل أى تبيين ما يحتاج اليه من أمرى المعاش والمعاد قال

❊ لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم * أذنب وان كثرت فى الاقاويل ❊

لا تأخذنى سؤال وتضرع لا نهى وأكد بالنون كما أكد كعب بن مالك رضى الله عنه فعل الدعاء بالنون فى قوله

لاهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا

والمعنى لا تستبح دمى بأقوال من يزوق الكلام قصدا للافساد وقوله ولم أذنب تنصل والجملة حالية أى لا تأخذنى بأقوال الوشاة غير مذنب وليست الجملة معطوفة لانه خلاف

والخوف من ظهوره فانه اذا ظهر عظم خطره وكدر الخواطر ذكره فيأخذ المدعى فى ستر الذنب والتنصل منه والاعتذار عنه ويظهر الخوف من الاطلاع عليه وحينئذ فيجب قبول عذره والاغضاء عن ذنبه ولا يكشف عن باطن عذره ولا يعنف بظاهر اساءته حتى تبين جملته ولذلك لم يوبخ النبى صلى الله عليه وسلم كعبا رضى الله عنه وما أحسن قول القائل

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا
ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره
وقد أجلك من يعصيك مستترا

وبعضهم يعترف بالذنب ويقر بالتوبة فيقنع منه بظاهر التوبة ولا يكاف عذرا فيلجأ الى الكذب وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم والمعاذير فان اكثرها مفاجر وانظر الى كرم الاخلاق من يوسف عليه الصلاة والسلام حين قال له اخوته تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين اذ كان جوابه لهم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين لله در القائل حيث يقول المعنى العذر يلحقه التحريف والكذب * وليس فى غير ما يرضيك لى ارب وقد أساءت فبالنعما التى سلفت * الا مننت بعفو ماله سبب وقوله وان كثرت فى الاقاويل عطف على محذوف أى ان لم تكثر فى شأنى الاقاويل وان كثرت فالمعنى على كل حال والاقاويل جمع أقوال وهى جمع قول فهى جمع الجمع والمراد منها الاكاذيب وحاصل معنى البيت لا تستبح دمى ولا تعاتبنى فى جرمى بسبب أقوال الوشاة عنى والحال انى لم أذنب ذنبا يقتضى المؤاخذة بعد أن هدانى الله للايمان أو لم أذنب الذنب الذى قيل على كله وان كثرت فى شأنى الاكاذيب من القول

المعنى ولان الخبر لا يعطف على الطلب وأما قوله

بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم ❋ ولم تكثر القتلى بها حين سلت

فلا مانع في اللفظ من العطف لان الجملتين خبريتان وانما المانع فساد المعنى اذ المراد انهم لم يغمدوا سيوفهم في حالة انتفاء كثرة القتلى بها بل في حالة ثبوت كثرتهم وليس المراد الاخبار عنهم بقلة قتلاهم (وقوله وان كثرت) شرط حذف جوابه مدلولا عليه بقوله لا تأخذني لان المتقدم هو الجواب خلافا للمبرد وأبي زيد والكوفيين (والاقاويل) جمع أقوال والاقوال جمع قول قال

❋لقد أقوم مقاما لو يقوم به ❋ أرى وأسمع مالو يسمع الفيل❋

في هذا البيت حذف سبعة أمور أحدها جملة قسم لان لقد لا تكون الا جوابا لقسم ملفوظ نحو تالله لقد آثرك الله علينا أو مقدر نحو ولقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ويروى اني أقوم مقاما والثاني حذف مفعول أرى أي أرى مالو يراه الفيل والثالث والرابع ظرفان معمولان لارى وأسمع ان قدرا صفتين ثانية وثالثة لمقاما أي أرى به واسمع به فان قدر أرى حالا من ضمير أقوم سقط هذان الحذفان والخامس والسادس جوابان للو الثانية ولو الثالثة لان قوله في البيت بعده لظل يرعد جواب للاولى وهو دال على جواب لو الثانية المقدرة في صلة معمول أرى ولو الثالثة الواقعة في صلة مفعول أسمع والسابع مفعول يسمع وهو عائد ما وانتصاب مقاما على الظرفية المكانية والجملة بعده صفة له والرابط بينهما

(قوله لقد أقوم مقاما الخ) أي والله لقد أقوم مقاما الخ فهو جواب قسم محذوف على حد قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ويروى اني أقوم مقاما الخ والرواية الاولى هي المشهورة وهي أبلغ في المعنى لتأكيدها بالقسم المحذوف والمقام بفتح الميم ظرف مكان والمراد به مجلس النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بالقيام فيه حضوره والمعنى على المضي أي لقد حضرت وقوله لو يقوم به أي لو يحضر فيه فيقوم بمعنى يحضر وبه بمعنى فيه ووقع التنازع بين يقوم ويسمع في الفاعل وهو الفيل فايهما أعملته فيه أعطيت الآخر ضميره ووقع التنازع أيضا بين لو يقوم ولو يراه المقدر في ضمن مفعول رأى ولو يسمع الفيل في الجزاء الثاني في البيت بعده أعني قوله لظل يرعد فيجوز صرف الجزاء الى الاخير ويحكم بحذفه من الاولين ويجوز صرفه للاول ويحكم بحذفه من الاخيرين وجملة لو يقوم به مع جوابها صفة مقاما والرابط الضمير في به وأشار بذلك الى هيبة مجلسه صلى الله عليه وسلم وانه في غاية الاحترام والجلال وقد وصف سيدنا علي كرم الله وجهه مجلسه صلى الله عليه وسلم فقال اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثه ٨٩ ولا شك ان ذلك من هيبته صلى الله عليه وسلم عندهم واحترامه لديهم فلم يزل صلى الله عليه وسلم عظيم الهيبة عندهم رفيع القدر لديهم لا يزيدهم تلطفه بهم وتأنيسه لهم الا هيبة وقوله أرى مفعوله محذوف والتقدير أرى مالو يراه الفيل وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور أي لظل يرعد وليس بين أرى وأسمع تنازع في المفعول وهو مالو يسمع الفيل اذ ليس المراد أرى مالو يسمعه الفيل بل المراد أرى مالو يراه الفيل لظل يرعد وأسمع مالو يسمعه الفيل لظل يرعد وجملة أسمع معطوفة على جملة أرى بالعاطف المذكور وهو الواو ثم انه يحتمل ان جملة أرى وأسمع في محل الحال من فاعل أقوم أي لقد أقوم مقاما حال كوني أرى

١٢ بانت سعاد

فيه مالو يراه الفيل لظل يرعد وأسمع فيه مالو يسمعه الفيل لظل يرعد ويحتمل انها معطوفة على جملة أقوم بعاطف مقدر وجملة أسمع معطوفة عليها فكأنه قال لقد أقوم مقاما وأرى وأسمع الخ والمعنى على المضي أي لقد دقت ورأيت وسمعت وأشار بجملة أرى الى هيبة رؤيته صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم مهابا في نفسه محفوفا بالجلال والعظمة يهابه كل من رآه ويجله كل من لاقاه فقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم من رآه بداهة هابه ومن عاشره احبه وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه وما كنت اطيق املأ عيني منه اجلالا له ولو قيل لي صفه لما استطعت لاني لم اكن املأ عيني منه وقوله وأسمع مالو يسمع الفيل أي وأسمع الذي لو يسمعه الفيل أو شيأ لو يسمعه الفيل فما اما موصولة بمعنى الذي والجملة التي بعدها صلة أو موصوفة بمعنى شيأ والجملة التي بعدها صفة وقد عرفت ان جواب الشرط قوله في البيت بعد لظل يرعد ففي هذا البيت التضمين لتوقفه على البيت بعده في استقامة التركيب وأشار بذلك الى هيبة سماعه صلى الله عليه وسلم وكأنه يشير الى سماع القرآن فان له هيبة تلحق السامعين له عند تلاوته لعظم خطره وقوة جلالته قال الله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وقال عز وجل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله

(قوله لظل يرعد الخ) هذا جواب لو على ما تقدم فهذا البيت مرتبط بالبيت قبله ولذلك تكلم عليهما الشراح معا وظل بمعنى صار ومعنى يرعد بفتح الياء وضم العين تأخذه الرعدة وهو بالبناء للفاعل ويصح بناؤه للمفعول يقال أرعد فلان اذا أخذته الرعدة والمعنى لصار الفيل يضطرب ويتحرك من الفزع وانما خص الفيل بذلك لانه أراد التعظيم والتهويل والفيل أعظم الدواب جثة وشأنا كما قاله التبريزى وقوله الا أن يكون له من الرسول باذن الله تنويل أى الا أن يكون له من الرسول باذن الله تأمين يسكن به روعه وتثبت به نفسه فالمراد من التنويل التأمين وان كان معناه فى أصل اللغة اعطاء النوال الذى هو نعمة عظيمة ثم انه يحتمل أن يكون مضارع كان الناقصة فيكون تنويل اسمه مؤخرا وله خبره مقدما وانه مضارع كان التامة فيكون تنويل فاعله وله حال منه قد تقدم عليه وقوله من الرسول متعلق بيكون أو بتنويل ٩٠ وكذلك قوله باذن الله وحاصل معنى البيتين انى قد حضرت مجلسا هائلا ورأيت فيه أمرا عظيما وسمعت فيه كلاما عجيبا بحيث لو حضر فيه الفيل ورأى ما رأيت وسمع ما سمعت لاصابته الرعدة الا ان تحفه العناية بتأمين الرسول له وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم دخل عليه رجل فجعل يرعد فقال هون عليك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد (قوله حتى وضعت يمينى الخ) أى فوضعت يمينى الخ فحتى بمعنى الفاء وهى عاطفة على قوله لقد اقوم وما بعد حتى داخل فى حكم ما قبلها فانه كان عند وضع يمينه فى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوف منه فى غير تلك الحالة وانما خص يمينه لان الاشياء الشريفة كالاخذ والاعطاء والاكل والمصافحة تفعل باليمين والاشياء الخسيسة كالاستنجاء ومس الذكر وماشاكل ذلك تفعل باليسار ولا شك ان مصافحة النبى صلى الله عليه وسلم من أعلى الامور الشريفة وارفعها رتبة وجملة لا انازعه حال من فاعل وضعت أى حال كونى غير منازع له وغير مخالف له فى شئ اصلا بل طائعا له وراضيا بحكمه فى ولا شك ان عدم منازعته صلى الله عليه وسلم والدخول تحت أمره والانقياد لطاعته من الامور اللازمة والواجبات المتحتمة حتى ان الله قرن طاعته بطاعته حيث قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وقال عز وجل قل أطيعوا الله والرسول وقال جل من قائل من يطع الرسول فقد أطاع الله الى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب طاعته وقوله فى كف ذى نقمات أى فى كف صاحب نقمات بفتح النون وكسر القاف وهى جمع نقمة بكسر النون وسكون القاف ككلمات جمع كلمة والمراد بصاحب النقمات النبى صلى الله عليه وسلم لانه كان ينتقم من الكفار فكان شديد السطوة عليهم والاغلاظ لهم فى القول امتثالا لقوله تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وهذا لا ينافى انه رؤف رحيم

مجرور والباء وبين يقوم ويسمع تنازع فى الفاعل وهو الفيل فايهما أعملته أعطيت الآخر ضميره وقال الفراء العمل لهما معا وقال الكسائى اذا أعملنا الاول أضمرنا فى الثانى لانه اضمار بعد الذكر فى الحقيقة واذا أعملنا الثانى حذفنا فاعل الاول لانه لا يجيز ما يراه البصريون من الاضمار قبل الذكر ولا ما يجيزه الفراء من توارد العاملين على معمول واحد وعلى قوله ففى البيت حذف ثامن وليس بين أرى وأسمع تنازع فى المفعول وهو ما لو يسمع اذ ليس المراد أرى ما لو يسمعه الفيل بل المراد أرى ما لو يراه الفيل لظل يرعد وأسمع ما لو يسمعه الفيل لظل يرعد ففى البيت تضمين لان الجواب فى أول البيت الآتى قال

﴿لظل يرعد الا ان يكون له * من الرسول باذن الله تنويل﴾

اللام رابطة للجواب الذى بعدها لو وظل بمعنى صار وقوله لظل يرعد يقتضى ثبوت الفعل ودوامه ولو قال لارعد لم يقتض ذلك ويرعد مبنى للمفعول يقال أرعد فلان اذا أخذته الرعدة ولك فى اللام أربعة أوجه أحدها ان تعلقها بيكون اما على انها تامة أو على انها ناقصة وادعى انها دالة على الحدث وان أحد الظرفين الباقيين خبر والثانى ان تعلقها باستقرار محذوف منصوب اما على الخبرية على تقدير النقصان أو على الحالية على تقدير التمام أو النقصان والخبر غيرها والثالث ان تعلقها بتنويل وان كان مصدرا لانه لا ينحل لان والفعل ولهذا قالوا فى قوله

نبئت أخوالى بنى يزيد * ظلما علينا لهم فديد

ان ظلما يجوز ان يكون مفعولا لاجله عامله فديد وكثير من الناس يذهل عن هذا فيمنع تقديم معمول المصدر مطلقا وهذه الاوجه فى كل من الظرفين وحيث قدرت أحد الظرفين حالا فهو فى الاصل صفة لتنويل والتنويل العطية والمراد هنا الامان قال

﴿حتى وضعت يمينى لا أنازعه * فى كف ذى نقمات قيله القيل﴾

بالمؤمنين كما قال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وقوله قيله القيل أى قوله هو القول المعتد به لكونه نافذا ماضيا فالقيل بمعنى القول
فيهما والجملة صفة لذى نقمات المراد به النبى صلى الله عليه وسلم فلا يقول قولا من وعد أو وعيد الا يقع ولا بد وحاصل معنى البيت انه
وضع يمينه فى كف النبى صلى الله عليه وسلم صاحب الانتقامات من الكافرين الذى قوله هو القول النافذ حال كونه غير منازع له
ولا مخالف له فى شئ من الاشياء يشير بذلك الى حاله مع النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه وهو فى المسجد ووضع يده فى يده
وقال يا رسول الله ان كعب بن زهير جاء ليستأمنك تائبا مسلما فهل أنت قابله ان انا جئتك به قال نعم فقال يا رسول الله انا كعب على
ما تقدم نقله (قوله لذاك أهيب الخ) أى والله لذاك اهيب الخ فاللام واقعة فى جواب قسم مقدر لان المقام يقتضيه و يحتمل
انها للابتداء وفى نسخة فذاك بالفاء وعلى كل فاسم الاشارة عائد على ذى النقمات وهو النبى صلى الله عليه وسلم و يروى لكان بدل لذاك ومعنى اهيب أشد هيبة و يروى ارهب أى اشد رهبة أى خوفا وكل منهما افعل تفضيل مبنى من فعل المفعول على حد قولهم اشغل من ذات النحيين و بين المفضل عليه بقوله فى البيت الذى بعده من خادر وعندى ظرف لاهيب أو ارهب على الروايتين وكذلك اذ على الصواب وجملة اكلمه فى محل جر باضافة اذ اليه أى وقت كلامى اياه و يروى اذ يكلمنى أى وقت كلامه اياى وقوله وقيل عطف على اكلمه أو حال من ضميره أى واذ قيل لى او حال كونه قد قيل لى قبل ذلك وقوله انك منسوب اى انك يا كعب منسوب الى امور
صدرت منك كقولك سقاك بها المأمون ومنعك أخاك بجيرا من الاسلام وتعييرك له به وقوله ومسؤل اى عن سببها أو عن نسبك
فقد سأله صلى الله عليه وسلم عما أوشى فى حقه للنبى صلى الله عليه وسلم ليطالبه بالخروج منه وتكلم معه فى نسبه ومن أى قبيلة هو
فان قيل ما الحكمة فى سؤاله عن نسبه وأى غرض يتعلق بذلك اجيب بأن ذلك من باب التوبيخ والتقريع له اذ كان أوى الى
قبيلته التى هى مزينة لتجيره من النبى صلى الله عليه وسلم فأبت ذلك على ما تقدم ذكره وكأنه يقول من قبيلتك التى تجيرك منى ومن
قومك الذين يعصمونك منى فقد تبرؤا منك وتخلوا عنك وحاصل معنى البيت ان النبى صلى الله عليه وسلم أشد هيبة أو اشد رهبة عند
كعب رضى الله عنه وقت كلامه معه صلى الله عليه وسلم واخبر قبل ذلك بأنه منسوب له أمور صدرت منه ومسؤل عن سببها أو عن
نسبه فلذلك اشتدت عليه هيبته فى خطابه وعظم وقع كلامه فى نفسه حتى وهنت قواه ودخله الروع وعظمت به الرهبة وقد تقدم
من وصفه صلى الله عليه وسلم انه اذا تكلم اطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير

أى انقدت فوضعت يمينى فى يمينه وضع طاعة والمنازعة المجاذبة وجملة لا أنازعه حالية ونقمات
بفتح النون وكسر القاف جمع نقمة نحو كلمات وكلمة وفعلهن كضرب يضرب بدليل وما نقموا
منهم هل تنقمون منا وكعلم يعلم والقيل والقال والقول بمعنى وقد قرئ ذلك عيسى بن مريم قول
الحق وقال الحق وروى بالاوجه الثلاثة قول الشماخ

وتشكو بعين ما أكل ركابها * وقيل المنادى اصبح القوم ادلجى

وفى هذا البيت سؤال وهو أنه يقال ادلج القوم اذا ساروا أول الليل فكيف يجتمع الامر
بالادلاج مع قوله اصبح القوم والجواب انه كان ينادى مرة اصبح القوم كم تنامون ومرة
ادلجى ومعنى قوله وتشكو بعين انها تشكو بعينها رمزا وايماء لانها لا تقدر على الكلام
لاجل من حولها وما مفعول بمعنى الذى وهى واقعة على السير (وقوله قيله القيل) جملة اسمية
صفة لذى نقمات والمعنى قوله القول المعتد به لكونه نافذا ماضيا قال

لذاك أهيب عندى اذ أكلمه * وقيل انك منسوب ومسؤل

اللام للابتداء و يحتمل ان يكون قبلها قسم مقدر لان المقام يقتضيه والاشارة الى الرسول صلى
الله عليه وسلم و يروى ارهب وكلاهما اسم تفضيل مبنى من فعل المفعول كقولهم اشغل من
ذات النحيين وازهى من ديك وفصل بين افعل ومن بظرف مكان وظرف زمان وحال
وعاملهن افعل ويحتمل ان عامل الحال يكلمنى أو أكلمه على اختلاف الروايتين والحال محكية
على كل تقدير لان القول متقدم ومنسوب مسؤل عن نسبك أى لما مثلت بين يديه وكنت
قد قيل لى قبل ذلك انه باحث عنك ومسائلك عما نقل عنك حصل لى من الرهب ما حصل وفيه
تضمين اذ لا يتم المعنى الا بالبيت الذى بعده وقال التبريزى اذ اكلمه جملة فى موضع الحال
وكذا الواو فى وقيل انك منسوب والحال والتقدير لذاك أهيب عندى متكلما ومسؤلا
ومنسوبا اه ونسخه عبد اللطيف بحروفه فى كتابه وهو معترض من ثلاثة أوجه أحدها

(قوله من خادر الخ) أى من اسد خادر الخ والجار والمجرور اعنى من خادر متعلق باسم التفضيل والمجرور هو المفضل عليه والخادر بخاء معجمة وبعد الالف دال ثم راء مهملتان هو الداخل فى خدره أى اجمته وهى الشجر الملتف وانما خص الاسد اشارة الى انه أعظم الحيوانات هيبة حتى يقال ان الانسان بمجرد رؤيته لا يستطيع الفرار منه لشدة الخوف منه فان قيل ما وصف الاسد بالخادر مع ان الشجاعة تقتضى البروز اجيب بأن الاسد فى الوحوش كالملك فى الآدميين كلما كان مختفيا عن العيون كان أشد هيبة ووقعا فى النفوس ولذلك لا تزال الملوك تحتجب عن الرعية ليعظموا فى نفوسهم ولو خالطوهم لهانوا عليهم وأيضا الاسد اذا لزم الخباء ازداد توحشه فتعظم جراءته واقدامه وقوله من ليوث الاسد أى كائن من ليوث الاسد والليوث جمع ليث والاسد بضم الهمزة وسكون السين جمع اسد فان قيل الليث والاسد ٩٢ مترادفان فكيف تصح اضافة احدهما الى الآخر اذ لا معنى لقولك من أسود الاسد اجيب بثلاثة اجوبة الاول ان الليث مشترك بين الاسد وضرب من العناكب يصطاد الذباب بالوثوب فالاضافة من اضافة اللفظ المشترك الى أحد معانيه كعين الشمس الثانى ان المراد بالاسد القوية البالغة فى الشجاعة والضخامة والقوة مبلغا بحيث تكون هى الاسد بالنسبة الى غيرها من الاسود كما يقال خواص الخواص فترجع الاضافة الى اضافة العام للخاص الثالث ان الليث اسم للاسد بقيد الجلادة يقال رجل ليث اذا كان شديد الجلادة وحينئذ فيكون بين الليث والاسد مغايرة ما فكانه قال من اجلد الاسد واقواهم وقوله مسكنه من بطن عثر اى مأواه من بطن عثر بفتح العين المهملة وتشديد المثلثة

ان اذا كلمه ليس بجملة بل اذ مفرد مضاف الى جملة والثانى انه ليس فى أكلمه شئ منتصب على الحال بل اذ ظرف وأكلمه مضاف اليه ولا تكون اذ حالا أعنى متعلقة بكون منصوب هو حال لان الزمان لا يكون حالا من الجثة والثالث ان الجملة المقرونة بالواو ليس تقديرها منسوبا ومسؤولا بل مقولا لى انك منسوب ومسؤول قال

من خادر من ليوث الاسد مسكنه * من بطن عثر غيل دونه غيل

أى من ليث خادر وهو بالخاء المعجمة والدال المهملة أى داخل فى الخدر وهو الاجمة والظرف صفة لخادر ومسكنه غيل جملة هى صفة ثانية أو حال والغيل بكسر الغين المعجمة الشجر الملتف ثم انه نقل لموضع الاسد ويقال لبيت الاسد أيضا خدر وأجمة وخيس وعرين وعريس وعريسة وزأرة بفتح الزاى وسكون الهمزة اشتق اسم مكانه من اسم صوته وهو الزئير يقال زأر بالفتح يزئر بالكسر وقد يعكس والوصف من هذا زئر كفرح ومن الاول زائر كضارب قال عنترة

حلت بأرض الزائرين فأصبحت * عسرا على طلابك ابنة مخرم

أى بارض الاعداء وعثر بفتح المهملة وتشديد المثلثة اسم مكان وامتناعه من الصرف للعلمية والوزن الخاص بالفعل ونظيره من الاسماء الآتية على وزن فعل خضم لمكان قال

لولا الاله ما سكنا خضما * ولا ظللنا بالمشائى قيما

وقيل الصواب ان خضم لقب لعنبر بن عمرو بن تميم وان التقدير ما سكنا بلاد خضم أى بلاد تميم لان خضم منهم وبذر اسم ماء وشلم بالمعجمة لبيت المقدس وبقم اسم لنبت يصبغ به ووقع عثر فى شعر زهير والد كعب قال

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا * ما الليث كذب عن اقرانه صدقا

كشمر وهو اسم مكان مشهور بكثرة السباع ومن ابتدائية والجار والمجرور وقوله متعلق بمحذوف صفة خادر أى من خادر ناشئ من بطن عثر ففيه الفصل بين الصفة والموصوف باجنبى وهو مسكنه الواقع مبتدا وخبره غيل الاول والجملة صفة أخرى لخادر وغيل الثانى فاعل بالظرف قبله أو مبتدا خبره الظرف قبله والغيل بكسر الغين المعجمة الاجمة ودونه أى قريب منه وفى نسخة بعده والمعنى ان مسكنه اجمة قريبة من اجمة وذلك اشد لتوحشه وقساوته وآكد لضرره وضراوته فان قيل لم خص هذا الاسد بكونه من بطن عثر اجيب بأنه مكان معروف بالاسد لا يقال لا يكون مختفيا فى مكان داخل مكان الاشد بدا الخوف من غيره لانا نقول قد تقدم ان الاسد كالملك كلما كان مختفيا كان ابلغ فى الهيبة ومقتضى ذلك انه كلما زاد اختفاؤه اشتدت هيبته وعلم مما تقدم ان مسكن الاسد يقال له خدر وغيل ويقال له أيضا اجمة وزأرة بفتح الزاى وسكون الهمزة من الزئير وهو صوت الاسد يقال زأر يزئر بفتح الهمزة فى الماضى وكسرها فى المضارع كضرب يضرب وقد يعكس كفرح يفرح وحاصل معنى البيت انه صلى الله عليه وسلم اهيب من اسد داخل خدره اى أجمته من أجلد الاسود ناشئ من بطن عثر مسكنه اجمة يقربها أجمة اخرى فيكون اشد توحشا وأقوى ضراوة

(قوله يغدو الخ) الجملة صفة اخرى لخادر ومعنى يغدو بغين معجمة ودال مهملة يذهب في أول النهار يتطلب صيد الولديه وفي بعض الروايات يغذو بغين وذال معجمتين من غذوت الصبي باللبن اذا ربيته به وقد حصل التنازع على هذه الرواية بين يغذو وبين يلحم في ضرغامين فأعمل الثاني واضمر في الاول ضميرهما والتقدير يغذوهما ثم حذفه بخلافه على الرواية الاولى فلا تنازع فيها وانما خص ذهابه بالغدوة التي هي أول النهار على الرواية الاولى لان الحركة في أول النهار اقوى بخلافها في آخره ولان ذلك أبلغ في الضراوة من حيث انه لا يأتي الصيد ليلا وهو نائم وانما يأتيه نهارا وهو في نشاطه وقوته وقوله فيلحم ضرغامين أي فيطعمهما لحما يقال لحمته من باب نفع أي أطعمته اللحم وحكى الاصمعي الحمته فيلحم بفتح الياء والحاء على الاول وبضم الياء وكسر الحاء على الثاني والمراد بالضرغامين ولداه وهما تثنية ضرغام بكسر الضاد وسكون الراء وفتح الغين المعجمة والف ثم ميم وهو كما قال ابن الاثير الاسد الضاري الشديد الاقدام واطلاقه على ولد الاسد الذي هو الشبل باعتبار مايؤول اليه ففيه مجاز الاول فان قيل لم خص المثنى حيث قال ضرغامين ولم يقتصر على ذكر واحد ولم يزد على الاثنين أجيب بانه لم يقتصر على ذكر واحد لان في اطعام الاثنين زيادة شجاعة على اطعام الواحد بكثرة الاصطياد واما عدم زيادته على الاثنين فلعل الاثنين أكثر مايلد الاسد وقوله عيشهما لحم من القوم أي قوتهما لحم مأخوذ من القوم وهم جماعة الرجال فالمراد من عيشهما قوتهما فان قيل لم خص طعامهما بلحم الآدميين أجيب بان الآدميين أكثر مدافعة من سائر الحيوانات خصوصا وقد خص ذلك بلحم القوم الذين هم جماعة الرجال مبالغة في الشدة والقوة وقوله معفور صفة لحم أي ملقى في العفر بفتحتين وهو التراب وانما خص اللحم بكونه ياقى على التراب لان القاءه عليه دليل على عدم اكترائه به وربما دل ذلك على الشبع وعيافة اللحم لكثرته كما في قول امرء القيس يصف عقابا كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى أي انها لكثرة اصطيادها تصير قلوب الطير ملقاة حول وكرها رطبا ويابسا لعيافتها عن أكلها وقوله خراديل صفة أخرى للحم أي قطع صغار جمع خردلة وهي القطعة من الشئ يقال خردلت اللحم اذا قطعته قطعا صغارا وانما خصه بكونه قطعا صغارا لشدة جراءته ويحتمل انه يفعل ذلك من باب الحنو على اولاده ليسهل عليهم أكله وحاصل معنى البيت ان هذا الاسد يذهب في أول النهار يتطلب صيدا لولديه فيطعمهما لحما وقوتهما لحم من لحوم القوم ملقى في العفر وهو التراب قطع صغار وهذا كناية عن كونه أخوف واهيب من غيره لانه يستلزم كونه كثير الاصطياد عظيم الافتراس (قوله اذا يساور الخ) اذا شرطية ويساور فعل الشرط وجملة لا يحل له الخ جواب الشرط والجملة الشرطية بتمامها صفة أخرى لخادر ويساور بضم الياء المثناة تحت وفتح السين المهملة بعدها ألف ثم واو مكسورة وراء مهملة فعل مضارع من المساورة وهي المثاوبة التي هي مفاعلة من الجانبين لان كلا يثب على الآخر والقرن بكسر القاف وسكون الراء وبالنون في آخره المقاوم في الشجاعة أو العلم أو غيرهما وانما خص القرن اشارة الى ان هذا الاسد لا يساور

وقوله من بطن متعلق بمحذوف على انه حال من غيل وكان في الاصل صفة له ولا يتعلق بمسكنه لان أسماء الزمان وأسماء المكان وأسماء الآلات لا تعمل شيأ الا في ظرف ولا في مجرور ولا في غيرهما فان جعلت المسكن مصدرا قدرت مضافا أي مكان مسكنه من هذا المكان غيل صح ذلك وفيه تكلف ويروى ببطن فيحتمل الحالية والخبرية وغيل الثاني فاعل بالظرف لانه صفة أو مبتدأ خبره الظرف والجملة صفة لغيل أي انه في اجمة داخل اجمة وذلك أشد لتوحشه وقساوته ويروى من ضيغم من ضراء الاسد والضيغم فيعل من الضغم وهو العض قال أنشده سيبويه وقدجعلت نفسي تطيب لضغمة * لضغمهماها يقرع العظم نابها

والضراء بكسر الضاد المعجمة جمع ضار على غير قياس وانما حقه ضراة كساع وسعاة ورام ورماة وهو من قولهم ضرى بكذا اذا أولع به قال

﴿يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما * لحم من القوم معفور خراديل﴾

يصف هذا الاسد المشبه به بالضراوة ويقول يذهب هذا الاسد في أول النهار يتطلب صيدا لولديه فيطعمهما لحما ويجوز في ياء يلحم الفتح راجحا والضم مرجوحا حكى الجماعة لحمته أي أطعمته لحما وحكى الاصمعي ألحمته والحاء مضمومة اذا فتحت الياء مكسورة اذا ضممتها والعيش هنا القوت أي قوتهما لحم بني آدم معفورا أي ملقى في العفر بفتحتين وهو التراب والخراديل القطع يقال خرذلت اللحم بالذال المعجمة وبالدال المهملة اذا قطعته صغارا صغارا قال

﴿اذا يساور قرنا لا يحل له * ان يترك القرن الا وهو مجدول﴾

ضعيفا ولا جبانا وانما يساوره مقاومه فى الشجاعة ومساويه فى القوة وهذه طريقة الشجعان فى الحرب حتى ان أحدهم اذا برزله من هو دونه فى الشجاعة لا يبرزله ولا يقابله وقوله لا يحل له ان يترك القرن الا وهو مفلول أى لا يتأتى له النكوص والهرب فيمنع نفسه من ذلك حتى كانه يحرم عليه ان يترك المقاوم له الا وهو مكسور مهزوم فالمفلول بفتح الميم وسكون الفاء وضم اللام و بعد الواو الساكنة لام معناه المكسور المهزوم واصل الفل الكسر الحسى ومنه فل الحسام الذى هو السيف وهو ثلم حده قال الشاعر

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ثم استعمل فى غيره اتساعا وتجوزا و يروى الا وهو مجدول أى أى الا وهو ملقى على الجدالة وهى الارض فالمجدول بفتح الميم وسكون الجيم وضم الدال المهملة و بعد الواو الساكنة لام معناه الملقى على الجدالة وهى الارض ولا يخفى ان فى قوله ان يترك القرن اظهارا فى مقام الاضمار اذ مقتضى الظاهر ان يقول ان يتركه وحاصل معنى البيت ان هذا الاسد اذا التقى ٩٤ مع مقاوم له فى الشجاعة لا يتأتى له أن يترك هذا المقاوم له الا وهو مكسور ومهزوم او ملقى على الجدالة على اختلاف الروايتين السابقتين واذا كان بهذه الصفة كان جديرا بان يهاب لان هذه الحالة أتم حالات الشجعان وكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه لا يجوز له أن يولى عن العدو ولو كان ألوفا ولذلك لم يعرف انه صلى الله عليه وسلم ادبر يوما فى الحرب ولا ولى (قوله منه تظل الخ) أى من أجل ذلك الخادر تصير سباع ما اتسع من الاودية أو البر الواسع ساكنة ممسكة فمن تعليلية والضمير عائد على الخادر و يقرأ منه بالاشباع وتظل بمعنى تصير والسباع جمع سبع وهو فى الاصل اسم لكل حيوان كاسر ثم غلب استعماله فى الاسد والجو ما اتسع من الاودية وقيل البر الواسع و يطلق على ما بين السماء والارض يروى والضامزة بضاد معجمة و بعد الالف ميم ثم زاى وفى آخره تاء التأنيث بمعنى الساكنة الممسكة ففى القاموس ضمز يضمز و يضمز من بابى ضرب ونصر سكت ولم يتكلم فهو ضامز وضمز البعير اذا أمسك جرته فى فيه ولم يجتر اهـ و بعضهم قال ان الرواية ضامرة بالراء المهملة وفسرها بان سباع الوادى تظل جياعا العدم قدرتها على الاصطياد خوفا منه فتصير ضامرة وقوله ولا تمشى بواديه الاراجيل أى ولا تمشى فى وادى ذلك الخادر الرجال خوفا منه فتمشى بضم المثناة الفوقية وفتح الميم وتشديد الشين المعجمة بمعنى تمشى والباء بمعنى فى والضمير فى بواديه عائد على الخادر والاراجيل جمع ارجال كاناعيم جمع انعام وارجال جمع رجل كافراخ جمع فرخ ورجل اسم جمع لراجل وهو ضد الفارس كالصحب اسم جمع لصاحب وحاصل معنى البيت ان هذا الاسد من أجل هيبته وشجاعته تصير سباع ما اتسع من الوادى أو البر الواسع ساكنة ممسكة ولا تمشى فى واديه الرجال نخاف منه جنسه من السباع وغير جنسه من الرجال وهذا أعلى ما يكون من الهيبة والشجاعة

المساورة المواثبة والقرن بكسر القاف المقاوم لك فى شجاعة أو علم والسوار بتشديد الواو الوثاب المعربد ومن هنا قيل للواحد من فرسان الفرس اسوار بكسر الهمزة واسوار بضمها وجمعهما اساورة والهاء عوض من الياء كزنادقة (وقوله لا يحل له) أى لا يتأتى ذلك له حتى كانه محرم عليه وفيه تكرار الظاهر والمجدول الملقى بالجدالة وهى الارض و يروى مفلول أى مكسور مهزوم وأصل الفل الكسر الحسى قال

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

قال رحمه الله تعالى

﴿منه تظل سباع الجو ضامزة * ولا تمشى بواديه الاراجيل﴾

يصف هذا الاسد بان الاسود والرجال تخافه فالاسود ساكتة من هيبته والرجال ممتنعة عن المشى بواديه والجو البر الواسع واخطأ من فسره هنا بما بين السماء والارض وضامز بالضاد والزاى المعجمتين يقال ضمز الرجل بالفتح يضمز بالضم ضمزا اذا سكت والبعير اذا أمسك جرته فى فيه فلم يجترها وكل ساكت فهو ضامز وضموز قال الشاعر يصف حمار وحش وابنه

وهن وقوف ينتظرن قضاءه * بضاحى عذاة أمره وهو ضامز

العذاة بالعين المهملة والذال المعجمة الارض الطيبة التربة والجمع عذوات وأمره منتصب بقضاءه محذوفا وهو بدلا من قضاءه المذكور ولا ينتصب بالمذكور لان الباء ومجرورها متعلقان بينتظرن ولا يفصل المصدر من معموله وقال الراجز يصف افعى

قد سالم الحيات منه القدما * الافعوان والشجاع الشجعما

وذات قرنين ضموزا ضرزما

يروى برفع الحيات فالافعوان امابتقدير فعل محذوف أى وسالمت القدم الافعوان وامابدل من الحيات وان كان مرفوعا لفظا لانه منصوب معنى ويروى بنصب الحيات فلا اشكال فى ابدال الافعوان منه ثم قيل القدما فاعل مثنى حذفت نونه للضرورة وقيل انه جاء على نصب الفاعل والمفعول معا لامن الالباس كما يجوز رفعهما لذلك كقوله

ان من صاد عقعقا لمشوم * كيف من صاد عقعقان وبوم

وكما يجوز عكس الاعراب عند امن الالباس أيضا كقولهم كسر الزجاج الحجر وخرق الثوب المسمار وتلخص من هذا انه سمع فى اعرابى الفاعل والمفعول أربعة أوجه رفعهما ونصبهما ونصب الفاعل ورفع المفعول وعكسه وهو الوجه وماعداه لايقع الا فى الشعر أو فى شاذ من الكلام بشرط أمن الالباس وقوله تمشى بضم التاء وفتح الميم بمعنى تمشى بفتح التاء وسكون الميم قال الشاعر

وخيفاء ألقى الليث فيها ذراعه * فسرت وساءت كل ماش ومصرم

تمشى بها الدرماء تسحب قصبها * كان بطن حبلى ذات أو بين متئم

أى ورب روضة خيفاء أى مختلفة ألوان أزاهرها وكل مختلف اللون فهو أخيف والليث الاسد أى انها مطرت بنوء الاسد والماشى صاحب الماشية الكثيرة يقال أمشى ومشى بالتشديد اذا كثرت ماشيته قال

وكل فتى وان أثرى وامشى * ستخلجه عن الدنيا منون

وقياس الوصف منه ممش وقد سمع ولكن الاكثر ماش كايفع فهو يافع واينع الثمر فهو يانع وابقل المكان فهو باقل والمصرم الذى ذهبت ماشيته والمعنى فسرت هذه الروضة صاحب الماشية وساءت الذى ذهبت ماشيته ولابد من تقدير مضاف أى وكل مصرم اذفى البيت لف ونشر ولا يستقيم الابذلك والدرماء بالدال المهملة الارنب وسميت بذلك لتقارب خطاها وانما سمى دارم بن مالك دارما لان أباه سئل فى حمالة فامره أن يأتيه بخريطة فيها مال فجاء وهو يدرم تحتها من ثقلها والقصب بضم القاف واسكان الصاد المهملة المعى وفى الحديث رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار وذلك لانه أول من سيب السوائب وبحر البحائر والجمع اقصاب قال الاعشى وشاهدنا الجل والياسمين والمسمعات باقصابها

أى باوتارها وهى تتخذ من الامعاء يعنى أن الارنب تسحب بطنها فى هذه الروضة كانه بطن حبلى ذات ثقلين فى بطنها اولدان والجل فى بيت الاعشى بضم الجيم فارسى معرب والاراجيل جمع ارجال كالاناعيم جمع انعام وارجال جمع رجل كافراخ جمع فرخ ورجل اسم جمع راجل كالصحب اسم جمع صاحب قال

﴿ولا يزال بواديه اخو ثقة * مطرح البز والدرسان مأكول﴾

هذا البيت فى توسط خبر زال بمنزلة قوله

الايا اسلمى يادارمى على البلى * ولازال منهلا بجرعائك القطر

وذلك لان الظرف خبر مقدم وأخو ثقة اسم مؤخر والمراد به هنا الشجاع الواثق بشجاعته ومطرح صفة له وان كان نكرة لان اضافة مطرح ليست محضة فهو نكرة أيضا والبز بفتح

الايا اسلمى يادارمى على البلا ولازال منهلا بجرعائك القطر والضمير فى واديه عائد على الخادر السابق وقوله اخو ثقة المراد منه هنا الشجاع الواثق بشجاعته فكانه يواخى الوثوق بنفسه ويلازمه وقوله مطرح البز والدرسان أى مطروح بزه ودرسانه فطرح بضم الميم وفتح الطاء وتشديد الراء المهملة المفتوحة وبحاء مهملة فى آخره بمعنى مطروح وهو صفة لقوله اخو ثقة وان كان نكرة لان اضافة مطرح لما بعده ليست محضة فلاتفيده التعريف والبز بفتح الباء الموحدة وبالزاى المشدده المراد به هنا السلاح وان كان مشتركا بينه وبين أمتعة البزازين والدرسان بكسر الدال وسكون الراء وفتح السين المهملات وبعدها ألف ثم نون جمع درس بكسر فسكون وهو الثوب الخلق الذى قد درس فمعنى الدرسان الثياب الخلقة التى قد درست وقوله مأكول صفة أخرى لقوله اخو ثقة أى مأكول لذلك الخادر وحاصل معنى البيت ان ذلك الخادر لايزال فى واديه الشجاع المتوثق بشجاعة نفسه المطروح سلاحه وثيابه الخلقة التى قد درست والمأكول لذلك الخادر فلما اكله انطرح سلاحه وثيابه البالية وانما كانت ثيابه كذلك لانه قد قطعها

ذلك الخادر بأنيابه فهو لايمر بواديه شجاع الا أكله وطرح سلاحه وثيابه الخلقة التى مزقها فلايولع الا بالشجعان ولا يلتفت لغيرهم

(قوله ان الرسول لسيف الخ) ويروى ان الرسول لنور الخ وفى هذا البيت رجوع الى تمام مدحه صلى الله عليه وسلم بعد ان وصف الاسد الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد هيبة منه وجعله صلى الله عليه وسلم على الرواية الاولى سيفا من قبيل التشبيه البليغ كما فى قولهم زيد اسد على طريقة الجمهور وجوّز السعد ان يكون استعارة فقول التبريزى وجعله سيفا استعارة مبنى على طريقة السعد ولذلك قال ابن هشام وليس كذلك وانما يسمى مثل هذا عند أهل البيان تشبيها مؤكدا اه وهو ناظر لطريقة الجمهور وقوله يستضاء به أى يهتدى به الى الحق وقد كانت عادة العرب انهم اذا أرادوا استدعاء من حولهم من القوم شهروا السيف الصقيل فيبرق فيظهر لمعانه من بعد فيأتون اليه مهتدين بنوره ومؤتمين بهديه وكذلك النبى صلى الله عليه وسلم لما جاء بالنور المبين والمعجزات الظاهرة ودعى الناس اليه اتوا مهتدين بنوره الساطع ومؤتمين بضيائه اللامع وقوله مهند بضم الميم وفتح الهاء وتشديد النون المفتوحة وبالدال المهملة فى آخره اى منسوب الى الهند وانما نسب اليه لان سيوف الهند أحسن السيوف وقوله من سيوف الله اى من سيوف عظمها الله بنيل الظفر والانتقام وروى ان كعبا قال اولا من سيوف الهند فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيوف الله وقوله مسلول أى مخرج من غمده ولما وصل كعب الى قوله ان الرسول لسيف يستضاء به رمى صلى الله عليه وسلم عليه بردته الشريفة وبذل له فيها ٩٦ معاوية عشرة آلاف فقال كعب ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته عشرين ألفا وأخذها منهم كما تقدم والرواية الثانية اعنى قوله ان الرسول لنور الخ أحسن كما قاله ابن هشام وقد ورد فى القرآن من هذا المعنى يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فسماه الله سراجا منيرا على سبيل التشبيه لكونه يهتدى به كما يهتدى بالسراج المنير (قوله فى فتية من قريش الخ) لما مدح النبى صلى الله عليه وسلم بما تقدم أخذ فى مدح المهاجرين من الصحابة رضى الله عنهم فقال فى فتية من قريش الخ أى حال كونه كائنا أو مبعوثا فى فتية من قريش فقوله فى فتية متعلق بمحذوف حال من الرسول فى قوله ان الرسول لسيف وبعضهم جعله متعلقا بمحذوف خبرا آخر اى كائن أو مبعوث فى فتية من قريش والفتية بكسر الفاء وسكون التاء وفتح الياء وبتاء التأنيث فى آخره جمع فتى وهو السخى الكريم وان كان شابا ويروى فى عصبة وهى الجماعة من الناس ما بين العشرة والاربعين ومن قريش صفة أولى لفتية ومن بمعنى بعض وقريش قبيلة مشهورة وقد اختلف فى أبيها فذهب قوم الى انه النضر بن كنانة والراجح انه فهر بن مالك بن النضر المذكور كما قال العراقى فى السيرة أما قريش فالاصح فهر * جماعها والاكثرون النضر وانما خص قريشا بالذكر لان غالب المهاجرين كانوا منهم وقوله قال قائلهم أى قال القائل الذى هو من تلك الفتية فالجملة صفة ثانية للفتية واختلف فى ذلك القائل فقيل هو حمزة بن عبد المطلب وقيل هو عمر بن الخطاب وقوله ببطن مكة أى فى بطن مكة فالباء بمعنى فى وبطن مكة واديها وبطحاؤها ومكة اسم للبلد الحرام ويقال لها ايضا بكة بالباء بدل الميم وبهما جاء القرآن الكريم قال تعالى وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة وقال عز وجل ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وقيل بالميم الحرم كله وبالباء

الباء وبالزاى مشترك بين امتعة البزاز وبين السلاح وهو المقصود هنا والدرسان اخلاق الثياب وهو معطوف على البز وأحرفه مهملة مكسورة الاول جمع درس بالكسر أيضا وهو الدريس أى الثوب الخلق الذى قد درس ومثله فى تكسير فعل على فعلان صنو وصنوان وقنو وقنوان ومأكول صفة ثانية لاخوثقة قال

﴿ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول﴾

قال ابن دريد اشتقاق السيف من قولهم ساف ماله اى هلك لان السيف سبب للهلاك وفيه نظر لان المعروف اساف الرجل يسيف أى أهلك ماله وساف المال يسوف بالواو أى هلك حكاه يعقوب وحكى أيضا رماه الله بالسواف بالفتح أى بالهلاك وحكاه الاصمعى بالسواف بالضم واتفقا على الواو ويقال سيف مهند وهندى وهندوانى منسوب الى الهند وسيوف الهند أفضل السيوف ويستضاء به معناه يهتدى به الى الحق ويروى لنور يستضاء به وهو حسن قال التبريزى وجعله سيفا استعارة انتهى وهذا فى اصطلاح البيانيين انما يسمى تشبيها مؤكدا لا استعارة اذ شرط الاستعارة عندهم طى المشبه ويروى ان كعبا رضى الله عنه أنشد من سيوف الهند فقال النبى صلى الله عليه وسلم من سيوف الله قال

﴿فى فتية من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما أسلموا زولوا﴾

المسجد وقيل اسم لموضع الطواف خاصة وقوله لما اسلموا أى حين اسلموا فلما بمعنى حين وهى ظرف لقال وأول من أسلم خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم باتفاق ثم أسلم بعدها على بن أبى طالب ثم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد اشتراه واعتقه ثم أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثم أسلم جماعة كثيرون وقوله زولوا فعل أمر من زال التامة أى تحولوا وانتقلوا من مكة الى المدينة فهو أمر لهم بالهجرة وحين أنشد كعب هذا البيت نظر النبى صلى الله عليه وسلم الى أصحابه الكرام كالمعجب لهم من حسن مقوله وجودة شعره وكماله فى حاله وقال لهم اسمعوا أخرجه الحاكم والبيهقى وحاصل معنى البيت انه صلى الله عليه وسلم كائن أو مبعوث فى جماعة من قريش وصفة تلك الجماعة انه قال القائل منهم حين اسلموا تحولوا من مكة الى المدينة فاختاروا الهجرة من أوطانهم ليفوزوا بدينهم (قوله زالوا الخ) أى ذهبوا وهاجروا من مكة الى المدينة وهذه هى الهجرة الثانية فان الصحابة رضى الله عنهم هاجروا هجرتين الاولى الى أرض الحبشة وذلك انه لما اشتد أذى كفار قريش لمن أسلم بمكة اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن ليس له عشيرة تحميه بالهجرة الى أرض الحبشة فهاجر منهم جماعة وأقاموا فى جوار النجاشى فأحسن نزلهم وعاملهم بالكرامة وأرسلت قريش له فى طلبهم وهادوه على ذلك فلم يرض الثانية الى المدينة الشريفة وكان ابتداؤها ان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو قبائل العرب فى موسم الحج الى الله تعالى ويقول يابنى فلان انى رسول الله اليكم ان تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيأ وان تتركوا ما تعبدون من دونه وان تؤمنوا بى وتصدقونى فلم يجبه احد فاتفق انه خرج فى الموسم مرة فلقى ستة رجال من أهل المدينة وكانوا من الخزرج فعرض عليهم الاسلام وتلى عليهم القرآن فآمنوا به ٩٧ ثم انصرفوا الى المدينة فدعوا قومهم الى الاسلام

فى فتية خبرآخر او متعلق بمسلول والفتية والفتيان والفتو والفتى بضم أوله وبكسره كالعصى جمع فتى والاولان فى كتاب الله تعالى وقال لفتيته وقال لفتيانه والثالث شاذ لان أصله فتوى على فعول فكان حقهم أن يبدلوا واوه ياء ويدغموها فى الياء ومنه قول جذيمة

فى فتو أنا رابئهم * من كلال غزوة ماتوا

ونظيره فى الشذوذ قولهم فى المصدر الفتوة والمفرد الفتى وهو السخى الكريم وان كان شيخا ويروى فى عصبة وهى الجماعة من الناس ما بين العشرة الى الاربعين والظرف والجملة الفعلية صفتان لفتية أو لعصبة وهذا القائل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وزولوا انتقلوا من مكة الى المدينة يعنى بذلك الهجرة قال

﴿زالوا فما زال أنكاس ولا كشف * عند اللقاء ولا ميل معازيل﴾

فاسلم منهم خلق كثير وفشا فيهم الاسلام ثم لقى النبى صلى الله عليه وسلم فى العام الآخر اثنى عشر رجلا من الانصار فبايعهم على ان لا يشركوا بالله شيأ ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق وبعث معهم مصعب بن عمير فلما قدم المدينة دعى من بها الى الاسلام فكان ممن أسلم على يديه سعد بن

١٤ بانت سعاد

معاذ وحمل قومه على الايمان بالنبى صلى الله عليه وسلم فآمنوا به عن آخرهم وفشا الاسلام بالمدينة حتى لم يبق فيها دار من دور الانصار الا دخلها الاسلام ثم عاد مصعب الى مكة فى ثلاثة وسبعين رجلا ممن أسلم من الانصار بعضهم من الاوس وبعضهم من الخزرج فاجتمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم عند العقبة فقالوا يا رسول الله ما لنا ان قتلنا دونك قال الجنة قالوا فابسط يدك لنبايعك فبايعوه على ذلك وانصرفوا راجعين الى المدينة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بالهجرة الى المدينة فخرجوا متتابعين وأقام هو صلى الله عليه وسلم بمكة حتى يأذن له ربه فلما أذن له خرج من مكة ليلا ومعه ابو بكر الصديق واقاما بغار ثور ثلاثة ايام ثم خرجا منه وتوجها الى المدينة وأقام على بعد النبى صلى الله عليه وسلم بمكة الى ان ادى ودائع للناس كانت عند النبى صلى الله عليه وسلم وقوله فما زال انكاس اى فما تحول وانتقل ضعاف فالانكاس بفتح الهمزة معناه الضعاف جمع نكس بكسر النون وهو الرجل الضعيف وقوله ولا كشف بضم الكاف والشين المعجمة جمع اكشف وهو الذى لا ترس معه فى الحرب وكان مقتضى القياس تسكين الشين كحمر وحمر فلعل ضمها سماعى او لضرورة النظم وقوله عند اللقاء اى عند ملاقاة الاعداء وقوله ولا ميل بكسر الميم جمع اميل وهو الذى لا سيف معه او الذى لا يحسن الركوب ولا يستقر على السرج قال جرير يهجو قوما لم يركبوا الخيل الا بعدما هرموا * فهم ثقال على اكتافها ميل وقوله معازيل اى ولا معازيل فالمعنى على العطف والمعازيل بفتح الميم والعين المهملة وبعد الالف زاى مكسورة ثم ياء ساكنة ولام فى آخره جمع معزال بكسر الميم وهو الذى لا سلاح معه والمشهور فيه أعزل ومنه سمى النجم المشهور الاعزل لمقابلته النجم الآخر المسمى بالرامح لكونه فى هيئة رجل بيده رمح ويقال لهذين النجمين السماكان وما أحسن

قول المعري في ذلك لا تطلبن بغير حظ رتبة * قلم البليغ بغير حظ مغزل سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل
اى لا رمح له معه ثم ان قوله فما زال انكاس الخ كناية عن قوة شجاعتهم لانه يدل على انهم زالوا عن مكانهم وانتقلوا عن أوطانهم
ومع ذلك لم يزل عن لقاء الاعداء ومحاربتهم ضعفاؤهم ومن ليس معه ترس ولا سيف ولا سلاح فكيف بأقويائهم وأصحاب الترس
والسيف والسلاح وقيل المعنى هاجروا من مكة الى المدينة وليس فيهم من هذه صفته بل المهاجرون كلهم اقوياء ذوو اسلحة كلما
سمعوا صيحة طاروا اليها وقاموا عليها وثبتوا لديها وهذا هو الذي اقتصر عليه السيوطي (قوله شم العرانين الخ) أى هم شم
العرانين الخ فهو خبر لمبتدا محذوف والشم ٩٨ بضم الشين المعجمة جمع أشم وهو الذي في قصبة أنفه علو مع استواء اعلاه مأخوذ

زال هذه تامة معناها هنا ذهبوا وانتقلوا وهي التي بني منها الامر في البيت السابق
ومضارعها يزول وقد اجتمع الماضي والمضارع في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض
أن تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من أحد أى ما يمسكهما من أحد من بعده وأما الناقصة
فهي زال يزول ولا تقع الا بعد نفي أو نهي نحو ولا يزالون مختلفين وقول الشاعر

صاح شمر ولا تزل ذاكر المو * ت فنسيانه ضلال مبين

والانكاس جمع نكس بكسر النون وهو الرجل الضعيف المهين شبه بالنكس من السهام
وهو الذي انكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله والكشف بضمتين جمع اكشف وهو الذي
لا ترس معه في الحرب والميل جمع اميل وله معنيان كل منهما صالح هنا أحدهما الذي لا سيف
معه والثاني الذي لا يحسن الركوب ولا يستقر على السرج قال جرير يهجو قوما

لم يركبوا الخيل الا بعدما هرموا * فهم ثقال على اكفالها ميل

ومن يجوز حمل المشترك على معنييه أو على معانيه دفعة جاز عنده هنا الحمل على المعنيين معا
ووزن ميل فعل بضم أوله والكسرة عارضة لتسلم الياء ومثله عيس وبيض والمعازيل جمع
معزل وهو الذي لا سلاح معه والمشهور رجل اعزل قال

ولكن من لم يلق أمرا ينوبه * بعدته ينزل به وهو اعزل

والاصل ولكنه أي ولكن الشأن فحذفه وقالوا لاحد السماكين اللذين في السماء السماك
الاعزل لانه لا رمح معه كالسماك الرامح وما أحسن قول المعري

لا تطلبن بغير حظ رتبة * قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

ويجوز أن يكون جمع المعزال وهو الضعيف الاحمق والمعنى زالوا من بطن مكة وليس فيهم من
هذه صفته بل هم أقوياء ذوو سلاح فرسان عند اللقاء قال

*شم العرانين ابطال لبوسهم * من نسج داود في الهيجا سرابيل*

الشم جمع اشم وهو الذي في قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه والمصدر الشمم وأصله الارتفاع

من الشمم وأصله الارتفاع مطلقا
والعرانين بفتح العين جمع عرنين
بكسرها وهو الانف ثم ان قوله
شم العرانين محتمل لمعنيين
أحدهما انه اراد ان يكون في
قصبة أنوفهم ارتفاع حقيقة وهو
من الاوصاف الحميدة التي في
تكوين خلق الانسان وتدجاه
في وصف النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان أشم العرنين ثانيهما
ان يكون استعار ذلك لرفعة
القدر والعلو لانه يقال للرجل
المرتفع القدر في انفه شمم وقوله
ابطال صفة أو خبر ثان والابطال
جمع بطل بفتحتين وهو الشجاع
سمي بذلك لانه تبطل عنده دماء
خصمه وتذهب هدرا فلا يؤخذ
منه بالثار لشجاعته أولانه
تبطل فيه الحيل فلا يتوصل
اليه فوصفهم بكونهم شجعانا
ولا شك ان الشجاعة من أجل
الاوصاف التي يتمدح بها ويقع
الافتخار بسببها وقوله لبوسهم
باشباع الميم مبتدأ خبره قوله
سرابيل ومن نسج داود صفة لقوله لبوسهم وفي الهيجا متعلق بمحذوف حال من المضاف اليه وهو الضمير في لبوسهم أى مطلقا
حال كونهم في الهيجاء ويحتمل ان قوله من نسج داود خبر أول وسرابيل خبر ثان واللبوس بفتح اللام ما يلبس من السلاح والمراد
بنسج داود عليه الصلاة والسلام منسوجه وهو الدروع والهيجا بالقصر هنا ويجوز فيها المد أيضا لكن في غير النظم وهي الحرب
والسرابيل جمع سربال وهو الدرع او القميص كما في المصباح ومراده بذلك وصفهم بان لبوسهم في الحرب من اصنع الدروع وامنعها
لانه جعلها من نسج داود نبي الله عليه الصلاة والسلام ولا شك ان دروعه احكم الدروع صنعة لان تعلمه لتلك الصنعة من الله تعالى
كما قال تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون ولان الله تعالى ألان له الحديد كما قال تعالى وألنا له
الحديد ان اعمل سابغات الآية وحاصل معنى البيت أن في انوفهم ارتفاعا وانهم ذوو رفعة وعلو ومقدار وفي الحرب في غاية من الشجاعة

ومنعة من السلاح وفيه اشارة الى امتثال قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الآية فان قيل كيف مدحهم بلبس الدروع مع ان القتال دونها اعلى فى رتبة الشجاعة أجيب بان تمام الحزم الاحتراز ولذلك أمر الله تعالى بأخذ الحذر والاسلحة فى قوله تعالى خذوا حذركم واسلحتكم وقد أنكر عبد الملك بن مروان على الشاعر حين امتدحه بقوله على ابن أبى العاص دلاص حصينة * اجاد المسدى سردها فاذالها يود ضعيف القوم حمل قتانه * ويستضلع القرم الاشم احتمالها ولم يمدحه بمثل قول الاعشى فى قيس بن معديكرب واذا أتى بكتيبة مملوءة * شهباء يختشى الرائدون نهالها كنت المكرم غير لابس جنة * بالسيف تضرب معلما ابطالها وأجاب الشاعر عبد الملك بقوله يا أمير المؤمنين قد وصفتك بالحزم ووصف الاعشى صاحبه بالجنون وبالجملة فالمدح بلبس الدروع وأخذ السلاح اتم ولذلك ذهب اليه كعب رضى الله عنه فى مدح المهاجرين رضى الله عنهم (قوله بيض سوابغ الخ) البيض جمع ابيض وهى صفة اولى لسرابيل والمراد منها المجلوة الصافية المصقولة لكونهم يديمون الحرب لان الحديد مهما استعمل انجلى وصفى وانصقل ولم يركبه الصدأ والسوابغ بالسين المهملة وبالغين المعجمة جمع سابغ وهى صفة ثانية لسرابيل والمراد منها الطوال السوابل ويلزم من ذلك انهم فى غاية القوة لان الدروع اذا كانت طويلة سابلة كانت أثقل من غيرها وحملها فى الحرب مع ثقلها يدل على الشدة والقوة وقوله قد شكت بالبناء لما لم يسم فاعله ونائب الفاعل ضمير يعود على الدروع وهذه جملة فعلية وقوله لها حلق جملة اسمية فهما جملتان على هذا ويحتمل ان نائب الفاعل هو حلق ويكون الكلام جملة واحدة واللام فى لها على هذا بمعنى من أى شكت منها حلق ثم انه يروى شكت بالشين المعجمة بمعنى ادخل بعضها فى بعض وانما يكون ذلك فى الدروع المضاعفة فالشك بالشين المعجمة فى الاصل ادخال الشئ فى الشئ ويروى سكت بالسين المهملة بمعنى ضيقت فتلك الدروع قد ضيق بين حلقها فالسك بالسين المهملة الضيق ومنه اذن سكاء أى ضيقة والحلق بفتحتين على الصحيح وضبطه الاصمعى بكسر الحاء ومفردها حلقة باسكان اللام على الصحيح أيضا وضبطه أبو عمرو بالفتح وقال أبو عمرو الشيبانى ليس فى الكلام حلقة بالتحريك الا جمع حالق وقوله كأنها حلق القفعاء أى كان تلك الحلق التى هى حلق دروعهم حلق القفعاء بفتح القاف وسكون الفاء وفتح العين المهملة بعدها ألف ممدودة وهى شجر ينبسط على وجه الارض له حلق يشبه به حلق الدروع وجملة كأنها الخ صفة لحلق وقوله مجدول صفة اخرى لحلق أى مجدول كل واحدة منها فلا يرد ان الموصوف وهو حلق جمع والصفة وهى مجدول مفردة وفيه الوصف بالمفرد بعد الوصف بالجملة وهو جائز فصيح ومنه قوله تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ومعنى مجدول محكم الصنعة ففيه اشارة الى ان لهم اعتناء بآلة الحرب حيث لم يتخذوا منها الا المحكم الصنعة عزيز الوجود وحاصل معنى البيت ان دروعهم صافية مجلوة مصقولة طويلة تامة تداخل بعضها فى بعض محكمة الصنعة

مطلقا والعرانين جمع عرنين وهو الانف والابطال جمع بطل وهو الذى تبطل عنده الدماء وتذهب هدرا ولا يدرك عنده بالثار وقيل الذى تبطل فيه الحيل فلا يوصل اليه واللبوس بفتح اللام اللباس قال * البس لكل حالة لبوسها * والمراد به هنا ما يلبس من السلاح والنسج المنسوج وداود النبى عليه الصلاة والسلام ومنسوجه الدروع قال قتادة كانت الدروع قبله صفائح وهو أول من سردها وحلقها فجمعت للخفة والتحصين والسرابيل جمع سربال والظرف صفة لسرابيل قدم عليه فانتصب على الحال قال

* بيض سوابغ قد شكت لها حلق * كأنها حلق القفعاء مجدول *

بيض سوابغ صفتان لسرابيل ومعنى بيض مجلوة صافية ومعنى سوابغ طوال تامة ومفردهما أبيض وسابغ لان السربال مذكر وفاعل يجمع على فواعل فى مسائل منها ان يكون صفة لما لا يعقل كقوله * لنا قمراها والنجوم الطوالع * وأصل الشك ادخال الشئ فى الشئ ومنه قوله * فشككت بالرمح الطويل ثيابه * والمراد به هنا ادخال بعض الحلق فى بعض وانما يكون ذلك فى الدروع المضاعفة ويروى سكت بالسين المهملة أى ضيقت يعنى ان حلق الدرع قد ضويق بينها او السكك الضيق ومنه اذن سكاء أى ضيقة من قولهم استكت الاذن اذا استدت وقيل انما الاذن السكاء التى لا يبين لها اتنوء كآذان الطير والجملة الفعلية صفة ثالثة لسرابيل والاسمية صفة لحلق والحلق بفتحتين جمع حلقة بالاسكان على غير قياس هذا هو الصحيح وخالفه الاصمعى فى الجمع فقال حلق بكسر الحاء كبدرة وبدر وقصعة وقصع

(قوله لا يفرحون اذا نالت الخ) أى لا يحصل فرح ولا سرور لهم اذا أصابت رماحهم الاعداء وغلبوهم بأن ذلك من عادتهم بكونهم يكثرون الظفر بالاعداء والفرح انما يكون بالشئ النادر القليل الوقوع فنالت بمعنى أصابت و رماحهم باشباع الميم والرماح معروفة وتقدم ان القوم هم الجماعة من الرجال وقوله وليسوا مجازيعا اذا نيلوا أى وليسوا كثيرين الجزع والخوف اذا اصيبوا وغلبوا الجلدهم وصبرهم على الحرب فاذا غلبهم العدو فلا يجزعون ولا يمنعهم ذلك من ملاقاته مرة ثانية خوفا فمجازيعا بفتح الميم وبالجيم وبزاى معجمة وبالياء الساكنة وعين مهملة جمع مجزاع وهو كثير الجزع والخوف وهو هنا مصروف

١٠٠

للضرورة ومعنى نيلوا اصيبوا وحاصل معنى البيت انهم اذا غلبوا عدوهم لا يفرحون بذلك لكونه من عادتهم التى تقع لهم كثيرا واذا غلبهم العدو لا يجزعون من لقائه ثانيا (قوله يمشون مشى الجمال الخ) أى يمشون مشيا مثل مشى الجمال الخ فمشى نائب عن صفة مصدر محذوف وهو مبين للنوع وغرضه بذلك وصفهم بامتداد القامة وعظم الخلق والرفق فى المشى وبياض البشرة وذلك دليل على الوقار والسود دفهم سادات لا عبيد وعرب لا اعراب وقوله الزهر صفة للجمال وهو بضم الزاى جمع ازهر وهو الابيض وقوله يعصمهم ضرب أى يمنعهم ويحميهم من الاعداء ضربهم اياهم بالسيوف والرماح لا التحصن بالحصون والقلاع وقوله اذا عرد أى وقت ان فر واعرض فاذا بمعنى وقت وقد تنازع فيه يمشون ويعصمهم وعرد بفتح العين المهملة وتشديد الراء وفى آخره دال مهملة ومعناه فر واعرض وهذا هو المناسب هنا وامارواية غرد بالغين المعجمة بمعنى اطرب بالرجز والشعر فلا معنى لها هنا كما قاله ابن هشام فى شرحه وقوله السود جمع أسود وقوله التنابيل بفتح المثناة الفوقية ثم نون ثم ألف بعدها باء موحدة مكسورة وياء مثناة تحتية ساكنة ولام فى آخره جمع تنبال كتمساح وهو القصير وحاصل معنى البيت انهم يمشون الى الحرب كمشى الجمال البيض ويمنعهم من الاعداء ضربهم لهم وقت فرار القوم ومن لازم ذلك كمال شجاعتهم وغاية رسوخهم فى أمر المحاربة

وخالف أبو عمرو فى المفرد فقال حالقة بالفتح وقال أبو عمرو الشيبانى ليس فى الكلام حلقة بالتحريك الا جمع حالق والقفعاء بقاف بعدها فاء بعدها عين مهملة شجر ينبسط على وجه الارض يشبه حلق الدروع والجدول المحكم الصنعة وفيه تقديم الوصف بالجملة على الوصف بالمفرد وهو جائز فصيح ومنه قوله تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين هذا هو الصحيح قال

﴿لا يفرحون اذا نالت رماحهم * قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا﴾

يقول اذا ظفروا بعدوهم لم يظهر عليهم الفرح واذا ظهر عليهم العدو لم يحصل لهم الجزع يصفهم بالشجاعة وكبر الهمة وشدة الصبر وقلة المبالاة بالخطوب والمجازيع جمع مجزاع وهو الكثير الجزع وصرفه للضرورة قال

﴿يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم * ضرب اذا عرد السود التنابيل﴾

يصفهم بامتداد القامة وعظم الخلق وبياض البشرة والرفق فى المشى وذلك دليل على الوقار والسودد والزهر جمع ازهر وهو الابيض يعنى انهم سادات لا عبيد وعرب لا اعراب ومشى مصدر مبين للنوع وهو فى الاصل نائب عن صفة مصدر محذوف أى مشيا مثل مشى ويعصمهم يمنع ومنه سآوى الى جبل يعصمنى من الماء والجملة حال والمعنى يحميهم من أعدائهم ويكفهم عنهم ضرب وعرد مهملة الاحرف أى فر وأعرض قال التبريزى ومن روى غرد يعنى بالغين المعجمة اراد طرب انتهى ولا معنى لهذه الرواية والسود جمع أسود والتنابيل القصار والمفرد تنبال والتاء فيه زائدة وهو أحد ما جاء من الاسماء على تفعال بالكسر كالتمساح والاكثر تمسح بالقصر والتبراك والتعشار لموضعين والتلقاء والتقصار للقلادة الشبيهة بالمخنقة ويقال تقصارة أيضا والجمع تقاصير واذا كان التفعال مصدرا فهو بفتح الاول لا غير كالتجوال والتطواف الا كلمتين التبيان والتلقاء قال الله تعالى تبيانا لكل شئ وتقول لقيته تلقاء أى لقاء وأما قوله تعالى تلقاء أصحاب النار فهو من باب الاسماء وانتصابه على الظرف وقد خطئ من ينشد قوله وما زال تشرابى الخمور ولذتى * وبيعى وانفاقى طريفى ومتلدى بكسر التاء ويقال انه عرض بهذا البيت بالانصار رضى الله تعالى عنهم وان سبب ذلك انهم كانوا احراصا على قتله ويقال انه شبب بام هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها وأراد ببعض الانصار

(قوله لا يقع الطعن الخ) أى لا يقع طعن القوم لهم فى ظهورهم بل فى نحورهم اذ لا ينهزمون حتى يقع الطعن فى ظهورهم بل يقدمون على أعدائهم فلا يقع الطعن الا فى صدورهم فعنى نحورهم باشباع الميم صدورهم وقوله وما لهم عن حياض الموت تهليل ويروى فما لهم بالفاء أى ليس لهم من الامكنة التى فيها مجتمع الموت كحيضان الماء التى فيها مجتمعه تهليل أى تأخر فالحياض بالضاد المعجمة جمع حوض بمعنى الامكنة التى فيها مجتمع الموت كحيضان الماء ويروى ١٠١ حياص الموت بالصاد المهملة جمع حوص بمعنى مضائقه وشدائده وجملة وما لهم الخ اما معطوفة على الجملة الفعلية أو حالية من الضمير فى نحورهم أو معترضة للمدح وقد روى انه لما أنشد كعب هذا البيت نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من كان بحضرته من قريش كانه يومى اليهم ان اسمعوا ويؤخذ من هذا ومن نظيره فيما تقدم استحباب سماع هذه القصيدة لما اشتملت عليه من نعوت الحضرة النبوية وأوصاف أصحابه المرضية وغيرها من الفضائل البهية والشمائل السنية ومعرفة القواعد العربية والفوائد الادبية ويوجد فى نسخ المتن بيتان ليسا من كلام الناظم وهما

اقبل له يا خير حاف بل ومنتعل
فالهم مجتمع والقلب مشغول

تكون للآل والاصحاب قد جمعت
فكلهم لى محبوب وموصول

ولم يكتب عليهما ما بأيدينا من الشراح لكونهما ليسا من كلام من فاز بالفلاح وقد ختم كلامه فى المبنى بما يناسب ابتداءه فى المعنى فانه قد ابتدأه

الانصار قبله ويروى أن المهاجرين رضى الله عنهم لما سمعوا هذا البيت قالوا ما مدحنا من هجا الانصار فدحهم رضى الله عنهم أجمعين قال

* لا يقع الطعن الا فى نحورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل *

وصفهم بانهم لا ينهزمون فيقع الطعن فى ظهورهم بل يقدمون على أعدائهم فيقع الطعن فى نحورهم وروى انه لما أنشد هذا البيت نظر عليه الصلاة والسلام الى من كان بحضرته من قريش كانه يومئ اليهم ان اسمعوا ومثل هذا البيت قول الحصين بن الحمام

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل ان أتقدما

فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

يروى تقطر بالمثناة من فوق فالدما اما مفعول لانه يقال قطر الدم وقطرته والمعنى تقطر الكلوم الدم واما تمييز على ان الالف واللام زائدة كقوله

رأيتك لما ان عرفت وجوهنا * صددت وطبت النفس ياقيس عن عمرو

ويروى بالمثناة من أسفل فالدما فاعل استعمله مقصورا وهو الاصل فيه وعليه قيل فى التثنية دميان قال

فلو انا على حجر ذبحنا * جرى الدميان بالخبر اليقين

ولكن الاستعمال الكثير بحذف لامه فى الافراد والتثنية وتهليل مصدر هلل عن الشئ اذا تأخر عنه يقول لا يتأخرون عن حياض الموت اذا تأخر غيرهم عنها ونكص وعن متعلقة بالتهليل وان كان مصدرا وقد مضى القول فى ذلك غير مرة وهذا آخر ما لخصته فى شرح هذه القصيدة المباركة وقد تطفلت بشرحها على كرم الممدوح فيها صلى الله عليه وسلم وبه أستشفع الى ربى أن يصلح قلبى ويغفر ذنبى وينجح قصدى ويوفر من احسانه جدى وان يغفر زلتى ويصلح لى فى ذريتى وان يفعل ذلك بى وباحبابى وبجميع أهلى بمنه وكرمه والحمد لله أولا وآخرا والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين (قال المصنف) تغمده الله بالرحمة والرضوان وأسكنه أعلى فراديس الجنان وافق الفراغ من ذلك الثامن عشر من رجب الفرد سنة ست وخمسين وسبعمائة

وحسبنا الله ونعم
الوكيل

بذكر الفراق وختمه بذكر الموت ولا ارتياب فى انه ليس بين الموت والفراق فرق عند أرباب الاشتياق فبلغت القصيدة من الحسن اقصى غايته وانتهت الى منتهى نهايته فنسأل الله تعالى ان يتفضل علينا بالجزاء الاوفى وان يبلغنا المقام الاسنى ويلحقنا بالرفيق الاعلى من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

أما بعد حمد الله على نعمه التي لا تحصى والصلاة والسلام على من محاسنه لا تستقصى فقد
تم بعون الملك العلام طبع شرح الشيخ جمال الدين بن هشام على القصيدة ذات الاسعاد
المسماة ببانت سعاد محلى الهوامش والطرر بحاشية الشيخ الباجوري ذات الغرر على
القصيدة المذكوره التي هي باللطائف معموره وذلك بالمطبعة العامره ذات الادوات
الباهره المملوءة بالنفائس والتحرير التي بخط الكعكيين بجوار القطب الدردير
ادارة رب المهارة والوفا حضرة محمد افندى مصطفى وشريكه المتصلى
بالعمل الادبى حضرة الشيخ احمد الحلبي وفاح مسك الختام
وتم سلك النظام فى أواسط رمضان المعظم سنة
١٣٠٢ من هجرته صلى الله
عليه وآله وسلم
آمين





